سامي الفليّح

مقالات متنوعة



مكتبة سليمان الفليّح

2021

بسم الله الرحمن الرحيم

بيانات: الرقمنة

- مكتبة / سليمان الفليّح / 2021م

➢ عنوان : سامي سليمان الفليّح ، مقالات (المختلف، الجزيرة ، شمس، الوطن)

➢ العنوان – المملكة العربية السعودية – الرياض

➢

المقدمة

تقـــدم مكتبـــة ســـليمان الفلـــيّح مـــن خـــلال منشـــوراتها الكترونيـــة.. هـــذا الكتـــاب الـــذي يحـــويّ علـــى مجموعـــة مـــن "المقـــالات" كتبهـــا الكاتـــب ســـامي الفلـــيّح في عـــدة صـــحف ومجـــلات دوريـــة ، ابتـــداء مـــن عـــام 1997 الى عـــام 2015م وهـــي تشـــمل المقـــالات المنشـــورة في:" مجلـــة المختلـــف ،جريـــدة الجزيـــرة، جريـــدة شمـــس الســـعودية ، صـــحيفة الـــوطن السعودية"

وهـــي بطبيعـــة الحـــال مقـــالات متنوعـــة ،لم تُصـــنف موضـــوعياً بـــل تم تصـــنيفها حســـب التسلســـل الـــزمني "اليـــوم والتـــاريخ" علـــى الـــرغم مـــن عـــدم الموافقـــة النهائيـــة مـــن الكاتـــب إلا أننـــا أصـــرينا علـــى العمـــل عليهـــا ونشـــرها مـــن خـــلال :مشـــروع مكتبـــة "ســـليمان الفلـــيّح" التوثيقي. ونسأل الله لنا ولكم أجمعين التوفيق والسداد .

مكتبة سليمان الفليّح

فبراير 2021م

المقالات

- مجلة المختلف
- جريدة الجزيرة
- جريدة شمس
- صحيفة الوطن

في بيروت معركة
كسر عظم !!

أذكر هذا العنوان جيداً لمجلة " الصياد" وهي تشير ليوم الأول من أيلول العام الماضي حمأة الانتخابات النيابية في لبنان ،بالتأكيد لم يكن ليشدني له أي شيء لولا أني وجدت في خلفية هذا العنوان صورة للنائب نجاح واكيم.

نجاح واكيم حاجة غير كل الذي تعودّت عليه أنماط السياسين العرب فهو منافخ عنيد وصاحب لسان سليط خصوصاً حينما يتعلق الأمر بالناس المسحوقين أولاد الطبقات الدنيا من الشعب لذا لا يتردد عن فضح كل الألاعيب السياسية والصفقات السرية التي عادة مايتكتم عليها ذو الشأن السياسي ويعلن بكل جرأة عن إقامة مؤتمر صحفي في الشارع ليحضره العامة وبسطاء الناس لتوعيتهم وكشف الحقائق فيما يتعلق بمستقبل أبنائهم.

أذكر جيداً أنه وفي عز إشتعال الحرب في لبنان حاولت بعض الجهات التي ازعجتها فضائح نجاح واكيم وتعريته لها حاولت إسكاته بالاغتيال بكواتم الصوت إلا أن المنفذين الذين تصدوا للمهمة نفذوا بجلدهم بعد أن قتل أحدهم ولحق الآخرين جرياً على الأقدام وهو يكيل لهم الشتائم القذرة ويلعن "سنسفيل" من حرضهم على ذلك في الحرب لم يكن نجاح واكيم محسوباً إلا على نجاح واكيم ، يجتمع بالشباب يناقشهم

ويتشاتم معهم ويطلعهم على آخر التطورات المهمة ويسهر معهم حتى الصباح ، في الانتخابات الأخيرة فاز نجاح الرومي الأرثوذكسي بمقعد بيروت كأحد الممثلين للمسلمين السنة في البرلمان بنجاح ساحق وكعادته عقد مؤتمراً صحافياً كشف فيه المحاولات التي جرت لإسقاطه وعرض على الجمهور الكثيف الذي اختلط برجال الإعلام الشيكات التي دفعت لأجل ذلك .لذا يشكل نجاح واكيم حالة نادرة وشخصية لم نسمع عن مثيلاتها إلا في كتب التاريخ فما أحوجنا وفي خضم السقوط السياسي والشخصي لكثير من أدعياء المثل والمقيم إلى نصف هذا السياسي المثقف والأزعر في الوقت ذاته ابن بيروت وابن الناس البسطاء.[1]

[1] – المختلف نوفمبر 1997

خراب متوارب

قالت وهي تدهن خصلات شعره الذهبية بماء فاتر في صباح ربيعي وتعيد زر قميصه المدرسي الناصع داسة في يده الصغيرة ربع دينار "كل شيء" إلا الشعر ..تراه خراب بخراب" هذا بعد أن علمت أنه سهر البارحة حتى صلاة الفجر مع أصدقاء والده الشعراء، ذهب الولد وعينه الخضراوين تلمعان باستغراب الدنيا الى مدرسته ليجد بانتظاره أستاذه المشرف على نشاط الإذاعة المدرسية قائلاً وبغضب "لماذا تأخرت..المدرسة تعد احتفالها السنوي بعيد المعلم وستلقي قصيدة شوقي في المعلم أمام الناظر وكبار مسؤولي المنطقة التعليمية بالإضافة إلى أمثالك الطلبة.

ودأباً على عادة يكررها منذ أكثر من عامين سحب الطالب كرسياً خشبياً ووقف فوقه وأخذ يستعيد قصيدة شوقي بيد أنه كان يفضل قصيدة "إيليا أبي ماضي" "وطن النجوم"التي حاز بفضلها مرتبة متقدمة في مسابقة الشعر للمنطقة وكان ذلك مصدر فخره ومدرسيه ،كبر الولد كذلك كبر أصدقاؤه الأطفال ولكنهم لم يكونوا لينسوا مشهده الصباحي وهو ينصلب بقامته الضئيلة على كرسيه الخشبي الأصفر. فأصبحوا يأتون بهذا المشهد قولاً وتقليداً في سياق مناكفتهم الدائمة واستهزائهم منذ الصغر [2]

[2] – المختلف نوفمبر 1997

بااع طويل

بنظري ثمة مصطلحات ومفردات عربية تقال في مواضع يراد منها اضفاء المديح على الشخص ولكنها تترك انطباعاً يشبه المذمة ومن أكثر المفردات التي تستوقفني مفردة "با ع"حيث اظن أنها لفظة جاءت من قواميس الثروة الحيوانية حيث يمكن أن نقول هذه الكلمة تحديداً لها صوت أو "طوانييم" بحسب مصطلحات النقد أتت من منطلق حيواني وربما يعتبر هذه التعبير الصوتي الخاص هو من أقدم الأصوات التي تعرفت عليها الحضارة البشرية في مراتبها المتدنية وارتبط في اللاوعي الإنساني وفي أبعد مراكز الذاكرة وتحول بفعل التقادم والزمن الى صفة مدح باعتقادي إن منشأها كان لفرض الذم مما يعني أن اجدادنا في العصر الحجري كانوا إذا أرادوا ذم أحد من "ربعهم الحجريين" لأنه "رخمه" كانوا يطلقون هذا الصوت الاستهجانِ الذي تعلموه من الماشية إلا إن لغتنا العربية الجميلة حولته إلى صفة مديح وصار بفعل التراكم.

وإذا قال أحد إن فلاناً "له با ع طويل" يذهب تفكيري الى مناحي أخرى فأقول انه ربما يعاني من عاهة خلقية تسبب له أزمة نفسية ممايزيد الطين بلة أن يقال " إن فلانا صاحب با ع طويل وهو من المخضرمين " وإذا سمعت كلمة مخضرم أو مخضرمين فيذهب تفكيري سريعا الى الضفادع لأنها وببساطة شديدة تكاد تكون الأولى في موضوع الخضرمة لأنها الأكثر اخضراراً هذا مع شديد اعتذاري للأشجار والثروة النباتية والمخضرمين كما لا انسى أن أعتذر للماشية على

استغلال الصوت الوحيد في لغتها والحرفيين اليتيمين في قاموسها وإضافتهما للغة العربية ..وكل بااااااع وأنتم بخير [3]

[3] – مجلة المختلف –أكتوبر 2004م

الكذب

الكذب من أقدم تقنيات التعامل البشري وفتيات الكذب مسألة ليس لها نهاية ، وأنا بطبعي أحب الكذابيين ولا احترمهم ، والكذاب المحترف عملة نادرة ، والكذب يحتاج الى الموهبة الحقيقية فليس كل متنطع يستطيع أن يصبح كذاباً محترما ،والكذاب الموهوب يشبه اللاعب أو الشاعر أو الإداري الناجح ، وإن قيل سابقا "حبل الكذب قصير" فلا يعتقد البعض إن كل كذاب يمشي وهو يمسك بربطات ملتفة حول ذراعيه، وإن قيل " ألحق الكذاب لباب الدار" فمعنى ذلك أنه استطاع إقناعك بالأمر الذي جاءك من أجله، كما أنه لايوجد ضمان أن يفتح لك الباب الذي لحقته إليه ، وإن قال غوبلز "اكذب ..حتى يصدقك الآخرون" فمعنى ذلك أنه أدرك سر ولع النفس البشرية واشتياقها الدفين الى الكذب وتلذذها به.

أما عبدالحليم الذي صاح في لحظة ندم " حلو و كذاب..ليه سألتك الحق عليا" فيستطيع التغاضي عن هذه الخصلة مقابل الأخرى والتي " تقص" عليه بسببها ، والكذابون أناس لطفاء يشيعون أجواء متعددة ومتنوعة ، والمرأة الصادقة هي المستحيل الرابع بالاضافة الى مستحيلات العرب الثلاث، وإن قالت سيدة "إن الكذب ملح الرجال وسكر النساء" وفي الأفلام العربية ينتصر الصادق اخيراً ولكن بعد ان يقترب الفيلم على الانقضاء وهو يدفع ثمن كذبة مرت سريعا،أول الفيلم تحول بسببها الى فرجة للناظرين ،وأجمل الكذبات ماتكون الطويلة المليئة بالتفاصيل والضحايا والأحداث، لأن الكذبة القصيرة تشبه فنجان الشاي البارد والكذاب الجيد

هو من يستطيع إقناعك بأشياء خيالية على أنها أمور اعتيادية لذلك يبرع الساسة في الأمر وينجح السماسرة في عقد صفقاتهم دائماً.[4]

[4] – مجلة المختلف –أكتوبر 2004م

أولمبياد دولي للشعراء

وهو اقتراح انوي التقدم به الى "اليونسكو" باعتبارها الحاضنة الرئيسية لكل ما له علاقة بالثقافة والإبداع كما انوي تقديمه إلى الهيئة الملكية السويدية راعية جائزة نوبل للتصديق عليه ويقضي هذا الاقتراح باعتماد أولمبياد خاصة بالشعراء تشتمل على العديد من المسابقات اسوة بالمسابقة الأولمبية العالمية والتي تجري كل أربع سنوات ويعني بالعربي اذا كان لدي اليونانيين والإغريق هذا الإرث الذي قدموه للعالم فإنني أطالب باحياء سوق عكاظ وتطوير مناشطه القديمة وتحيي كذلك لجنة التحكيم التي كان يرأسها النابغة الذبياني، ومقترحات هذه الأولمبياد سهلة وبسيطة تشتمل على مجموعة نشاطات منها المحاورة ويشترط لها لجنة تحكيمية محايدة ويلتزم فيها المتقالطون بوقت محدد ويمكن ادخال الضربة القاضية الشعرية كذلك تحدد صفوف الشيالة بعدد اثنى عشر "شيالا" بدلا من يتقدم اي ملقوف للدخول الى هذه الصفوف ، كما تعتمد لجنة تحكمية محايدة بمعنى ثلاثة شعراء من قبائل مختلفة لإصدار الأحكام الناقدة وبالاجماع مع ضرورة ان يلتزم المتبارون بزي موحد ويحملون على صدورهم أرقاما تبين انتماءاتهم كذلك يمكن أن تكون هناك مسابقة للقدح والذم ويمكن تسميتها مسابقة " الحطيئة" ويشترط في الفائز بها أن يكون لسانه بطول معين كذلك تشكل لجنة للحكم يمكن اعتماد نتائجها على شرط يكون اعضائها من أصحاب الضمائر النص نص كما اني سأطالب بإدراج مسابقة "للمهايط".

ولن ننسى إحياء فنون قديمة مثل الدرسعي والريحاني والسولعي "السولعي"هذي من عندي مالها شغل بالموضوع، وهناك أيضًا مسابقة "للرديات" وهو نمط شائع يفوز بلقبه صاحب أكثر

عدد من الرديات كما يمكن ضم مسابقة أسخف قصيدة ويشترط فيها أن تكون في مجال النصيحة والحض"حلوة حض" على المرجلة ، اضافة الى ذلك فإنني سأطالب بمسابقة خاصة لأطرف قصيدة وأكثرها سخرية، أيضًا لا يمكن تجاهل اصدقائنا من شعراء الحداثة الشعبية حيث سيتم ادراج مسابقة لأكثر قصيدة مطلسمة لايفهم منها اي جملة توقع الجمهور في ميح كبيرة ،كما إن اللجنة المنظمة لأولمبياد الشعراء والتي سأراسها ستمنح جائزة لصاحب أكثر صفحة شعبية تخلفا وسيتم الاحتفاء بصاحبها باعتباره خارجا عن تأثير أي تطور شعري وإصراره رغم الظروف على التمسك برداءة الطرح في صفحته على صعيد آخر لا يمكن تجاهل الشاعرات من هذه الأولمبياد وتتوج الفائزة بإكليل من الغاز وبمناسبة الإكليل "شخبار قصيدة اكليلها" والجائزة ستكون لسان الخروف الذهبية لصاحبة المركز الأول .

تعتمد مسابقة الأولمبياد الميداليات الذهبية والفضية والبرونزية وسيتم تكريم أصحاب المركز الأول بمنحهم "فروة طفالية" اما اصحاب المركز الثاني فسيمنحون "بشوت "صوف" أما اصحاب المراكز الثالثة فسيكتفي بإعطائهم شمغاً مقاس 48 تكريما لجهودهم.[5]

[5] مجلة المختلف –أكتوبر 2004م

صوت

أعلن من هذا المنبر أنني وبكل ما أمثله لن أقاطع المنتجات الأمريكية، ولن أســـتجيب لأي دعاوى تندرج تحت هذا البند ولأسباب كثيرة أنا أعلن ذلك.

أعلنه وأنا مفعم بحب التجربة الأمريكية وكثير من قيمها، أحب الماكدونالدز بكافة تصنيفاته خصـوصـاً ال«اب سـايز»، أحب أمريكا شـغوفاً «بهوليود» حالماً بسـيرة نجومها متتبعاً لروائعها المدهشـة وكلاسـيكاتها الراسـخة، أتابع جنونها وصـراعاتها المثيرة ناظرا إليها من خلال نظارات «راي بان» مرتديا الجينز الأزرق الفاتح متجولاً في الزمان والمكان بسيارة فورد.

أمريكا التي تنتظر البلاي أووف ســبع ليال أمريكا والت ديزني ووالت وتيمان، الأودية الكبيرة لرعاة البقر التكسـاسـيون، أمريكا الإنسـانية في الصـومال ويوغسـلافيا السـابقة أمريكا الخضـر المهووسون بالبيئة، أمريكا أوليفرستون التي تدين نفسـها، أمريكا السوق الكبيرة، والتنوع العرقي أمريكـا المـداخن العملاقـة لمصـــانع ديترويت، أمريكـا الأنفـاق العظيمـة تحـت الميـاه لبنـاتهـا الايرلنديين، أمريكا الجسور الأكورديونية شابكة الجزر.

ليس أمريكا الواسب، والكلوكس كلان، والمافيات الصقلية، حثالة برونكس، ونيونات لاس فيغاس ليست أمريكا فيتنام، بينوشيه،ليست أمريكا رودني كينغ وأوجي سيمبسون، وشركات النفط في ألاسكا.[6]

---

[6]- صحيفة الجزيرة 1-5-2002 العدد 10807

في هجاء الدراما المحلية..
ضجيج الأطفال في الصالات الرخامية

يرى المتابع للمسلسلات المحلية كمية هائلة من ثقل الدم والمواقف الباردة والانفعالات المزيفة والأحاسيس المعطلة والعواطف الثلجية، وميكانيكية في الأداء تحيل الشخوص إلى أنماط آلية مسيرة خارجة عن نسق الحياة وتقلباتها، كما أن هناك مثالية مصطنعة لدى أغلب شخوص هذه الأعمال حيث الرجال يحيلون محيطهم العائلي والعملي إلى مناخ من الصراخ المزعج المنرفز الذي يترك المشاهد أمام حيرة ما إذا كان يشاهد عملاً درامياً أو شيئاً يشبه ضجيج الأطفال في الصالات الرخامية الضخمة، كما أن الشخصيات النسائية مجرد (مانيكانات) لعرض أفخم وأفضل الجلابيات والاكسسوارات والأثاث الفخم والبيوت الأنيقة والسيارات الفارهة من مختلف العلامات التجارية هذا الوضع يثبت أن هناك خللاً في مفهوم الدراما وعجزاً عن ابتكار موضوعات حية وساخنة تعالج المحيط الاجتماعي وتعكس إفرازاته واختلافاته، النساء مجرد أدوات في مجمل هذه الأعمال أو بالأصح ديكور يحرك من مكان لآخر أو مسلسل لآخر، أدوارهن تنطلق من مواقف سلبية في الأغلب أو شريرة في بعض الأحيان شر مصطنع تافه، يحيك مؤامرات سخيفة، انظروا مثلاً في مسلسل (دمعة عمر)، انظروا إلى الأدوار، انظروا إلى الأداء.. كميات هائلة من الفراغ في تتابع الأحداث، الموسيقى التصويرية أخذت مساحة لم يأخذها الحوار، أشياء كثيرة غير مقنعة تمرر وتمط على أكثر من حلقة انظروا إلى مساحات الصمت في مثل هذا

المسلسل انظروا إلى حجم الدموع المزروفة والتي كادت أن تغرق حتى المشاهد خلف الشاشة، انظروا إلى العلاقات المبتورة، انظروا إلى تفاهة المواقف وردود الأفعال، وهذا ليس حكراً على (دمعة عمر) فقط، بل تعالوا واستعرضوا أعمالنا الدرامية والتي هي مجرد مساحة للعب على العقول والمشاعر والقصص المختلفة، شخصيات مهزوزة مفرغة الأحاسيس ناقصة التعابير، أطفال ثلجيون ومثاليين، نظيفين أكثر من اللازم، هادئون أكثر من الموت طيعون إلى درجة لا تصدق، جامدون في ملامحهم، انظروا إلى هذه المثالية السخيفة والتي لم ينجُ منها حتى الأطفال، أما الممثلون فهم أشبه بالخيام البيضاء، أناقة مرسومة بذقون صقيلة طوال الوقت، طوال الأحداث، حواراتهم تمتلئ بغضب حزين مصطنع، يبثون قواميس من ضيقة الصدر وسواقي من مفردات (الزف) وادعاءات مثيرة عن قوة الشخصية أشياء لا تصدق في أي مجتمع في الدنيا، أخطائهم سخيفة يعتنون بثيابهم أكثر من اعتنائهم بالنص والأداء والإقناع أثناء تصاعد الخط الدرامي، مجرد أرباع مواهب، همهم الحقيقي مشاهد الغداء والعشاء وركوب السيارات، انظروا إلى كتبة السيناريو انظروا إلى المواقع المختارة، انظروا إلى دخول الكاميرا في المشاهد انظروا كمية الصمت والتفكير، لاحظوا الوقت المستغرق لحظة النزول من السيارة في أي مسلسل محلي، لماذا فرض علينا أن نعرض موديلات سياراتهم، نوعيات جوالاتهم، بالله عليكم ألا تستحق تلك المسلسلات والتي تدعي كذباً الحديث عن واقعنا الاجتماعي أن تضغط جميعها في حلقة واحدة، ولن أكون متجنياً في ذلك، فحلقة واحدة يتيمة هي ما تستحقه كل تلك القصص مكشوفة النهاية، مجهولة البداية، أبطال هامشيون، انظروا أداء ممثلات المسلسلات المحلية وشخصياتهن المحصورة في السلبية القاتلة أو الشر المتفاقم، جميع تلك الشخصيات بين هذين الاختيارين، استعراض للحواجب والاهتمامات الفارغة ودعوات الشاي وزيارات الطبيب، فجميعهن مصابات بأمراض مختلفة، منتهى الضعف والوهن في كل شيء، مخرجون لا يعرفون عن الإخراج إلا ما يعرف عامل في

الصناعية عن شروط الانضمام لمنظمة التجارة العالمية، هذا هو واقعنا الدرامي للأسف، انظروا إلى الدراما المصرية وتعلموا كيف يصنع كل شيء، لن أقول الدراما السورية فهي مصابة بأمراض مستعصية لا يمكن الشفاء منها، انظروا في الدراما المصرية، أولويات الحرفة وأبجديات العمل، المسألة ليست صعبة، انظروا كيفية الأداء وملء المشاهد بالحوار والحدث والانفعال.

هذا هو واقع الدراما المحلية المليء بكل هذه الكمية من السذاجة والالتفاف على عقل المشاهد، إنها مسألة تدعو للضجر، وتدعو لكل شيء إلا الدراما وإبداعاتها، إن المسؤولين عن إنتاج مثل هذه البرامج لا يعرفون عن شيء في الدنيا اسمه البساطة والتلقائية، البساطة سر كثير من الأشياء الناجحة، دع عنك التعقيد والدخول إلى مصافات مجهولة في مغامرات الأعمال الدرامية، فهؤلاء القوم وهم أصحاب هذه المسلسلات ومخرجها وممثلوها ومنتجيها قد يعرفون عن أي شيء في هذا الكون إلا الدراما.. وإلى مذبحة من الأحداث تدعى زوراً مسلسلاً أو عملاً درامياً..!! كل عام وأنتم بخير.[7]

[7]- صحيفة الجزيرة 2-10-2004 العدد 11692

هل انتهت الفورة الشعرية؟

كسؤال يثر كل من يتابع المسألة الشعبية حيث ان سنوات الطفرة الشعرية والتي امتدت من اواسط التسعينيات الميلادية إلى اوائل الألفية الجديدة قد دفعت بالكثير إلى الواجهة وغيرت في مفاهيم كثيرة مثل النجومية والتسويق وامتدت تأثيراتها الكبرى إلى الصحافة حيث اندمجت أنماط جديدة من الصحافة المعتمدة على الخصوصية البحتة وعلى نجوم ذوي محلية خالصة في مجتمعات الخليج وقادت العربي الآخر إلى إعادة النظر، الأمر الذي غير شكل الأغنية العربية الى حد ما كما دفع بالموسيقى الخليجية إلى واجهة الحدث وأنتج ذلك رواجاً هائلاً، الأمر ذاته انطبق على شكل الإعلام المرئي الذي تغير بنسبة كبيرة.

فالفورة الشعرية الشعبية التي حدثت بعد منتصف التسعينيات كانت اكثر الاشكال تعبيراً واكثر قوة وهي التي قادت عملية تغيير الأنماط في كل ما ذكرت، كما أنها كانت الاكثر زخماً والسبب في ذلك يعزى إلى الأعداد الهائلة من الناس التي تحمست لتكتب وتنشر مما خلق قوة دفع هائلة تفاجأ بها الجميع ممن يرصدون حالة التغيير في مجتمعات الخليج كما ان بساطة شروط الكتابة الشعرية الشعبية قد خلقت بريقاً لهث خلفه الكثيرون مما حدا بهذه الفورة الشعرية إلى التباطؤ، أما سبب ركود الأحوال في هذه الفترة كما قد يتصور البعض فلأن هذه المجاميع قد انسحبت الى وسائل تعبير أخرى أكثر جماهيرية وأسرع صدى من الصحافة والمجلات التي لم تعد قادرة

على استيعاب كل هذا الكم الهائل فلجأت تلك الجموع إلى مجالات أخرى مثل الانترنت والقنوات التلفزيونية إلا أن الزخم ما زال مستمراً وإن تفرقت المسارب بالغادون وكذلك الشعراء.[8]

---

[8]- صحيفة الجزيرة 20-10-2004 العدد 11710

السلاح الأخضر

قلبي معكم شباب العالم وضميره يا مطاردي مؤتمرات القمم الاقتصادية والاتفاقات المرهقة لكوكبنا الأزرق الهادئ الجميل، يا محاربي السلام الأخضر في كل مكان وددت لو ربطت جسدي بالسلاسل مثلكم على كل المداخن التي تثقل سماءنا الرائعة وتصبغها بالأسود الخانق، وددت لو طاردت صائدي الحيتان بزوارقكم المطاطية وصددت كل رشاشات المياه عنكم، تمنيت أن أجوب شوارع العواصم منددا بالعولمة التي تقسم عالمنا وتبيعه، والشركات الكونية التافهة التي يديرها أناس آليون تشبه عيونهم حاسبات الأرقام، أنيقون بشكل مفرط. معكم أهتف من قلبي ضد الأغذية المعدلة وراثيا والأسلحة النووية، أرمى مقار الـ 8 بالطماطم والبيض الفاسد والأصباغ، أصيح (اووووووه)، ضد اتفاقات التسلح ورفع الدعم، أجمع تواقيع إنسانية لإسقاط الديون عن الدول الفقيرة، وأسرق ميزانية أكبر البنوك لأحولها إلى صندوق مكافحة الفقر والأيدز بحثا عن عالم أخضر وسماء زرقاء صافية وأناس مرتاحين.[9]

---

[9] - صحيفة شمس 28-1-2006 العدد 48

أحمدي نجاد

بخيارات شمسونية يدخل الرئيس الإيراني إلى ساحات السياسة الدولية من الباب الواسع والمخيف وأوروبا التي ظلت دائماً على خط التوازن السياسي بين طهران من جهة وواشنطن ولندن من جهة أخرى نفضت يدها بعد أن أصابها الغبار النووي للطموح الإيراني المتصاعد، وألمانيا الأخ الأكبر الأوروبي وابن العمومة الآرية فوجئت بملف يكبر ويتصاعد ويحرجها وهي التي أدخلت الوجه الإيراني المتسامح والمتصالح وسوّقت لخاتمي الرئيس والمفكر، ودول المنطقة التي خبرت الاستقطاب الطائفي وتصدير الثورة والخطابات الملتهبة ها هي تعيد قلقها إلى الواجهة وتتحفز بعد سنوات راحة قليلة مُدت خلالها الجسور وحلت شبه الثقة مكان الخوف، أحمدي نجاد لا يملك طلة خاتمي وترتيب ذقنه وسعة اطلاعه، ولا يملك براجمانية رفسنجاني ولا أناقة أبو الحسن بني صدر، ولا سطوة الشاه، أحمدي نجاد يملك تفويضاً شعبياً طاغياً وخطاباً يقترب من التفكير العامي السياسي ومشروعاً نووياً طموحاً وصواريخ بعيدة المدى وخيارا شمشونيه إذا أملته الظروف السياسية.[10]

---

[10] - صحيفة شمس 18-2-2006 العدد 69

ساعات.. ساعات

قضم نظام اسمه الساعات أربع سنوات من حياتي، ومثلها لدى الآلاف من الشباب، ومن واقع التجربة الصعبة يمكن القول إن هذا النظام يعد من أبشع الأنظمة والسلوك المؤسسي الإداري، وإن كنت أجد العذر للمؤسسات الحكومية والمنشآت الربحية الصغيرة، إلا أنني لا أجدة لمؤسسات القطاع الخاص التي تحمل موظفها الشاب المرهون بنظام عمل قاس منزوع الحقوق مثقل بالواجبات، أشبه ما يكون فيه بلوحة الهدف لرامي السهام في الألعاب الأولمبية، لا يجيد سوى التلقي، عاجز عن الحركة، تحيله الأيام الطويلة والوعود الكثيرة والعمل المنهك إلى حالة من السلبية والغضب المتصاعد، وتشحنه بعدم الولاء الويفي والرغبة الناقمة على كل شيء. ونظام الساعات وإن كان يساعد شابا في بدايات حياته خاصة في مراحل الدراسة الجامعية، إلا أنه مثار منه وعصا تهديد غليظة ترفع في وجه المشاغبين، كما أنه المستقبل الغامض برجاء نفحة أبوية أو لفتة حانية، أو ظرف مناسب أو أرباح مضاعفة.

إن الساعات نظام عاجز عن تحقيق الطموحات المهمة، ومثبط كبير لأية رغبة شابة جامحة للاندفاع في هذه الحياة الجميلة التي يشكل الساعات نظاما وطريقة عمل لوحة قبيحة من لوحاته المتعددة والكثيرة.[11]

---

[11]- صحيفة شمس 20-3-2006 العدد 71

بورتريه بالخاكي

التي وضعت سيارة مفخخة خلف قلبي لم تدرك أن الصاعق في عينيها، حبها بياني الأول ومسؤوليتي المباشرة أعلنها في أشرطة أبثها للقنوات ومواقع الإنترنت، رهينة احتجزتني لديها ولا أدافع فديتي، المرأة التي دست لغم (فالمارا) الشوكي في دروبي، بلغوها اني تشظيت وردا وعصافير ولافتة حب بيضاء ومزهرية.

انصبي لي كمائن مسلحة يا حلوة، اخطفيني مني، أوقفيني على الحواجز، اعصبي عيني على الدشم العسكرية، خذيني خوذة، وسأشعل لك حشوات مدافع (هاوتزر) ألعابا نارية في عرس الليل، أنا منظمة حبك السرية، سأصنع من الجنازير المفروطة عقودا من الفل، والمدفع الكبير بوقا كونيا يحفز البشر لقدومك، لا إحداثيات لحبك ولا خطوط طول، كل الجبهات مشرعة، وكل القتال مأذون بلا وسطاء ورحلات هدنة ومساع بينية ولجان.[12]

---

[12] - صحيفة شمس 27-3-2006 العدد 77

حالة ملل

هذا اليوم نفسيتي حامضة ومزاجي عكر ورائب وذوقي مدبب، أخلاقي محرشفة وصوتي مثل طنين الشوكة الرنانة متكرر ومزعج، أذني مثقوبة لا أسمع بها إلا ما أريد. أنا اليوم كتلة ملل وكيس من "ضيقة الخلق" دمي ثقيل وكثيف وبطيء الحركة في العروق ومتخثر، أشتهي أن أتضارب أو ألكم اليوم أحدا على أنفه احتجاجا.

كسل في عظامي وظهري يومض بلمعات مثل إشارات التحذير على الطرق الخارجية.أعجز عن التنفس، إلا بما يحفظ لي حياتي للحظة. يدي لا أستطيع أن أرفعها عاجزا بمزاجي، وددت وضعت رأسي في الثلاجة حتى لا أحس بالحرارة في دماغي، طعم خل في سقف حلقي ولساني مثل قطعة كاوتشوك طري وقوي. فكرت أن أشتري بحرا في غرفة الجلوس وأعوم فيه أو أضع القمر على السقف خلف المروحة وأديرها بالسرعة الفائقة. أنا اليوم خزانة الملل وصندوق الضيقة، ومستودع الكآبة.[13]

---

[13] – صحيفة شمس 15-4-2006 العدد 96

لحية حماس

مقصات كثيرة تجتمع اليوم لتشذيب لحية حماس، ومجاهدو الأمس تورطوا بعد أن شدوا رقابهم بربطات العنق والمناصب الوزارية وميكروفونات المحطات.

وروسيا التي حاولت –كالعادة– لعب دور الولد الضخم المشاغب كثير المطالب فتحت أبواب الكرملين وبطرس الأكبر المذهبة للقادة القادمين من أزقة جباليا ودير البلح في حفل P-R عالمي.

والعرب شاؤوا أم أبوا سيبقون متورطين في القضية التي بلا حل. رغم شتائم الفلسطينيين على القنوات الفضائية، والجبهة الشعبية رفض كبرياؤها الثورى العمل كمحلل حكومة. وفتح التي تحولت من حركة إلى ثورة إلى سلطة ها هي تعود إلى شغبها الثوري وفوضى السبعينيات، وينزل زلماتها لاحتلال المقرات، والرئيس عباس وحيدا يراقب هذا المشهد الفوضوي العارم، يؤسس الديمقراطية ممارسة وسلوكا. فيما العالم يتفرج عليه. عباس العاقل في حفل مجنون، الصامت وسط الهتافات، في شوارع رام الله.[14]

---

[14]- صحيفة شمس 17-4-2006 العدد 98

في الأغنية

سمعت فرقة الـ Eagles تغني (فندق كاليفورنيا) مليار مرة ومستعد لسماعها مليار مرة أخرى، يأخذني اللحن البسيط ليدخلني غابة الموسيقى وأشجار الكلام، تنطلق بي الريح إلى حدود الجاذبية عامدا تخطي قانون الطبيعة وإطار المعقول والمستحيل، سمعت ليونيل ريتشي يُغني (هاللو) مليار مرة وفي كل مرة يأخذني عمق الصوت وروعته والقوة النابضة بالكلمات إلى حيث لا أعلم، هكذا أسيرا منقادا، طيعا كمن يخطو في الفضاء والفراغ ويمشي بين القمر والأرض، أحب (كارفان) و (هكذا أحبك) و (القلب الإسباني) وما لا أعلم وأعلم في كل مرة أكتشف ذاتي وأقرأ نفسي من جديد وأقول: "إن هناك ما هو جميل ورائع وما يبعث على التفاؤل وما يستحق أن يكتشفه المرء ليصاب بصعقة اسمها الدهشة وصدمة تكنى بالذهول".[15]

---

[15]- صحيفة شمس 20-4-2006 العدد 101

مكافآت طلبة الكليات الصحية

يبدو أن طلبة الطب والكليات الصحية يعانون مشكلة خطيرة تمثلت في تخفيض مكافآتهم؛ ما أغضبهم جدا لذا أراقبهم يطرقون كل الوسائل لإيصال معاناتهم وشرح وجهة نظرهم.. وبعيدا عن التفصيل فإنني أشد على يد الشباب بضرورة عدم الاستسلام لقرار قد يكون منشؤه بيروقراطية بحتا لم يراع ظروفهم وأهمية تخصصاتهم ولا حجم التكاليف التي يتكبدونها بحثا عن مراجع غير متوفرة، ولا امتداد السنوات الدراسية الطويلة، كما أن حجم الضرر الواقع عليهم كبير، لذا فإن أصواتهم لا صدى لها إلى الآن ولكن حتما سيكون هناك حل، بل يجب أن يكون هناك حل، أظن وقد أكون مخطئا أن حجم المصروفات على طلبة وأقسام الكليات الأخرى لا يقل عن حجم المصروفات على كليات ومكافآت وإمكانات طلبة الكليات الصحية، يجب الوقوف مع أطباء المستقبل ضد كل ما يزعجهم ويشغل رؤوسهم عن المتابعة والتحضير، خففوا عنهم حتى يخففوا عن الناس مستقبلا طبعا بعد مشيئة الله.[16]

---

[16]- صحيفة شمس 21-4-2006 العدد 102

طلبات كثيرة

مَنْ يركب لي أجنحة صاروخ، ومحرك تيربو، وكفرات طائرة شحن كبيرة؟ أنا الرجل الذي بلا وقت ولا ليل ولا نهار ولا تنظيم، الفوضى الكبيرة التي تضرب أطنابها في أي مكان تحل فيه، ضد الزمان، المستعجل دائما بلا هدف، القلق دون أسباب واضحة، المتوتر لأي لمحة وصوت، المنزعج ضد كل شيء حتى الهدوء، الساخط أريد ساعة في عيوني حتى أضبط نفسي وعقارب حتى تحكم تصرفاتي. أحتاج إلى هيئة عليا لتنظيمي، ومجلس استشاري لما آكل وألبس، ومكاتب محاماة لضبط كل حرف يصدر عني، و (كونسولتونات) لصحتي ومؤشرات دقيقة وحساسة لأي تغير فيزيائي وكيميائي، قاعدي وقلوي في محيطي. ركبوا لي مفاصل صناعية أريد أن أكون الـ (التيريمانتور) الجديد السريع والقوي والنفاذ والأسر والفاتن والكاتب والفنان وكل شيء الطموح إلى حدود القتل المتواضع حد البكاء. السخي الكريم، المهووس بالنظافة الدقيق مثل الإبرة.[17]

---

[17] - صحيفة شمس 22-4-2006 العدد 103

في مديح (السيسنا)

بقلب طفل، وعيون مذهولة، وأصابع تشير إلى السماء راقبت صور الطائرات البهلوانية، وهي تنفث دخانها الأبيض ويحتشد تحتها الجمهور صائحا مصفقا بعبارات تشجيع وتهليل في افتتاح أول مدرسة لتعليم الطيران العام.

والـ (سيسنا) التي تشكلت وتلونت وأبهجت واصطبغت بالألوان والأشكال، كانت حالة حلم طفولي تماما، مثل طفل (إمبراطورية الشمس) أو ماتياس راست المراهق الألماني الذي حطَّ بطائرة تشبهها في الساحة الحمراء فجاءة؛ ليرتج العالم.

الـ (سيسنا) التي تلوح فوق رأسي بالأزرق والأبيض ألواح لها دوما وأبدا في الغياب والرحيل كلما شاهدتها في الشاشة والسماء، السماء التي هي شاشة فلا ترون كبيرة. ومتى ما انطلقت الفصول الدراسية في هذه المدرسة فسأتشرف أن (أرتز) في مقعد فصل أو طائرة من أجل عيون الـ (سيسينا) التي هي طائرة ورقية كبيرة.[18]

---

[18]- صحيفة شمس 23-4-2006 العدد 104

كلام في الكلام

يتصل الشاب من قريته لتطلعه القناة أكثر من نصف ساعة على الانتظار، خصوصا مع خدمات الاتصالات الدولية والـ 700.

وحينما يحين دوره ينطلق لاهثا لسرد قائمة من الإهداءات لشباب الـ (group) والأسماء المستعارة، هذا طبعا بعد السلام وتبادل التحايا مع المذيعة الغنجاء التي تتطعج في لهجتها وتتكسر في مخارج الحروف وتتدلع في الأسماء وتطيح (الميانة) مع مشاركين دون مشاركين، الذين يتشرهون عليها كما يتشره صاحب البيت مع أهله. وبعد قائمة السلامات والتحايا تدعوه المذيعة طيبة القلب للمشاركة في محور الحلقة الذي يدور حول (أهمية الصدق في الحياة) ليأخذ المحروم في سرد تفاصيل تافهة مثله ومثل المذيعة، ويورد نماذج وحكايات تنتهي بشفط فاتورته مقابل رغبته الجامحة للحديث في أي شيء وحول أي شيء ومع أي شيء.وكأنما يعاني جوعا في الكلام ولهفة في الحديث والتغيير.[19]

[19] – صحيفة شمس 28-4-2006 العدد 109

لــو

لـو كنـت مسـؤولا جامعيـا لاسـتغنيت عـن جميـع الوظـائف الإداريـة، واسـتبدلت بأصـحابها طلبـة الجامعـة، وتـركتهم يتصـرفون بتشـكيل قـوانين تكيـيفهم وتسـيير تحصـيلهم العلمـي بمزاجهم، مع اختيار فترات التدريب والمواد والتخصصات.

ولـو كـان الأمـر يـرد لي لنظمـت استفتاءات شـهرية حـول كـل شـيء في الجامعـة، بـدءا مـن الكـافتريا، وانتهـاء بأداء أعلـى الهـرم القيـادي الجـامعي. ولـو كانـت القـوانين توكـل لي لحظـرت دخـول السـيارات، وشـرعت قـانونا يفـرض التنقـل بالـدراجات الهوائيـة داخـل الأسوار الجامعية على الطريقة الصينية.

ولــو كانــت العنــاوين تؤخــذ مــني لألغيــت نظــام المكافــأة. وجعلــت كــل طالــب يفكــر في مشــروعه الاســتثماري الصــغير داخــل مســاحة مخصصــة، بــدلا مــن انتظــار المنحــة الــتي تأتي ولا تأتي. ولــو تــرك المجــال لزرعــت المســاحات الجــرداء، ونزعت الإسفلت والباطون.[20]

---

[20]- صحيفة شمس 29-4-2006 العدد 110

أهلا يا كأس

حطت الكأس العالمية في الرياض، فأهلا وسهلا أرفعها مرحبا وفرحا. ولو كان بوسعي لخطفت الكأس والتقطت له صورا بمختلف الأوضاع ووضعته فوق تلفزيون بيتنا..

أهلا كبيرة وفرحة وطفولية بالكأس التي جعلتنا نتحلق أطفالا حول الشاشة كما لم يفعل (أطلق) فيلم لبروس لي، شتائم بذيئة وسباب يطلق يمنة ويسرة على لاعبين من مختلف الملل والنحل. لاعبين لا يعرفوننا ولكننا نعرفهم أكثر من واجباتنا المدرسية.

أجيال ومواهب وأسماء لا تزال تحط في الذاكرة والقلب مثل جرح قديم. ألوان وقمصان وأهداف ودموع وتصريحات وغضب ومحاباة ومؤامرات وابتسامات، ومراكز قوى ودولارات وصخب يرج الكون كل أربعة أعوام تستريح الكرة الأرضية فيها شهرا تطلب لها مشروبا باردا وتسترخي أمام التلفزيون وتترك قدميها متدليتين لتشاهد هذه الكأس مرفوعة في النهاية بأكف من يستحق.[21]

---

[21]- صحيفة شمس 1-5-2006 العدد 112

بيئيا

أطنان النفط التي سكبتها ناقلة إكسون فالديز في الاسكا وطبعت الشواطئ الثلجية بحبر النفط فتحت العين على الكارثة وأشرعت المجهول على المجهول وملأت القلب بالأسى والروح بالغضب، في حين كانت منصة بايبر ألفا النفطية تحقن وريد بحر الشمال بالسائل الأسود اللزج والثقيل.

هذا ما حدثتنا عنه الحياة البحرية والأسماك والحيتان والشعب المرجانية واللامرجانية والعوالق الصغيرة ومحاربو قوس قزح، وقبلهم جميعا طائر الغاق الذي يلبط في الخليج بجناحين دبقين يقطران بالقطران. في حين نفث مصنع بوبال أنفاسه السمية على القرى الفقيرة وسط الهند وفلاحيها العراة كانت جدران تشرنوبيل تتصدع وينفذ منها التلوث مشكلا خيمة من أشعة جاما تعطي الطفرات الجينية والتشوه للأطفال بالمجان مثل عرض تجاري لسلعة استهلاكية رائجة. فرنسا بدورها نفضت المحيط الهادئ مثل سجادة تربة بتجارب نووية وأعطت المحتجين أذنين من طين وعجين، هذا غير دفن بقايا الكيماويات والنوويات بشكل سري لتعطي اليباس والبور.[22]

[22]- صحيفة شمس 2-5-2006 العدد 113

تفاصيل

لجوني ديب جاذبيته الشديدة على الشاشة ولا تنفلت من تتبع تعابيره الثابتة وأدائه المتسم بالغموض مع لمحة عنف متوقع في حين تعطي الملامح المريحة لبراد بيت اطمئنانا أكثر رغم عنف (حرارة) و (النائمون).

(فال كيلمر) انجذب إلى الظل خافتا شيئا فشيئا بتفاصيل وجهه الحادة التي تقترب من تفاصيل وشخصية أرنولد شوارزنيجر رغم طرافة دوره والشهرة التي صنعها في فيلم القديس، والقديس الفيلم كان ملتقطا من مسلسل لعب بطولته روجر مور أواخر السبعينات، روجر مور الذي لعب في سلسلة بوند الشهيرة وكان من أنجح نجومها مع بروس بروسنان الذي (شعللّ) في مسلسل المخبرة الخاصة مع ستيفاني زيمبا ليست في فترة كان سليفستر ستالون نجم الشباك الأول والأخير، سيلفستر الذي ابتكر فكرة هزيمة جيش من قبل فرد واحد وحيد لتكر السبحة عن الأبطال الفرديين مثل بروس ويلس وستيفان سيجال وفان دام إضافة إلى ممثل تافه جدا اسمه شيك توربس، تخصص في أفلام الأكشن لا لشيء سوى إجادته لعبة الكيك بوكسنج.[23]

[23]- صحيفة شمس 3-5-2006 العدد 114

الغضبة الإدريسية

ضحكت وكأن لغما مضادا للدروع انفجر داخل معدتي، ضحكت في لحظات استمتاع نادرة بحوار الأستاذ إدريس الدريس في جريدة "الحياة" مع الزميل عائض الحربي، عائض الذي خبّر وشارك في فترات التأسيس لجريدة "الوطن". وكان يلعب أساسيا في المركز الأبهاوي فيما تشرفت أن أكون ضمن الطاقم التأسيسي للجريدة لاعبا على الجناح ضمن طاقم الرياض تحت قيادة إدريس ونائبيه جاسر الجاسر وسليمان العقيلي.

ضحكتي جاءت لأن الغضبة الإدريسية، أبعدنا الله عن لظاها، جاءت بكمية سخرية تكفي لشق بطون شعب الصين الشقيق جراء "الكركرة" المتواصلة مع فواصل التندر والشماتة حين كان أستاذنا يوزع "ذباته" ميمنة وميسرة في مشهد غاب طويلا عن كل من يحب إدريس الدريس وخبره وعمل معه.

وبعيدا عن محتوى ما قاله الأستاذ في المقابلة التي كان صادقا فيها، إلا أنه يكشف أسرار صمته الطويل والمتراكم ويفسر عُزلته الكتابية التي أثارت استغراب جمهوره ومحبيه، إلا أن العودة كانت مدوية ومجلجلة وصاهلة وزاخرة وساخرة. عودة تليق بالغياب. عودة فسرها داود حسين في مسرحية انتخبوا أم علي حينما صاح "قلبه متروسا"، قلب إدريس الذي لا يمكن أن

يحمل إلا المحبة رغم حديث عمته بالإنجليزية انطلاق من تأثرها بتجربة في أرامكو![24]

[24]- صحيفة شمس 4-5-2006 العدد 115

أمل في الثراء

سأطرح البحر للاكتتاب بسعر رمزي للسهم دون حدود دنيا أو عليا، وحدها الأسماك ستعترض وربما بعض الصيادين وكذلك الرطوبة وبعض الصبية الذين يبحثون عن الطرطشة وقد تتبعهم عوائلهم التي ترى فيه متنفسا ومتعة ومناخا ترويجيا يغني عن ضغوط الحياة، ويدخل المتعة إلى القلوب الحزينة.

لكنني مُصر على طرح البحر للاكتتاب بأسعار رمزية دون حدود عليا أو دنيا أو أرباح، سأنشر إعلانا في الصحف، وأنشر قوائم مالية وهمية بأرباح وخسائر وكل شيء، ربما أيضا تعترض بعض المراكب والكائنات والأصداف ومنظمات البيئة والسلام الأخضر والشباب الذين يدورون على كورنيشاته أملا في نظرة أو موعد، إضافة إلى باعة جائلين وزهور، لكنهم ليسوا أشياء مؤثرة تمنعني من مشروعي العظيم الذي هو أملي في الثراء.[25]

---

[25]- صحيفة شمس 5-5-2006 العدد 116

من وحي المعرض

الـــذين وضـــعوا معرضـــا للمجـــوهرات في الـــرياض لم يـــدركوا ســـر العيـــون الـــتي تطـــل مـــن شـــقوق الأغطيـــة والنقـــب والســـتائر الســـوداء الشـــفافة والعبـــاءات الجميلـــة الـــتي تـــذرع المجمعـــات والأســـواق جيئـــة وذهـــابا. وتخـــف خفـــة بـــين المحـــال والمراكـــز والمستشفيات وتهف مثل طيف أنيس وغامض.

الذين وضعوا معرضا للمجوهرات لم يدركوا أن هناك (غاليري) مستمرا منذ الأزل في هذه المدينة التي تنام على بحر من الجمال والفتنة الطاغية الأخاذة، الذين شـــقوا مناجم جنوب إفريقيا وليبيريا بالديناميت بحثا عن الألماس والزودياك والفيروز جهلوا ما هو موجود من ســـحر (ألف ليلى وليلى) خلف الكحل الإلهي في الماقي والسمرة العذبة في الشفاه المزمومة مثل فكرة طائشة وجذابة.

كورلـــوف ومعـــوض وباتي فيليـــب وبوغوســـيان ظلـــوا حيـــارى متســـائلين عـــن أيـــة ألماسة سوداء صنعت العيون التي طافت أرجاء المكان.[26]

[26]- صحيفة شمس 6-5-2006 العدد 117

تساؤل سياحي

ما الذي يمنع وجود رالي على غرار رالي (باريس – داكار) ينطلق من أبها وينتهي بالجوف تنقل المحطات والوكالات أخباره، ويصارع طرقاته المتعرجة والمنوعة أبطال القيادة أمثال ميكا هاكينان، وتنتشر في طياته الصحراوية الوعرة فنادق على النمط العالمي وتحط فيه وكالات السيارات الشهيرة بطواقمها، وسيارات القطر والدراجات السريعة والقوية بقادتها ذوي الألوان الزاهية.

ما الذي يمنع تنظيم رحلات سياحية لإختراق الربع الخالي على خطى ثيسجر، وبرترام توماس يتسابق خلاله عشاق التحدي ويتنافسون؟ ما الذي يمنع تسلق جبال السراة في رحلات سياحية تجتذب- كالمغناطيس – هواة المغامرات و مهووسي الحجارة والخطاطيف والحبال الممسوسة؟ ما الذي يمنع جذب غطاسي العالم لشواطئ حقل بسفنهم الصغيرة وكاميراتهم المقاومة للضغط، أرديتهم الجلدية؟ما الذي يمنع تنظيم سباقات القدرة والتحمل للخيول والجمال الأصلية لرعايتها العالمية وضيوفها المميزين؟ [27]

---

[27]- صحيفة شمس 11-5-2006 العدد 122

حاجة في الكورة

تـنط الكـرة بخفـة المطـاط ورشـاقة البـابون بـين الشـعوب، وتغـدو الإمبراطـوريات السياسـية الضـخمة والهرمـة أقزامـا تتلاعـب بهـا المواهـب الكرويـة علـى الحقـل الأخضـر المخطـط بالأبـيض والمحـاط بجمـاهير وحـواجز وشـباك طريـة وكـاميرات، وأضـواء كاشـفة. ويهـذي العـالم بالاكتشـاف الجميـل والمسـتمر للإنجليـز، يتخلـى الساسـة عـن وقـارهم المعهـود و (ينطـون) أيضـا بخفـة المطـاط ورشـاقة البـابون، كـان جوليـو أنـدريوتي الـرئيس الإيطـالي كـذلك في نهـائي 1982، أمـا هيلمـوت شميـدت المستشـار الألمـاني فقـد اكتفـى بشـد ربطـة عنقـه عنـد كـل هـدف إيطـالي، شـيراك الـذي لـبس قمـيص المنتخـب الفرنسـي في نهـائي 1998 رمـى للعـالم موضـة ورمـى للسياسـيين موضـة كمـا هـي العـادة الفرنسـية، يجهل بوش كرة القدم في حين لعبها كارلوس منعم وجيرهارد شيرويدر.

ودعـا تـوني بلـير البريطـانيين إلى الـدعاء كـي تشـفى قـدم بيكهـام قبـل كـأس العـالم 2002، موسـوليني كـان قـد بعـث برسـالة تهديـد للمنتخـب الأزرق في عـام 1938، قـائلا (الكـأس أو المـوت). فيمـا توسـط لـولا الطيـب رئـيس البرازيـل كـي يلعـب رومـاريو ورفـض سـكولاري علـى عكـس كلـودا لاورو مـدرب الكـاميرون في 1990. حينمـا أجـاب طلـب الـرئيس الكـاميروني بإشـراك روجيـه مـيلا قبـل انطـلاق البطولـة، روجيـه مـيلا

في تلـك الكـأس (نـطّ) بخفـة المطـاط ورشـاقة البـابون تمامـا مثـل الكـرة و (نـطّ) العـالم معه.[28]

[28]- صحيفة شمس 14-5-2006 العدد 125

منع الاحتكار

عبأت اليابان الهواء في زجاجات، وقبل ذلك وضعت الأوكسيجين في آلات خاصة. ولا ندري فربما في المستقبل تضع لنا أشعة الشمس في أكياس مؤمَّنة، وضوء القمر في صناديق عزل، خوفا عليهم من الضياع. تمكن حينها المستهلك الذي يعاني عجزا في (التشمس) و(الاستقمار) الحصول عليها عند أي محطة أو بقالة أو تموينات.

وسبق أن بيع الرمل كمشروع استثماري، وكان زبائنه دولاً مثل اليابان تعاني عجزا رمليا وندرة في الطعوس وقلة في المكونات الصحراوية. فإذا استطعنا إقناع اليابان بضرورة استيراد البيئة الصحراوية بمكوناتها مع المناخ، أو على الأقل مقايضتها بالتكنولوجيا وطرق التعليم. فإننا نخلق تعادلا أو توازنا مهما يمنع من خلاله الاحتكار، احتكار الهواء والماء والشمس والأوكسيجين. إضافة إلى العلم والتكنولوجيا والتطور.[29]

[29]- صحيفة شمس 15-5-2006 العدد 126

بوصفها عالما

متعة الإنترنت، تطوافه العظيم بين الحقول والمعارف، وتجواله الذي لا يهدأ في أي شيء وعن أي شيء، الإنترنت التذكرة العالمية الكبيرة، ومتعة العولمة وهبتها الجميلة، والجواز الكوني، والقطار الكهربائي على الخطة الطويلة والسريعة، دخولك معرفا بواسطة address ip وخروجك بلمسة زر خفيفة.

الإنترنت في الأرض جزء من تخلينا لو لم نجده عليها لاخترعناه. والإنترنت الذاكرة البشرية منذ البدايات الأولى والحفر على الصخور، وأسرع الحلول. والحمام الزاجل والبريد والمعاملة ولاغضب والفخامة. الاختباء. الشهرة. والسرعة والدهشة والمجاملة والمتعة والفجور.

فكرة الطائرة والقطار والباخرة والكره والحب والقيم والأفعال والأقوال، والتعليم والتطور والشغب، الإنترنت الخيار الأجمل والممل، فهي العدسة والكوة التي نطل منها على العالم من جبل شاهق، والعذر (البائخ) ضد كل موعد مطاط وشخص ثقيل، والإنترنت العزلة في أحلى تجلياتها.[30]

[30]- صحيفة شمس 18-5-2006 العدد 129

الحل السحري دائما

ما صنعته فورة الأسهم أنها سحبت ألسنة الناس والمجتمع من السياسة والتنظير بها وقناة "الجزيرة" والتحريض بها إلى الاقتصاد ومصطلحاته. وغيّرت مسار الأفكار من الرؤوس إلى الجيوب والحسابات المصرفية، وأدارت العيون عن نشرات الأخبار الرئيسية ومواقيتها في آخر النهار إلى النشرات الاقتصادية بحسانها وتحليلاتهن وأسئلتهن. والمحللون أصبحوا نجوما يضاهون نجوم الفن والرياضة. بحث الناس بلهفة عن خبر أو معلومة وزاروا كل منتدى اقتصادي على النت، وسألوا وتعقبوا وطارت قلوبهم فرحا لكل خبر عن الأرباح والربحية والتوزيعات المجانية للأسهم.

راحت أخبار العراق وأفغانستان وفلسطين إلى آخر قائمة الاهتمامات، وانطوى نجومها إلى النسيان.راح الشحن والتوتر الذي تبثه وكالات الأخبار هدرا، وتوقف أطفالنا عن الأسئلة التي لها علاقة بالسياسة، السياسة التي ركعت دائما عند أقدام الاقتصاد، الاقتصاد الذي أثبت أنه أهم الأشياء في حياة الناس العاديين.[31]

[31]- صحيفة شمس 19-5-2006 العدد 130

مثل خبر عاجل

غاب أسياد التهييج ومنظرو التوتر ونجوم المشهد القاتم، وإن لم تغب رؤاهم، هكذا أسهمت الظروف في انبثاقهم مرة أخرى واستيلائهم على عقل العوام في فترات الأزمة، والعوام لا عقل لهم كما قال أحد منظري الثورة الفرنسية، العوام الذين لا يجيدون سوى الاندفاع خلف كل من يقرع طبلا سياسيا، أو يصيح بهتاف ليقطع حباله الصوتية حتى وإن دفعهم إلى الموت أو النار.

غاب أسياد التهييج وراح منبرهم الإعلامي ومراسلوهم في العتمة ينطفئون شيئا فشيئا. ورغم ذلك لا يزالون ينفخون في قرب سياسية مقطوعة. وينقلون على الهواء كل سيرك خطابي وحزبي حاشد نصب لتمجيد الفراغ ورفع شأن العدم وتبجيل الأبطال الوهميين جباة الأرواح والمستقبل.

الأبطال الوهميين الذين ما إن (يفرقع شكمان) سيارة عابرة إلا ويثب إلى الميكروفونات ناطقون رسميون باسم الشعب المنكوب الذي تأكل من لحمه الدبابات والجنازير كل يوم.

فيما يلهث قادته خلف الحرية، الحرية في الكلام العائم وجمع الأموال والتبرعات إضافة إلى تسلق الأغصان التلفزيونية مثل ببغاوات بربطات عنق. الأغصان التلفزيونية

التي يوفرها مراسلو منبر التهييج والعتمة كلما جاء خبر عاجل. الخبر العاجل الذي ظل يأتي يوميا عشرات المرات منذ 58 عاما.[32]

[32]- صحيفة شمس 22-5-2006 العدد 133

رسالة إلى دافوس

السادة المجتمعون في دافوس. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..أعرف أن لا حلول جاهزة لديكم في منتداكم الطيب، وأعرف أن إصراركم على هذه المنطقة من العالم كونها تأتي بمنزلة الأمل الواعد المليء بالاستقرار والمشاريع الوفيرة واليد العاملة والشباب. وكذلك أعرف أن منتجعا مثل شرم الشيخ يمثل معتزلا جميلا بشمسه ورماله الناعمة، لرؤوسكم المليئة بالمشاريع والخطط والصفات والأحاديث الصحافية والمجاملات.

وأعرف كذلك أنكم مخلصون. بل مخلصون جدا ومؤمنون بأهمية الحوار وتبادل وجهات النظر حول مختلف نقاط الخلاف وأسباب الأزمات ولكن أيها السادة الأفاضل أنتم لا تتحاورون في المستقبل، بل تتحاورون مع الماضي، تتحاورون مع المتورطين بالسياسة والمتورطين بالتجارة، تتحاورون مع أسباب الأزمة وليس مع حلولها.

كل الكوارث بسبب هذه الثنائية المزدوجة. الساسة والاقتصاديون. المصلحيون القادرون على بيع أي شيء وكل شيء. هؤلاء يا سادة غير قادرين على طرح أي شيء سوى مصالحهم ولا يمثلون سوى ما في أرصدتهم من حساب.أيها السادة

الدافوسيون لمحة صغيرة ذكية تثبت لكم أن من هو غير قادر على صناعة الاستقرار في بلده غير قادر على نشره في المنطقة. وشكرا لكم.[33]

[33]- صحيفة شمس 23-5-2006 العدد 134

فهم وليس تعليم

الجهل ليس مشكلة بحد ذاته، والجاهل إنسان تقبل منه وترفض رغم تواضع تعليمه والتجربة الإنسانية ليست محدودة بمقدار ما يجتاز الإنسان من مراحل دراسية بل بمقدار ما ينجح ويخوض تجارب. وكثيرون هم الدكاترة الذين لا نصيب لهم من (دكترتهم) إلا الحرف الذي يسبق الاسم. فلا منطق ولا لغة ولا أسلوب ولا فهم خارج نطاق التخصص. تخصصه الذي ربما يكون تافها، وأيضا غير مهم ولا حيوي. الإشكالية الحقيقية في طريقة الفهم والأسلوب الذي تؤخذ بها المسائل التي إذا ما قستها وفق مفاهيم متخلفة قديمة وبائدة فأنت حتما بائد ومتخلف وقديم؛ حتى لو كانت (الدال) الدالة عليك تسبق اسمك الكريم وتزين مدخله، أما إذا كان المنطق والعقل والاحترام وتقليب المسائل وطريقة التفكير المتجددة هي ما يحكم معالجة المسائل، فأظن أن العقل الذي يحتويها عقل متجدد، أعتقد أن أزمتنا الحقيقية ليست في التعليم، أزمتنا في أسلوب الفهم وطريقته وآلية تقليب المسائل في العقل ومحاكمتها وفق منطق واقعي لا طوياوي.[34]

[34]- صحيفة شمس 24-5-2006 العدد 135

عقدة خواجة

جرجرت (سدافكو) نفسها بنفسها، هكذا بعنجهية (خواجاتية) أضمرت الانتقام بأثر رجعي دون أن تدرك أن المسألة ليست خطابا يتم إرساله إلى موظف بصيغة الأمر لينهي خدماته بذاته، تناست الشركة الموقرة أن التواقيت خانها وجاء على خلفية قضية مهمة وحساسة، وبدلا من إعادة بناء العلاقة مع المستهلك والمجتمع فإنها زادت الشروخ وأضافت تصدعات إلى جدار الثقة، لذا استفز كثيرون من قرار الشركة الذي شعرنا من مجريات أحداثه أنه اتخذ بصيغة تقصدية، وأن مجموعة الشباب الذين طالهم القرار قد وقع عليهم ظلم صريح؛ لذا لم يستغرب لجوئهم إلى مختلف الوسائل لإيصال أصواتهم وإسماع وجهة نظرهم للمجتمع وقنواته الشرعية ووسائل إعلامه.

تحية إلى هؤلاء الذين لم يستكينوا ولم يصمتوا على قرار (الخواجة) لسبب بسيط هو أننا تجاوزنا منذ زمن طويل عقدة (الخواجات)، الخواجة الذي يريد انتزاع الموظفين من وظائفهم بقرار يعممه مدفوعا بدوافع ذاتية.[35]

[35]- صحيفة شمس 26-5-2006 العدد 137

عالم بلا حرارة

تعيش الأغنية حول العالم برودا شـديدا؛ لذا فإن البحث جار وبشــدة عن كل ما هو لاتيني، بدءا من إنريكه إغلايسس، وريكي مارتن، وشاكيرا، وجينفر لوبيز، أما الأغنية العنيفة والحزينة فتجدها لدى الشـوارع الخلفية في هارلم وبرونكس، الشـرق مفتاح الروح، لذا فإن أغنيته عميقة وأبعادها وجدانية وتتحدث في موضــوع واحد بالمجمل، رغم حرارة الأنغام والفردانية الدائمة. موســيقى إفريقيا تتحدث عن ظلم دائم ورحيل ورغبات خفية بالانتقام، فيما أوروبا مشــغولة بالهوس والموضـة والإزعاج وتراثها الكبير، فإن حافظت إيطاليا على بافاروتي فإنها لا تنسـى أنها قدمت مادونا أيضـــا، والإنجليز –كعادتهم– أوفياء للبيتلز كتراث عريق، فيما انطفأت فتيات التوابل وظل بوب جيلدوف يطوف العالم، يجمع التبرعات، وراح جورج مايك يحاول إذكاء نجوميته بمشــاكله التي لا تنتهي، أما إسـبانيا فلا تتخلص من صــوت بلاسـيدو دومينغو إلا بتخلص العالم من الحرارة في صوت إنريكه وريكي مارتن.[36]

---

[36]- صحيفة شمس 27-5-2006 العدد 138

اختبارات

لا علاقة لي مباشرة بالاختبارات منذ مدة طويلة ولا أحب أجواءها المتوترة والمشحونة التي تعلق مستقبل الفتى أو الفتاة بأسبوعين نهائيين لتحديد مصيره، فإذا مرض أو حدث له طارئ توقف مستقبله أو تعطل لعام كامل، وانهار تحصيل تسعة أشهر مقابل ورقة بيضاء مجردة مطالب بملئها كل نصف عام.

الأمر الذي يدفعه إلى خوض معركتين سنويتين رافعا (أكون أو لا أكون) شعارا وعنوانا كبيرا، مع أن القضية لا تستحق أن تؤخذ كقضية وجود من عدم، بل فهم واستيعاب، ولأن المناهج لا تعطي اعتبارا لمسألة الفهم، بل تعلي من قيمة الحفظ، حتى المسائل العلمية الصرفة والكيميائية والفيزيائية والرياضية، لذا فإن وجود كل الضغط النفسي والجو المشحون يسحق النفسية الغضة والطرية للطلبة، بل يتركهم فريسة للقلق والتوتر والشحن مع سنواتهم الأولى في درب طويل اسمه.. الحياة.[37]

---

[37]- صحيفة شمس 28-5-2006 العدد 139

الصيف

أهلا يا سيد الحرارة وملك الفصول والأوقات، عروسك الشمس وتاجك الرياح الساخنة، بصمتك الأماسي الساحرة وتوقيعك الظهيرة، وفيك تنطلق الأحاسيس فوق مستواها الطبيعي ويتدفق الدم في العروق، يتأجج الغضب ويركض اللسان باللعنات الكثيرة والمنوعة.

أهلا يا سيد الحرارة والرحيل وهدية الجغرافيا لنا والطوق المناخي الذي لا ننكره وإن أنكرنا فترات قصيرة من العام وأسلمنا للمطر والبرد.أهلا يا أجنحة الشباب للسفر والانتجاع بعيدا والأفكار المتجددة والمتنوعة والمشاريع الترفيهية القصيرة الأمد.

وأهلا يا نجومية التكييف والثلج والماء البارد وعدو السيارات ومصلحة المياه، وصديق باعة أجهزة التبريد وشركات التشجير ومسوقي الرذاذ والملابس الخفيفة.أهلا بالصيف هديتنا إلى العالم وسيد الفصول وملك الأماكن والطبيعة الأزلية والمناخ الذي نكرهه بقدر محبته والتناقض الأجمل وذاكرتنا الطويلة والرحلة التي لا تنقطع.[38]

---

[38]- صحيفة شمس 31-5-2006 العدد 142

إلغاء

قرؤوا السينما خطأ. وقالوا إنها جاءت لتلغي المسرح بكل تاريخه وضرورته للإنسان. واعتقدوا أن اكتشاف الإخوة لوميير هو بمثابة طعنة في قلب المسرح منذ الإغريق وبالتالي هو طعنة ضد الوعي ولصالح السطحية والتفريغ، ذاتهم قرؤوا التلفزيون خطأ، وقالوا إنه جاء لضرب السينما العظيمة والفن النبيل السابع والمتعة في تجلياتها ورميها إلى غياهب النسيان باعتبار التلفزيون سينما صغيرة توجد في كل منزل لذا فإن الحاجة للذهاب إليها بمسارحها ونجومها وقاعاتها وصالاتها، انتفت وقرؤوا الفيديو خطأ، إذ قالوا إننا الآن نفقد السيطرة على ما يشاهده أبناؤنا لم نعد نتحكم في شيء. لقد انفرط عقد الرقابة العقلية والأخلاق وجاء زمن الفيديو الذي يضرب كل القيم ويفرغ التلفزيون والسينما والمسرح من مضامينهم الأخلاقية والإبداعية الجميلة ويدفعنا إلى درب لا نعرف نهايته، ونفسهم أيضا كرروا الاتهامات مع دخول القنوات الفضائية وكالعادة تمترسوا بكل شيء ومن أجل كل شيء، ودخل الإنترنت على خط الحضارة الإنسانية، فقالوا الآن انتهى كل شيء السينما والتلفزيون والفيديو والمسرح والرقابة والصحافة المطبوعة والأخلاق. ونسوا أن الأشياء الجيدة لا تلغي بعضها بل تتراكم ويبقى لكل شيء جمهوره. ويثبت الوقت أن هؤلاء مجرد قوم يحبون إلغاء المراحل الحضارية في حين أنها موجودة السينما والمسرح والتلفزيون والصحافة المطبوعة والإنترنت والقنوات الفضائية وما سيأتي لاحقا.[39]

[39]- صحيفة شمس 3-6-2006 العدد 145

في البريد الإلكتروني

الذي اخترع البريد الإلكتروني نســـي الدهشـــة والمفاجأة التي يحملها المكتوب الورقي في الثنايا الإلكترونية لجهاز الكمبيوتر. كما أنه نسي أن قرى ومناطق كانت ترسل خلف شخص وحيد وفريد لفك الخط وتركيبه أملا في وصوله إلى حبيب غائب أو أخ طوحت به الدنيا للبحث عن الرزق خلف الحدود والبلاد والقوم الغرباء.

الذي اخترع البريد الإلكتروني نسي (المناديب) والسعادة والنجابين الذين شقوا البراري والنجوع بحقائبهم الجلدية والعناوين التي لا ينسونها أبدا والمحطات التي تنتهي ولا تنتهي أبدا.

الــذي اخــترع البريــد الإلكــتروني نســي أن يــترك فيــه لمســة الحــبر ورقــة الورقــة وطعــم الغـــراء في الأظـــرف واللســـان والحـــرص الـــذي يطـــوى في القلـــوب والأعـــين المنتظرة.[40]

[40]- صحيفة شمس 4-6-2006 العدد 146

إيطاليا

كعادة (أزورية) يبدأ الطليان المونديال بأسوأ الأحوال حتى تخالهم سيخرجون من الدور الأول، ولكن نزعة أحفاد الرومان سرعان ما تنكشف بمجرد تجاوزهم الدور الثاني. وفي هذه المرة، وفي هذا المونديال تحديدا، إيطاليا فريق مكتمل وغامض وقوي في جميع الصفوف، وهي مسألة لم تتحقق منذ زمن طويل. كما أن كثيرين لا يتحدثون عن إيطاليا بشكل إيجابي، خاصة عقب الفضيحة التي أحاطت بالدوري والنتائج المحلية لفرقها. غالبية الترشيحات تصب في مصلحة (السامبا)، وألمانيا للمركز الثاني. والطليان خرجوا من مونديال آسيا بظلم تحكيمي، وقبل ذلك خرجوا من المونديال الفرنسي بضربات الجزاء. وميزة الطليان أنهم فريق كبير، ويعرف أنه فريق كبير، ويعرف أن الآخرين يعرفون أنه فريق كبير، ولكن الحظ السيء لا يقف إلا أمام الفرق الكبيرة التي تحتاج إلى لمسة منه، تماما مثل ما حدث في 1982؛ إذ لم تتدخل ضربات الجزاء لمصلحتها، وإيطاليا تؤمن بأن الحظ أتاها مرة واحدة، وبعد ذلك ذهب إلى غير رجعة. في تلك المرة جاء الحظ إلى رجل اسمه (سكيلاتشي) وجثا على ركبتيه وقال: (أطلب ما تشاء). حينها طلب سكيلاتشي أن يصبح هداف كأس العالم من دون أن يطلب فوز إيطاليا به، وحقق الحظ لسكيلاتشي ما طلب، وأطاحت قفازات جويكوتشيا الحارس الأرجنتيني بإيطاليا وأرضها وجمهورها وتنظيمها خارجا.[41]

---

[41]- صحيفة شمس 5-6-2006 العدد 147

النسر الألماني

إذا أرادت ألمانيا أن تذهل العالم فعليها استحضار أرواح موسيقيها العظماء وفلاسفتها الذين ضربوا العقل الإنساني والفكر بقنابل نووية إبداعية وخلاقة؛ لأن عاصمة النور باريس طبعت القرن العشرين بافتتاحيتها الرائعة وألوانها وتموجات رجالها الآليين وموسيقى ميشال جار وتصاميم سان لوران وحركة الضوء المذهلة والمجاميع الحاشدة، الأمر الذي ترك افتتاحية كأس العالم 1998 الأكثر تأثيرا وإن استلهمت أثينا البعد الحضاري الإنساني وعرضته بشكل مؤثر في افتتاح أوليمبي أثينا 2004، فإن العالم يذكر بذهول السهم الذي أطلقه الرامي الإسباني في افتتاح أولمبياد برشلونة 1992 لإضاءة الشعلة الأولمبية، وفي أولمبياد سيدني 2000 أوقدت الشعلة من الماء وارتفعت عبر درج آلي متسلسل لتقول أستراليا إنها معجزة والضوء وتحقق المعادلة المذهلة في التنظيم والدقة، وإذا كان موسكو قد أوقفت العالم على قدم ونصف بمجاميعها الطلاب الهائلة وهي تحمل اللوحات الملونة للدبة ميشكا وتغيرها في ظرف ثوان معدودات فإن أولمبياد لوس أنجليس 84 أتلانتا 96 وكأس العالم 1994 كانت سمتها البساطة الأمريكية وسرها اللمسة الواحدة، لكن أوروبا كانت دائما مختلفة ومميزة وجميلة وألمانيا كانت دائما مميزة وجميلة ومختلفة وسط أوروبا.[42]

---

[42]- صحيفة شمس 6-6-2006 العدد 148

ستيفان إيفنبرج والمانشافت

لم يتسن للاعب عظيم مثل ستيفان إيفنبرج المشاركة في كأس العالم واللعب في المونديال العالمي بعد مشـــكلته ورميه للقميص واحتجاجه على بيرتي فوجتس العام 1994 و إعلانه الاعتزال دوليا وهو لا يزال في الـ 24.

وسـتيفان إيفنبيرج كابتن بايرن ميونخ أعطى كل شـيء في الكرة، وصـقل فكرة اللاعب القائد والملهم والأســد الذي يجول في الميدان مدافعا متى ما احتاج إليه الدفاع ومهاجما متى ما حانت الفرصـة، كان طويلا قادرا على قطع كل الكرات "الفضـائية" بتعبيرات المعلقين المغاربة عابسـا طوال المباراة بلا هفوات ولا أخطاء وبدقة وتنظيم لا مثيل لهما.

وأظن الكرة الجميلة خسرت حينما منعت الظروف هذا الأشقر المتجهم الدخول في تصنيفات اللاعبين المهمين والمؤثرين والنجوم وإن كانت ألمانيا اليوم بلا نجوم ولا مواهب، فإنها أحوج ما تكون اليوم إلى اللياقة والسرعة والطريقة الكلاسيكية القديمة التي طالما لعبت بها ومنتخبها يزخر بالنجوم، أما اليوم فإنها تحاول نزع جلدها القديم وتغيير أسـلوبها دون مواهب باسـتثناء مايكل بالاك، متناســية أن التغييرات الثورية في أســاليب كرة القدم تحتاج إلى مواهب عملاقة مثل كرويف وزملائه الذين طبقوا الكرة الشــاملة وطريقة بيلاردو 2/5/3 التي جاء على رأســها مارادونا وطريقة إيميه جاكيه في فرنســا المتعددة 1998 التي حولت زيدان ورفاقه وغير ذلك الكثير.[43]

---

[43] – صحيفة شمس 9-6-2006 العدد 151

الفرصة السانحة

بنظرة سريعة تشبه مسح السكانر يمكن قراءة الأوضاع في كل المجموعات، وأرى من خلال هذه القراءة المستعجلة نوعا ما إمكانية حدوث اختراق (يلخبط) أوراق الكرة العالمية، فالمستويات تائهة وغير مطمئنة للمنتخبات الكبيرة باستثناء البرازيل، إيطاليا قلقة و (منرفزة) دائما. وفرنسا تأمل بالصعب والبعيد. وألمانيا بدفاعها المهزوز لا يمكن لها التقدم إلى مراحل متطورة، الأرجنتين بمنتخبها الشاب ستبقى تبكي على (طمام) المرحوم كرويا مارادونا. وإنجلترا أسد من ورق. إذن ما الفرق التي يمكن التعويل عليها؟ تشيكيا قادرة على أن تلعب على النهائي مدفوعة بالجيل الرائع الذي يشارف على إنهاء مسيرته دوليا، واندفاع السويد صفة حميدة في بطولة مثل هذه، في ظروف مثل هذه تزيد فيها فرص الدخول إلى مصاف الأقوياء، هولندا تعاني تغيير جلد كروي وتنزع عنها جيل التسعينيات. ربما البرتغال تحقق اللعب على النهائي إن أجاد سكولارى استغلال الفرصة، وأظنه سيفعل، إسبانيا عبارة عن جثة كروية وستبقى كذلك إلى أن تتخلص من ريال مدريد وبرشلونة، محزنة هذه الكأس حتى الفرق التي كانت تشارك وتلعب للمتعة والإدهاش مثل كولومبيا والدنمارك ورومانيا ونيجيريا لم تصل واستبدلت بفرق تعيسة و(بايخة) مثل سويسرا وتوغو وبولندا وأستراليا.[44]

---

[44] - صحيفة شمس 11-6-2006 العدد 153

الانطلاقة

ينطلق الأخضر اليوم وتنطلق معه قلوبنا يتحرك الصقور على الميدان ويحركون مشاعر شعب بأكمله وجمهور لطالما تعطش إلى الانتصار، وخاض نحوه معارك كثيرة وإننا ننطلق اليوم في البطولة العالمية مدفوعين برغبة طاغية للتخلص من الصورة السلبية في المونديال الآسيوي فإن ذلك يحمل اللاعبين مسؤولية كبيرة وضغطا نفسيا هائلا ولكن لأن الطموح بحجم الثقة فإنني أتمنى أن يفكر اللاعبون في المباراة والمباراة فقط. ويضعوا في عقولهم أن الفوز على تونس ليس صعب المنال وأن فرصتهم للفوز تماثل تماما فرصتنا للفوز وبعيدا عن التحليل والتنظير والقراءات أتمنى أن يؤدي المنتخب مباراة جميلة يهجم ويدافع ويمرر ويسدد خارجا عن الجو العام المتوتر.

فالهزيمة ليست نهاية العالم كما أن الفوز ليس أبديا ومستديما المهم أن يفكر نجومنا بأنهم يدخلون هذه المسابقة وهم أكثر خبرة ونجومية يقاتلون كأبطال ويركضون مثل الذئاب وقبل ذلك وبعده مؤمنين بأن هناك جمهورا خلفهم لن يقبل إلا اللعب الجميل والقتالية التي حتما ستجلب النصر إن شاء الله فإن فازوا فهذا ليس غريبا وإن قدر الله لنا غير ذلك فليس لنا إلا الشكر ولوم المقصر إلى لحظات فقط.[45]

[45]- صحيفة شمس 19-6-2006 العدد 156

وداعا ندفيد لقد كنت لاعبا عظيما

لا نيدفيد ولا بوبورسكي ولا بولك ولا المدرب العجوز بروكنر ولا كل الكتيبة المذهلة نجحوا في الانتقال إلى الدور الثاني؛ إذ يبدو أن إصابة العملاق كولر كانت نذير الشؤم الأول لطي صفحة جيل مذهل ومبدع في كرة القدم، وإن انطفأت قبل أعوام بسيطة تجربة باتريك بيرجر وفلاديمير سميتشر فإن هذا يشكل رسميا غياب هذه الأسماء إلى الأبد في عالم كرة القدم. على الأقل على المستوى الرسمي والمقابلات الدولية. وهذا أمر يحزن كل محب حقيقي وعاشق للمستديرة الساحرة.

كان جيل التسعينات مذهلا. وانتقل بالتشيك إلى مصاف الدول الأولى في تصنيف كرة القدم. وأسس لها دورا فاعلا في الدائرة الأوروبية القريبة والدائرة العالمية الأبعد. ودفع بأسراب من اللاعبين إلى خارج الحدود محترفين وأقوياء وقبل ذلك موهوبين.

في المونديال الذي طوى صفحتها استنفدت تشيكيا كل سرعتها في المباراة الأولى أمام الولايات المتحدة. وتفرغت في المباراة الثانية أمام غانا لصد هجمات النجوم السوداء التي ألقت كتيبة بروكنر إلى ثقب كوني أسود خارج المونديال. أما أمام الطليان فقد اصطدموا بأسوار خارج المونديال. أما أمام الطليان فقد اصطدموا بأسوار روما التي استعصت على الغزاة دائماً. ولم ينجح المدرب في خلق خيارات أخرى أمام منتخب شديد الصعوبة تحتاج إلى عمل مضاعف ولياقة جبارة وتكتيك

عميــق ولاعبــين خــارقين للتغلــب عليه.لــذا يحــزنني أن أرى بافــل ندفيــد يلــوح بالــوداع النهــائي مــع بوبورســكي وبولــك وتشــيك وكــولر راحلــين إلى الــذاكرة كلاعبــين عظمــاء و موهــوبين. قاتــل الله كــرة القــدم تعلقنــا بنجــوم موهــوبين حقيقيــين لتحرمنــا مــنهم بعــد أعوام.[46]

[46]- صحيفة شمس 23-6-2006

شكرا كبيرة

آه أيتها الساحرة المستديرة المجنونة التائهة! لم تمنحينا دقيقة إضافية؛ لتكتمل الفرحة ويحل الضجيج ويكتمل مشهد الفرح السعودي أخضر وجميلا ورائعا، يطرزه نجوم من الذهب خاضوا ميدان اليانز أرينا وبشروا بالتفاؤل وبعثوا الارتياح بعد سنوات من القلق والخوف وعدم الثقة.

آه أيتها الساحرة المستديرة الملعونة! سمحت بكبت الفرحة الخضراء واغتلت المرمى والقلب والعيون والأصابع والقلق والمنازل وكل شيء، ولكن رغم الفرحة الناقصة قليلا فإن المشهد الأخضر لسيد الميادين ومارد الملاعب مفرح ومتفائل وشاب، وكسب باكيتا ورجاله جولتهم الأولى وقدموا إلى العالم شكلا جميلا وزاهيا ومتألقا لهذا الشعب العظيم وقيادته الرائعة وشبابه بقراه ومدنه وهجره وأناسها الرائعين.

أمس كان المساء أخضر، والقلوب خضراء، والشوارع والناس والسماء وكل شيء، أمس كان العالم يرقب بعينيه أحد عشر صقرا سعوديا يصولون ويجولون ويقاتلون كنبلاء ووطنيين كبار تمتلئ أرواحهم برغبة الفوز والانتصار. شكرا لكم أيها الصقور على هذا الأداء النبيل وهذه الروح المسؤولة والعطاء وعدم اليأس. ولو خرجنا بذلك من كأس العالم لكفانا.[47]

[47] - صحيفة شمس 15-6-2006

الزلزال الأرجنتيني

زلزلت الأرجنتين الأرض وسحقت صربيا وأبهرت فرقة التانجو كل من شاهد الكرة على مدى سنوات. ريكلمي وسورين وسافيولا الذي صنع أول ثلاثة أهداف وكريسبو والجميع أعادوا الكرة إلى بساطتها بالتمريرات القصيرة واللمسة الواحدة وسرعة التنفيذ والجرأة في الاختراق والخيال والتناغم. والذي حدث أيضا أن بيكرمان استلهم من أسلافه الذين تعاقبوا على تدريب الأرجنتين سر الفوز في كأس العالم مرتين وسر كرة القدم الحقيقي الذي جاء من أمريكا اللاتينية وهو الاستمتاع والبساطة. لم تركض الأرجنتين كثيرا. وحافظوا على لياقتهم إلى آخر لحظة، مرروا الكرة على الأطراف كثيرا. فجاءت كل الأهداف.. انقطعت لهم كرات محدودة ونفذوا دوائر ومربعات ومثلثات مذهلة. بدت الكرة ملتصقة بأقدامهم. كأنها تنفذ أوامر بالصوت. بينما بدأ الصرب وطريقتهم الدفاعية أشبه بالفراغ. كل شيء في كرة القدم صنعه أبناء بيكرمان ورفاق ريكلمي. أما ميسي فحقق شيئا يشبه الإعجاز: شاب متوقف عن اللعب منذ أكثر من أربعة أشهر يدخل في آخر ربع ساعة يهدي كريسبو هدفاً على طبق من ذهب وفضة وكريستال ويسجل هدفا في واحدة من اختراقاته الشهيرة وكاد يضيف آخر.[48]

---

[48]- صحيفة شمس 15-6-2006 عدد159

ماردونا وبيليه

وللمقارنة بينهما يتخندق كل فريق خلف متاريس من الآراء والشهادات والمفاضلات، وغالبا ما يطغى الجانب الأخلاقي والسلوكي على الفني لوجود شبه اتفاق على الموهبة العظيمة التي يتمتع بها كل من الأسطورتين.

ماردونا رجل انفعالي وتعبير حقيقي وصادق عن المزاج اللاتيني العصبي والمنفعل والموهوب والمثير للمشكلات، فيما لا يكاد بيليه يختلف بحضوره وأناقته وتصريحاته المجاملة والحيادية (إلا فيما يخص البرازيل) عن أي دبلوماسي إنجليزي، كما أن بيليه حريص جدا على مصالحه وإعلاناته ومشاويره المكوكية والجولات الترويجية ومناسبات الـ PR وهذا ليس عيبا أو منقصة.

ماردونا سليل الشوارع الخلفية وبيليه كذلك عاش ماردونا قاع الفقر وقمة المجد والانهيار وخاض حروبا كثيرة على جبهات كثيرة ومتعددة فنية وأخلاقية ورياضية وكان نموذجا للمبدع الخارق البوهيمي والطفولي المتهتك ورب الأسرة الحنون والزوج المحافظ على ترابط أسرته والمذيع والمعلق والسجين والصايع والملهم، أما بيليه وبعيدا عن ابنه الذي فشل في الكرة والتخلص من المخدرات فيسحب لسانه عند كل مناسبة ليعلق على الخطط التدريبية واللاعبين الموهوبين والتكتيك فيما يكتفي ماردونا بالصياح خلف الفريق مشجعا ومناصرا لا يتغير ولاؤه ولا تتبدل قناعته.[49]

---

[49]- صحيفة شمس 18-6-2006 عدد160

إفريقيا.. المتعة المجانية

إفريقيا تستيقظ عبر الفريق الغاني إذ إن لا توغو ولا تونس ولا حتى ساحل العاج عبرت عن نزعة إفريقيا المجنونة والدائمة نحو الاستعراض والخيال اللانهائي وأيضا الغضب في كرة القدم. كانت الفرق الإفريقية تلعب لتعبر عن غضبها التاريخي. وأعتقد أن الكرة هناك أخذت من الرقص الإفريقي الكثير: العنف والإيقاع والسرعة والتحفز.

معظم الفرق الإفريقية تشارك ليس لبلوغ المستويات النهائية ولا لتحقيق أمجاد وطنية كبرى إذ إن المنتخبات الإفريقية تعصف بها المشكلات قبل بداية البطولات والسبب مطالبة لاعبيهم الدائمة بمكافآت الفوز والتأهل وإنما تحضر القارة السمراء للرقص العنيف والاستعراض وتثبيت الدهشة وكشف مساحات ومهارات مجهولة وبكر في كرة القدم ثم سرعان ما تخرج بعد أن ترسخ أسماء أفرادها في الذاكرة.

يمتعون العالم مجانا بلا هدف ولا نتائج ولا التزام تكتيكي وخططي بمعنى أن فريقا مثل الكاميرون 90 أو نيجيريا 94 أو السنغال 2002 كان له وبقليل من المسؤولية الوصول بعيدا إلى أدوار متقدمة في حين أن التكتيك والانضباطية دفعتا فرقا غير موهوبة مثل اليابان وكوريا والسويد 94 وتركيا بعيدا.[50]

---

[50] - صحيفة شمس 19-6-2006 عدد161

خالتي فرنسا

محزن وضع منتخب فرنسا، أداء خال من الروح، تمريرات متعثرة، ثقل في الحركة، ولهاث مستمر خلف الكرة، وهجوم عقيم مرتبك، وحارس أحمق بارد، ودفاع غير متماسك، وخطة مجهولة ولياقة (زي النيلة)، ولاعبون شباب أقرب إلى الاستهتار واللامبالاة والفردية، وهذه ميزة فرنسية منذ كانتونا (انيلكا مثالا).

وحده إيميه جاكيه اكتشف السر النووي الفرنسي وعمل عليه وحصد كأس العالم 1998 وتبعه لوميير الذي كان مساعدا، وبالسر نفسه أحرز كأس أوروبا، لكن هناك مكابرة ما تحدث ويُسأل عنها الاتحاد الفرنسي لكرة القدم. هناك عدم رغبة في جريان توليفة جاكيه لصالح شيء ما لا نعلم ما هو وربما يكون مشروعا سياسيا.

لا نعلم ما الذي يحدث لهم. لا أظن أن التقدم في السن وحده يجعل هذه الفرقة تنهار بهذا الشكل، فعلى العكس تماما نرى هنري وتريزيجيه وفييرا وسانيول وجالاس في سن النضج والتجلي وقمة الألق، وزيدان وتورام حاضرين بقوة وأديا بشكل متكامل دون أخطاء لولا قليل من العصبية.

ثم إن هناك مدربين عظماء وعقليات كروية ضخمة مثل جيرار هوييه وارسين فينغر، لماذا لا تتم الاستعانة بهم بدلا من ترك فرنسا بيد من لا يعرف قيمتها؟[51]

---

[51]- صحيفة شمس 20-6-2006 عدد162

الهواء الذي اشتريناه

شعور مخجل هذا الذي العلاج الأخضر لدى عشاقه؛ سوء تنظيم، وثقل وخوف من الكرة. وارتباك لا مبرر له، ورعب من الخصم. وبطء في الساقين، ورجفة في اليدين، وعصبية وتمثيل بالسقوط داخل منطقة الجزاء، وتمريرات مقطوعة، وأخطاء في التغطية، وتركيز الدوخي على اللعب بالكرات العرضية رغم طول قامات مدافعي الأوكران، وعدم استيعاب الدرس من خطورة لعب الخصوم على الأطراف، والكرات العرضية التي صنعت النتيجة الثقيلة، وسرعة ولوج الهدف الأول الذي بعث شعورا بالخوف عند اللاعبين من تكرار المأساة الألمانية، وتغييرات متخبطة للسيد باكيتا الذي (باعنا الهواء) بتصريحاته وتكتيكاته وقبل ذلك باختياراته. محزن جدا أن ينام هذا الجمهور الوفي والعظيم للأخضر يائسا متحسرا في الوقت الذي تخوض فيها المنتخبات الأخرى فرصتها حتى النهاية. نعم، لقد خدمنا الحظ قليلا حينما أوقعنا في هذه المجموعة؛ فما الذي كان سيحدث لو جاءت قرعتنا في مجموعة الأرجنتين؟! ولكن الحظ يحتاج إلى من يخدمه أيضا؛ يخدمه بمجموعة تمريرات وتسديدات وتنويعات في اللعب هجوما ودفاعا وعدم خوف، والتصريحات المجانية للسيد باكيتا.[52]

---

[52]- صحيفة شمس 21-6-2006 عدد163

مهايط مدربين

قتلت الفرق الكبيرة منافسـيها وهي تشـد حقائبها إلى الدور الثاني بأقل جهد. واعتبرت فرق مثل الأرجنتين وألمانيا والبرتغال وإسبانيا المسألة مجرد تمرين تافه لا يستدعي كل تلك الجلبة، بل إن الأمر بدا لديها تدريبا إحمائيا للأهم والمهم الذي هو في نظرها الدخول إلى المراحل التالية للدور الثاني. والناظر إلى تصـريحات مدربيهم يلاحظ تركيزها على توصـيف حالات اللاعبين الطبية والنفسـية وفحص جاهزيتهم. وبعض التصـريحات البسـيطة هنا وهناك دون تكتم أو تمويهات خالية من المضـمون؛ لأنها فرق كبيرة ومكشـوفة ولا يمثل لها ذلك مشـكلة. أما إذا بحثت عن الجلبة والضـجيج وعدم الاتزان فإنك بلا شـك سـتجده عند مدربي الفرق التي لا تلعب ولا تؤدي وبلا نتائج، ويعتبر المونديال الفرصة الوحيدة لملء الدنيا ضجيجا وإزعاجا بحثا عن عقد جديد أو شهرة آنية أو رزق يأتي من الغيب. [53]

[53]- صحيفة شمس 22-6-2006 عدد164

دروس آسيوية

إذا خرجنا من المونديال وهذا لا يعني بالطبع نهاية العالم ولكنها بالتأكيد نهاية حقبة وبداية مرحلة، نجوم تغيب وأسماء ترحل ومواهب جديدة تدخل نعوّل عليها كثيرا ونعلق آمالنا عليها. كل شـــيء انتهى ويحق لنا الآن وضـــع الرؤوس في الثلاجة والتمتع بمشـــاهدة المونديال من المدرجات الزجاجية في الغرف المكيفة. والاستعداد للبطولات الإقليمية والقارية البعيدة زمنيا.

الآن ينـزع الأخضـر جلـده ويتجـدد مثـل شـجرة طيبـة ومثمـرة إذ لا صـياح ينفـع، ولا غضـب يفيـد، وسـيبقى السـيد باكيتـا في مـا هـو معلـن إلى الآن يصـنع اسـتراتيجيته، ويطبـق التعـاليم الفنيـة لمدرسـته. وأظـن أن هنـاك دروسـا جديـدة يمكـن الاسـتفادة منهـا. دروسـا جديـدة يمكـن الاسـتفادة منهـا. دروس المونـديال الواضـحة العـب وهـاجم ودافـع وثق بقدراتك وبزملائك فقد انتهى زمن البطل واللاعب الذي يدين له الجميع.

وأعتقـد أنـه يجـب علينـا الـتعلم مـن المدرسـة الآسـيوية مـن الـروح الكوريـة واليابانيـة تحديـدا في الجديـة والرغبـة في الكسـب وعـدم اليـأس فهـذه منتخبـات نفـوز عليهـا بسـهولة في البطـولات القاريـة، ولكنهـا تـذهل العـالم في الظهـور المونـديالي، وتقاتـل بفروسـية حقيقيـة حـتى آخـر اللحظـات بـلا نجـم أو حـد أو مفاضـلة معينـة وبطاعـة عميـاء تشـبه الأداء العسكري وأخلاق رياضية راقية وبلاعبين موهوبين.[54]

---

[54]- صحيفة شمس 24-6-2006 عدد166

هزلت

إسبانيا منتخب يعاني فقرا في الإنجازات وعجزا في المواهب وعمى خططيا وتدريبيا فشل طوال سنوات طويلة في خلق سمعة كروية محترمة، يصعد في كل مرة إلى كأس العالم بشق الأنفس وكأنما (يتشعبط) في الحافلة المونديالية في اللحظة الأخيرة. وإذا وصل إلى الدور الثاني فسرعان ما يضرب بـ (الشلووت) الكبير على قفاه.

تحسب إسبانيا مجازا على القارة الأوروبية في كرة القدم رغم أن مستواها يؤهلها وبجدارة للانضمام إلى قارتنا الجميلة آسيا ذات المستوى الضئيل والسمعة التحكيمية الرديئة.أما مسابقة الدوري في إسبانيا فهي دائما أكثر إثارة من أداء الفريق الوطني الذي يلقب لاعبوه بالثيران ولهم من اسمهم هذا نصيب كبير.

واللاعبون الإسبان في مسابقة الدوري أضعف إمكانيات وأقل قدرا وجهدا وبلا شعبية، مقارنة بالمحترفين غير الإسبان. ورغم هذا يصر الجمهور الإسباني على خيال مآتة يدعى راؤول جونزاليس لا يجيد إلا تمثيليات السقوط.

ورغم كل تلك الخيبات وهذه المآسي تأتي الصحف الإسبانية التي أصابها الغرور بتسديدتين لتوريس على أوكرانيا لتقول وبكل فجور إنها ستنتف الديك الفرنسي وتجبر زيدان على الاعتزال.تخيلوا حتى إسبانيا تعرف (المهايط).[55]

---

[55]- صحيفة شمس 25-6-2006 عدد167

كوريا والمكسيك

أرهقت الأرجنتين كثيرا قبل أن تفوز على المكسيك ولولا التسديدة (البازوكية) لماكسي رودريجيز لاستسلمت الأرجنتين بفريقها الشاب والطموح لرهبة ركلات الترجيح التي تحتاج إلى أعصاب هادئة وثقة بالنفس، في حين أن المكسيكان لعبوا كعادتهم دون حظ، ويتشابهون في هذه المشكلة أو الميزة مع الفريق الكوري. فكوريا والمكسيك بقيتا تعانيان ندرة الهدافين وسوء الحظ وعدم وجود اللمسة الأخيرة في حين تتميزان بلعبهما السريع والانضباطية العالية وذوبان الجميع في الفريق.

ألمانيا تقدمت بخطى أكثر ثقة، ولكنها لم تتعرض إلى الآن إلى اختبار حقيقي. أظن أن هناك مشكلة في قلة خبرة خط الظهر وهذا ما سيتكشف لنا في مباراة الأرجنتين القادمة التي حتما هي النهائي المبكر، طريقة الأرجنتين في اللعب ربما تورطه إذا ما شدد الألمان الرقابة على ريكلمي. وأذكر هنا أن باكنباور أوصى جيدو بوكفالد بتشديد الرقابة على مارادونا في نهائي 1990. وقال له: "اخرج معه إلى خارج الملعب لو فعل". في حين غفل لوثر ماتيوس عنه في نهائي 1986 للحظة فحلت الكارثة حينما مرر إلى بروتشاجا.[56]

---

[56]- صحيفة شمس 26-6-2006 عدد168

نحس وحسرة

قتلت الحسرة جورج ويا دون أن تلامس قدماه عشب ملاعب كأس العالم. ولم تعوض الانتخابات الرئاسية التي خاضها ذلك الحلم الذي بدأ عالقا في الحلق مثل مرارة قديمة، وعوضت النجوم السوداء طموح عبيدي بيليه اللاعب الساحر وزميله الدبابة البشرية توني يبواه الذي كان يندفع مهاجما غير آبه بعدد مدافعي الخصم ولا قوتهم، فيما باءت محاولة الأنيق والحالم كالوتشيا بواليا وأشقائه الثلاثة في منتخب زامبيا الاقتراب من التصفيات رغم أنه ظل يلعب إلى سن الأربعين. أما براين روبسون فقد كان على النقيض تماما.

شارك في ثلاثة مسابقات لكأس العالم وكان يخرج دائما في المباراة الأولى مصابا، في إيطاليا 1990 كسرت كتفه وساقيه في 1982 و 1986 في حين فجر أريك كانتونا حسرته مع مانشستر يونايتد أهدافا وإنجازات، وحينما سألوا إيميه جاكيه: لماذا لم تضم كانتونا إلى تشكيلة فرنسا 1998؟ أجاب: أريد الانضباط وكانتونا متمرد، ومن أشهر المنحوسين في نظري باتريك كلويفرت الذي بدأ صغيرا وأهدافا لا يرحم، ولكن انطفأ بسرعة دون أسباب واضحة، وكان يمكن ضم شيفشينكو إلى القائمة لولا أن بلوخين كان له رأي آخر.[57]

[57]- صحيفة شمس 27-6-2006 عدد169

مديح في رونالدو

سحق رونالدو اللاعب العظيم كل من انتقد أداءه، وأخرس المتكلمين عليه بسوء منذ بداية المونديال. رونالدو الذي يعشق الضغوط ومحاولات الانتقاص ويرد دائما بأدائه الخارق للعادة والسهل الذي يعتمد خلاله على الاندفاع والسرعة ومهاراته في المراوغة، رونالدو ربما لم يعد سريعا كما في الأيام الخوالي. ولكن تكوينه الجسماني يشكل حاجزا ضخما ومانعا للصدمات. هو تحديدا مثل كاسحة الألغام لا حل له.

متى ما كان في الموعد. وقبل كأس العالم 2002 قالوا إنه انتهى بسبب إصابتين متتاليتين لحقتا به أقعدتاه لمدة عامين. ولكن التحدي الذي يعشقه رونالدو والروح الكبيرة التي تقوده إلى تحطيم الأرقام حاضرة دائما في المناسبات الكبيرة. وتشكل المباراة القادمة للبرازيل ورونالدو حدثا مميزا. فإن لاقت البرازيل فرنسا فإن ذلك سيكون تكرارا لنهائي 1998، ساعتها سيطيب الانتقام ويحلو رد الدين الثلاثي الفرنسي بوجود زيدان ورفاقه.

أما إذا فازت إسبانيا وقابلت البرازيل فإن رونالدو سيطرب فرحا؛ لأنها الفرصة المناسبة لتحطيم الإسبان وإلقاء منتخبهم خارجا بثلاثية أو رباعية. الإسبان الذين ظلوا ينحازون إلى لاعبهم راؤول دوما ولا ينظرون إلى إنجازات سواه ويتجاهلون

بالطبع لاعبا عظيما مثل رونالدو يركض في البرنابيو ونوكامب ويسجل الأهداف مثل ماكينة تهدر جديدة وقوية.[58]

[58]- صحيفة شمس 28-6-2006 عدد170

البرتغال والنزعة الجديدة

يتوهم الإنجليز كعادتهم ويعقدون آمالا كبيرة على تجاوز البرتغال التي اكتشفت مع سكولاري نوعا جديدا من طرق اللعب تعتمد إرهاق الخصوم من الأطراف ومباغتتهم مع صلابة دفاعية واضحة وسيطرة على الوسط وإلهام فيجو وشغب كريستيان رونالدو وفلسفته الزائدة مضافة إلى دأب ديكو وغريزة باوليتا في التهديف.

والإنجليز كعادتهم منذ قرون يأخذون خطة المدرب إن وجدت مجرد برستيج أو رفع عتب أمام الإعلام العالمي وخبراء اللعبة إذ سرعان ما يتخلون عن المدرب وخطته ليعودوا غريزيا إلى كلاسيكيتهم المملة في لعب الكرات الطولية العالية والتسديد من الخارج عند أول هزة وأول هدف يلج مرماهم، كما أنهم سرعان ما ينكمشون إلى الدفاع متى ما سجلوا، وهذا ما يفعلونه دوما وما أهداف كراوتش وكول وجيرارد وبيكام في المونديال إلا دليل واضح على أنهم غير قادرين على تجاوز أنفسهم ليتجاوزوا المنافسين وهذا ما يدفعني إلى القول إن توقعي الخاص بالنتيجة سيكون هزيمة إنجليزية دون (رتوش)؛ لأن إنجلترا لم تقابل فريقا قويا إلى الآن سوى السويد الذي هو عقدة إنجلترا وسبب تخصص السويد بهذا الشرف بسيط وهو أن السويد تلعب بالطريقة ذاته التي تلعب بها إنجلترا.[59]

---

[59]- صحيفة شمس 29-6-2006 عدد171

عن عدنان حمد وتعليقه

ميزة عدنان حمد بين المعلقين، إن وجدت، قدرته الهائلة على الشطط خارج المباراة، والحديث عن قصص غير مهمة بنبرة صوت فيها نوع من الاختناق حتى تكاد تعد أنفاسه، مع سرعة في الحديث غير مبررة.

لم يتغير عدنان ولم تزدد ثقافته الكروية معلومة واحدة من أول لحظة اصطدمت فيها أذناي بالموجات الصادرة من حباله الصوتية، حفظها الله له، وأسبغ عليها من فضله.

وعدنان حمد ليس يوسف سيف أو محمد نجيب حتى نحبه، وليس علي سعيد الكعبي حتى نحترمه، وليس الحربان حتى نحفظ له تاريخه، وليس الشوالي بمعلوماته وانفعاله الواضح والجميل، كما أنه ليس حمادة إمام بتلقائيته الرائعة، ولا علي حميد بتميز ردة فعله، ولا الأخضر بريش بسرعته، وليس أشرف شاكر بهدوئه، ولا خالد الحسني باللسان التونسي الجميل.

عدنان حمد في تعليقه وصوته ومداخلاته وأسئلته شيء مثل كآبة خالد الغول ورسمية أيمن جاده وثقل دم الهاشمي بأناقة حمد جاسم الزائدة عن الحاجة، مع ضحالة معلومات وضاح الصادق ومديح سعيد غبريس المجاني وافتعال أحمد شوبير للصراحة وتحليلات محمد حماد التعميمية. تعليق عدنان حمد يشبه تتمشى على جليد الصالات بحذر للعب كرة القدم ذي صواميع معدنية.[60]

---

[60]- صحيفة شمس 30-6-2006 عدد172

الرحيل الأرجنتيني

أطاح بيكرمان بمنتخبه الفذ وتوليفته الرائعة خارجا بخطأ استبداله لخوان ريكلمي، ولكأنما أعطى المانشافت الفوز على طبق من ذهب هدية للضيافة وتقديرا للمعازيب. الأرجنتين المرعبة التي كان الدفاع الألماني (يتناقض) أمام سرعة مهاجميها ومهاراتهم العالية وانشغل بالتكتل محاولة لاستيعاب السيرك المنصوب في حين لم يجرؤ الهجوم الألماني من الاقتراب من حمى منطقة أبو دانديري الذي خرج مصابا.

ورغم تركيز بيكرمان على الناحية اليمنى الألمانية عبر سورين أولا ثم تيفيز، ورغم ارتباك فردريش الشديد وطول قامته. لم يستغل الأرجنتينيون هذا الخلل الواضح. وأظن أن ميسي كان سيشكل حلا ناجعا ومصدر خطر دائما بانطلاقاته وسرعته الهائلة. ميسي الذي كان الغائب الأكبر والمفتاح السحري لعبور الأرجنتينيين إلى المرحلة المقبلة، الأرجنتينيون أكثر الفرق اكتمالا وإثارة للبهجة التي استلهمت روح كرة القدم الحقيقية بلا فذلكة وتكتيك زائد وحساسية مضاعفة، الأرجنتين 2006 هي برازيل 1982 التي لعبت للمتعة وخانتها الظروف، وبيكرمان 2006 تيلي سانتانا الذي لم ينجز شيئا. ظلت أجيال عشاق كرة القدم تتذكره وتشيد بنزعاته الرائعة في كرة القدم.[61]

---

[61]- صحيفة شمس 1-7-2006 عدد173

مجاملة

سقط صغار الفرق بسهولة شديدة ولم تحظ سوى أوكرانيا بلعبة حظ جيدة قادتها إلى دور الثمانية، وقد شهد المونديال السابق نشاطا للعبة الحظ التي صعدت بفرق مثل تركيا واليابان وكوريا الجنوبية إلى قبل النهائي ودور الثمانية ولولا أن الله أنقذ كرة القدم بفوز البرازيل باللقب لأصبح مونديال 2002 وصمة عار في تاريخ كرة القدم نتائج وتحكيما وأداء وتوقيتا ودفع الناس إلى إعادة التفكير مرة أخرى في كرة القدم.

في ألمانيا كل شيء مكتمل لا مجال الآن للصدف باستثناء مذبحة البطاقات الحمراء والصفراء التي قادها حكم مباراة هولندا والبرتغال التي ذكرتني بمذبحة أخرى قادها الحكم جمال الشريف في مونديال 1990 رفع خلالها الشريف عددا أكبر من البطاقات الملونة مع تجاوز الإشارة إلى خطأ حكم مباراة إيطاليا وأستراليا لأنه خطأ مثل الصواب. الآن إن كل شيء يبدو مجهزا بشكل جيد ولن يفسد هذه الأجواء العظيمة سوى فوز الألمان بالكأس لأنهم بصراحة مطلقة فرقة غير مقنعة تعاني الضعف الدفاعي الواضح وقلة الحلول ولولا أن أهدى بيكرمان بتغييره الخاطئ لريكلمي المباراة إلى الألمان لشاهدت فرينغز وميتسليدر وفريدريش وبودولسكي يشاهدون النهائي على المدرجات مستمتعين بالبوظة.[62]

[62]- صحيفة شمس 2-7-2006 عدد174

إنجلترا في مكانها الطبيعي

لشد ما فرحت لخروج إنجلترا لأنه كان خروجا محتما لكل قارئ حقيقي لتفاصيل الكرة الإنجليزية التي تحتاج إلى إعادة بناء من جديد، رغم خضوعها لعملية تحديث قسرية من الاتحاد الأوروبي بعد قانون بوسمان الشهير الذي فتح المجال لحركة وحرية انتقال اللاعبين.

والدوري الإنجليزي الذي كان عصيا على التغيير والتحديث وتمتع لسنوات بمناعة قصوى ضد التحديث ها هو اليوم يفاخر بلاعبين غير إنجليز ومدربين من خارج حدود بريطانيا العظمى التي لم تعد كذلك، يفاخر بالأرسنال الذي هو نتاج فينجر الفرنسي وبيرجكامب وهنري وباتريك فييرا. ويفاخر بليفربول الذي هو نتاج جيرار هوييه. ويفاخر بمانشستر الذي هو نتاج كانتونا وسولسيكيار وبيتر شمايكل. ويفاخر بتشلسي الذي هو نتاج فيالي ورود جوليت وزولا ومن بعدهما أموال إبراهيموفيتش.

خرجت إنجلترا غير مأسوف عليها ولا على بيكامها ولا روني الذي خرج دون أدنى شعور بالمسؤولية، روني فقاعة الصابون الإنجليزية التي لا تدرك أدنى شعور بالمسؤولية فيما كان بيتركراوش وجون تيري مثل الأبطال تفرغ روني بأذنيه المعقوفتين ورأسه الذي يشبه البالون إلى الضرب والركل والتبختر في الملعب الذي حرثه الإيبيريون بمدربهم الفذ سكولاري الذي ضرب

للإنجليز موعدا في المناســـبات الكبيرة لتعليمهم كرة القدم الحقيقية الخارجة من رحم المهارة لا النفخ في القرب والاستمتاع ببيع الوهم للهوليجانز.[63]

[63]- صحيفة شمس 3-7-2006 عدد175

قادة حقيقيون

في كرة القدم تحديدا تبرز أهمية وجود قائد حقيقي على أرض الملعب يوجه ويدير دفة الفريق ويحمس أفراده ويرفع من روحهم المعنوية في لحظات الخسارة والتأخر، ومن أهم هؤلاء القادة كان لويس تشيلافيرث قائد باراجواي وحارس مرماها المثير للجدل والشغب الذي كان يندفع من مرماه إلى وسط الملعب للاحتجاج على الحكم والنقاش عند أدنى مخالفة، كما كان ستيفان إيفنبرج قائد بايرن ميونيخ الكئيب المتجهم الذي يبقى دائما في حالة غضب وعدم رضا عن أداء زملائه. ومن أغرب القادة كان هريستو ستويشكوف قائد بلغاريا سابقا الذي يدخل في نقاشات مطولة مع الحكام إلى أن ينال بطاقة ملونة، وكان جورج هاجي آلة بشرية لصنع الفرص والأهداف وظل يلعب إلى بلوغه الأربعين بالرشاقة ذاتها.

أما مارادونا فظل حالة خاصة في كل شيء، وسيبقى كذلك. وأذكر أن تيري بوتشر قائد المنتخب الإنجليزي في 1990 وفي مباراة التأهل الحاسمة أمام السويد قبل المونديال أصيب في رأسه وبدأ الدم ينزف شيئا فشيئا، وكان بوبي روبسون مدرب إنجلترا قد استنفد تغييراته القانونية، ظل بوتشر قائد الفريق وقلب دفاعه يركض والدماء تنزف من رأسه حتى غطت قميصه الأبيض، واستمر بوتشر في أدائه القتالي حتى أصبح لون جواربه أحمر. تأهلت بعدها إنجلترا ووضع قميص بوتشر وجواربه في

المتحــف الإنجليــزي الــوطني لكــرة القــدم تقــديرا واحترامــا لعطــاء بوتشــر قلــب الــدفاع الإنجليزي المقاتل.[64]

[64]- صحيفة شمس 5-7-2006 عدد177

الحل في الشارع

ألمانيا تسقط من جديد، لا لسوء التنظيم والإعداد، ولا لقلة الخبرة والمدرب وتكتيكاته.. ألمانيا سقطت؛ لأنها آمنت بأن اللياقة والأداء الميكانيكي والالتزام الجاد هي الأمور التي تكفل الفوز والظفر بالكأس الغالية. وهذا صحيح نوعا ما، إلا أن هناك أمورا يجب أن تضاف إليها لتحقيق تكامل المنظومة، يجب أن تضاف خواص، مثل: الموهبة، وقليل من الرعونة و(الشوارعية).الدوري الألماني ذاته ليس نقطة جذب للمميزين من اللاعبين.. الدوري الألماني يشبه صالة الألعاب الجمانزيوم ترفع معدلات لياقتك البدنية فقط، ولكنها لا تكوّن لديك الجسم المثالي والصحي.

ولاعبو منتخب ألمانيا المهزوم يشبهون أولاد (الذوات) النظيفين والمرتبين أكثر من المطلوب، وأعتقد أن لا أحد منهم لعب كرة في الشارع، ولا أطلب ذلك، ولكن الشارع وكرته ضروريان جدا؛ لأنهما يخلقان شيئا غريبا في عقل وروح الممارس أقرب إلى رغبة الفوز التي لا تموت، اعتمادا على الإيمان بالذات والجماعة، كما أنها شيء مثل روح الانتقام ولكنه ليس الانتقام.[65]

---

[65]- صحيفة شمس 7-7-2006 عدد179

المعركة الأخير للفرسان

اشتعلت المراهنة على الفريق الفائز بكأس العالم 2006، والترشيحات تنزع إلى توزيع الفرص بين الطليان والفرنسيين، والطليان إن تفوقوا في التسجيل وتكامل الصفوف والنزعة التي أثبوتها للفوز في اللقاء الأخير أمام ألمانيا، فإن الفرنسيين يخوضون هذا اللقاء بنظرية المعركة الأخيرة للفرسان قبل أن يترجلوا نهائيا، ويغيبوا عن المستطيلات الخضراء فزيدان ميكاليلي وهنري وتورام وبارتيز وفييرا وسانيول لن يلعبوا في الكأس العالمية مرة أخرى، ويدركون أن هذا اللقاء فرصتهم التاريخية؛ لإثبات أنهم أولاد الذهب والإنجاز وصانعو المجد الحقيقي للكرة الفرنسية، الكرة الفرنسية التي ظلت دائما في الظل وكانت عقدة النقص الوحيدة لبلد لطالما أذهل العالم وقاده إلى الإبداع في كل شيء، فرنسا البلد الذي أهدى لكرة القدم فكرة كأس العالم، فرنسا بزيدان ورفاقه تردم الهوة وتعيد الاعتبار لنفسها، زيدان الذي يعرف الإيطاليين جيدا، وكذلك تورام وتريزيجيه وفييرا.[66]

[66]- صحيفة شمس 8-7-2006 عدد180

الحلقة الأخيرة

لمسة أخيرة ويسدل الستار على أجمل البطولات، كأس العالم 2006، الأفضل تقنيا وتنظيميا وإجرائيا، وإن لم تكن الأفضل مستوى ونتيجة وأداء، مع غياب المفاجأة والنتائج الغريبة والنجوم الجدد. ألمانيا التي وفرت كل شيء من أجل ألا تشوب مونديالها شائبة، ها هي تصدم بكونها تلعب على المركزين الثالث والرابع. كتيبة كلينسمان اهتزت أمام المنعطف الإيطالي، فحق عليها اللعب أمام البرتغال؛ جبرا للخواطر وكفكفة للدموع التي سفحها جمهور المانشافت المحتشد أمام بوابة براندنبيرج.

وأظن أن أهم السلبيات التي لوحظت في المونديال طغيان الطابع الأوروبي على أداء الفرق المختلفة، باستثناء البرتغال التي منحها سكولاري لمسة السحر. كما أن من سلبيات المونديال وجود طبقة عريضة من الفرق ضعيفة المستوى، وكذلك قلة المباريات التي حوت أهدافا كثيرة، كما أن الأهداف الملعوبة والفاتنة قليلة جدا، إذا ما استثنينا أهداف إيطاليا أمام ألمانيا وهدف رودريجيز أمام المكسيك.

تطوي الرحلة الألمانية اليوم آخر أوراقها، وتدخل التاريخ بفائز وحيد، ويعود كل شيء ذكرى جميلة وأياما رائعة سننتظر طويلا حتى نخرج من بهجتها ونعود إلى ذواتنا كما كانت قبل المونديال.[67]

---

[67]- صحيفة شمس 9-7-2006 عدد181

بورتريه للذكرى مع التلوث والحرب

أعتقد أن التلوث قضية خطيرة نعانيها جميعا تلقي بظلالها الثقيلة والكئيبة على المستقبل. وعلى صعيد التجارب الشخصية كان الدخان الثقيل الأسود لاحتراق آبار النفط ثابتا فوق رؤوسنا المراهقة بأمتار قليلة، كنا نستطيع ملامسته كلما طاردنا الكرة في الساحات الترابية. وأذكر أن الثياب البيضاء تجارة كسدت آنذاك، وحلت مكانها البنطلونات الزيتية والقمصان السوداء، كمحاولة شابة للالتفاف على الغسيل والماء الملوث والسماء الملبدة.

كان المطر أسود والشاطئ دبقا ملغما بألغام الفالامار المرعبة والقاتلة التي تقفز مسافة متر ونصف إلى الأعلى وتنفجر برأسها الشوكي، وكانت الصحراء مزرعة لمضادات الدروع المشرشرة والمفلطحة والشراك التي لا تصدأ ولا تموت والألغام الفردية التي قضمت أقدام أصدقاء وبترت أيادي أحبة ظلوا يمشون مثل أوتوجرافات للحرب المتوحشة التي نهشت من روح جيل عاصرها وشاهد هولها وسخريتها. الحرب الكئيبة التي تزن في الدماغ مثل صوت محطة كهرباء.[68]

---

[68]- صحيفة شمس 10-7-2006 عدد182

تلويحة أخيرة لمشوار عظيم

حوصرت إيطاليا طوال شوط أصلي وشوطين إضافيين، وتفنن المايسترو في التمرير والتصويب والتسديد وتنفيذ ركلة الجزاء التي تحركت بشكل لولبي من داخل المرمى إلى خارجه بعد أن أطاحت ببوفون في الجهة المقابلة وخدعته أمام كاميرات العالم. إيطاليا التي لجأت إلى ضرب فيرا وإخراجه من أرض الميدان مصابا بعد أن رجّت دماغ تييري هنري بضربة فنية منذ البداية. ها هي تحتفل بالكأس بعد أن استفزّت زيدان وطردته بعد النطحة الشهيرة التي غطت على نطحة أورتيجا في كأس العالم 1998 لفيليب كوكو.

إيطاليا العنيفة التي مارست العنف المباح وغير المباح، وأسقطت وعرقلت ودفعت، ها هي اليوم ترقص على المنصة فرحة مزهوة، وحتما تستحق ذلك، والذين فوجئوا بنهاية زيدان المثيرة وشحذوا سكاكين الأخلاق والروح الرياضية والمثل نقول لهم: تريثوا قليلا، قدر الأساطير ألا تنتهي نهايات اعتيادية، وقدر الكبار أن يبقوا كذلك. أما أنت يا فرنسا العظيمة فإنك ستنتظرين طويلا وطويلا حتى يتحقق لك ما تحقق؛ لأن المواهب الكبيرة لا تأتي إلا نادرا وبعد زمن طويل. ولك يا زيدان في ظهورك الأخير تحية وتلويحة وذكرى وأهداف وحكاية مجد لا يمحوها (كرت) أحمر. بل تظل في

الـذاكرة والقلـب تهفهـف وتـرف مثـل رايـة وأشـجار، مثـل أطيـاف سـاحرة وأخـاذة، أطياف تشبه قمرا قديما.[69]

[69]- صحيفة شمس 11-7-2006 عدد183

الغضبة الزيدانية!

النطحة الزيدانية لماتيراتزي أثارت الشجون والشؤون والأسئلة، وعلقت الأجوبة. وحركت البحث والاستقصاء، زيدان من جديد يقيم العالم ولا يقعده وبعيدا عن ما قاله ماتيراتزي الذي لن يتجاوز الإهانة أو الاستفزاز أو نفخة التعالي الرومانية القديمة التي كانت تجلب البشر من مختلف أصقاع الأرض؛ لتضعهم في ساحة واحدة يتصارعون مع بعضهم أو مع الأسود والنمور والضواري ليستمتع السادة الرومان بمنظر الدم والتأوهات من أجل روما وقياصرتها وأسوارها التي تحطمت بفعل الكبرياء الزائفة.

المافيا التي سلبت الكأس باستفزاز واضح. لعبت كرة قدم وأعصاب وماتيراتزي الذي رفض الإجابة عن الأسئلة التي دارت حول نوعية الكلام الذي وجهه لزيدان حاول الظهور بمظهر الضحية، وللمرة الأولى أرى شخصا يفاخر بجهله في محاولة للهرب من القضية. القضية التي أظن أنها أكبر من ماتيراتزي وزيدان، القضية التي دفع ثمنها ثيوفان جوخ وسلمان رشدي وتسليمة نسرين وإيام هيرسي وهي التعالي بدعوى الفهم و العنصرية الإقصائية بدعوى التحرر والجهل بدعوى التعبير التي تجعلني أقول لماتيراتزي؛ لقد تورطت بالفعل فالمسألة أكبر من مماحكة كروية.[70]

[70]- صحيفة شمس 12-7-2006 عدد184

شذرات مونديالية

لم يحمل كأس العالم مفاجآت كثيرة ونتائج مذهلة وربما أخذ من الألمان باعتبارهم (المعازيب) طابعهم الرتيب ومزاجهم البارد وأيضا إيقاعهم الهادئ وترتيبهم الدقيق، غير أن هناك أحداثا مهمة ألقت بظلالها وأثرت كثيرا طوال المونديال. أول الأحداث معركة القفازات بين أوليفر كان ويانس ليمان، هذه المعركة وضعت أوزارها بإعلان الأول اعتزاله اللعب دوليا وهو الذي بقي طويلا على دكة الاحتياط قبل مونديال 2002 وبعده، وابتعد الثاني واكتفى باللعب على مستوى الأندية بعد أن أخفق في تحقيق إنجاز يعادل إنجاز كان.

ركلة جزاء أستراليا كانت حديثا للصحافة الرياضية وألقت ضوءا ثقيلا على الحكام ولجنتهم الفنية. الحكام الذين دائما ما يكونون على مذبح التبريرات والإخفاق، صحيح أن لهم أخطاء فادحة إلا أن ذلك لا يجرمهم تماما ولا يبرئهم أيضا لأنهم بشر في النهاية.[71]

[71]- صحيفة شمس 13-7-2006 عدد185

موسم التسمم الجماعي

غالبا ما نقرأ عن موسم للتسمم الجماعي مع بداية كل فصل صيف، وكأنما نحن على موعد مع أقسام الطوارئ والأملاح وارتفاع درجات الحرارة. المحير في الأمر هو الغياب شبه التام للبلدية ووسائلها الرقابية في مراقبة محال بيع الأطعمة والمأكولات وكذلك المطاعم.

وأعتقد أن جولة بسيطة على الواجهات التجارية تكشف جانبا مهما من توافر وسائل حفظ المواد وكذلك صلاحية المعدات وأجهزة التبريد، كذلك مطابقة الشروط الصحية على العمالة الرثة التي تعيث فسادا وتسمماً في أجساد زبائن المطاعم الرخيصة في المناطق البعيدة والنائية. وكل الخوف أن يتحول التسمم إلى حالة فصلية تشبه العطلات والسفر والربيع والعودة إلى المدارس، وبدلا من أن يجهز الناس أنفسهم وأسرهم للرحيل إلى البرية مثلا، أو أن يشدوا الرحال إلى مناطق الاصطياف والنزهة تتحول بواكير الصيف إلى موسم للاستعداد لصد هجوم التسمم السنوي الذي أظن أنه سيضرب دائما وكلما وجد الفرصة ما لم يتحرك جهاز البلدية سريعا.[72]

[72]- صحيفة شمس 14-7-2006 عدد186

عالم عجيب

داخت الكرة الأرضية كثيرا وقلبت رأسها يمينا ويسارا للبحث عن الفريق الفائز أو المرشح للفوز بكأس العالم. دخلت الكرة الأرضية ومحبو كرة القدم تحديدا في سباق كبير للتوقعات من سيربح المليون الكروي؟ استعانوا بكل الأصدقاء، وحذفوا كل الإجابات واستبدلوا الأسئلة، واستنفذوا كل الوسائل، و أتخمت خدمة الـ 700 وخدمات الرسائل النصية بالتكهنات والأسماء والأرقام الهاتفية.

فتحت القنوات الفضائية والإذاعات جيوبها للملايين والدولارات، في حين قدمت جوائز بالملاليم والقروش، شركات الأجهزة الإلكترونية فتحت شدقيها لالتهام كعكة البحث عن انقى الصور والأصوات التقنية، (فيفا) نقل الموضوع من تسلية إلى بزنس صرف يتحكم فيه رجال قساة القلوب نهمو الجيوب، لا يهمهم من العالم إلا مقدار ما يدخل إلى الحساب الفيفاوي من أموال، السياسيون يرون في المونديال فرصة لبيع الوهم وزبرقة الصورة والترزز وحده الجمهور يخسر ويدفع ويصرف وتحترق أعصابه ويتحمل صوت عدنان حمد وثقل خالد الغول.[73]

---

[73]- صحيفة شمس 15-7-2006 عدد187

لبنان وحيدا

تـرك لبنــان وحيــدا أمــام الثــور الحديــدي الإســرائيلي الهــائج والمطعــون الــذي يهــدي اللبنــانيين يوميــا مطــر النــار، وأقــواس القــذائف، وأصــوات صــافرات الإنــذار، والــدخان الأســـود الكثيـــف، والتهجـــير، والحصـــار الاقتصـــادي، والطـــائرات الـــتي تخـــترق جـــدار الصــوت، والــدبابات الــتي تضــرب لمــدى بعيــد ولا تهــدأ، والبارجــات الرابضــة يوميــا علــى صفحة الماء السمائية على طول الساحل اللبناني الجميل والمتوسطي.

إسـرائيل أيضــا تهــدي البشـرية منــذ عقــود صــور المــوت علــى خلفيــة فيــديو كليــب مــن الأشـلاء المقطعـة والمبـاني المهدمـة والمـدنيين الـذين يفـرون والجلسـات الدبلوماسـية وأكـبر كميــة مــن القــرارات الدوليــة، إســرائيل بابا نويــل المجــازر الــذي يخبــئ القنابــل للأطفــال في لحيتــه، واليورانيــوم والنــابالم والفوســفور في حقيبتــه، بابا نويــل الجــوال علــى زلاجــات مــن الجنــازير تجرهــا غــزلان رنــة معدنيــة ومصــفحة تهــدد كــل المقتربــين منهــا بمخــزن مــن الــرؤوس النووية تكفي لتفتيت الارض.[74]

---

[74]- صحيفة شمس 17-7-2006 عدد189

مشهد عابر في
الحرب الطويلة

الكاميرات التي تتجول بين مشاهد الخراب الكبير والعمائر النصف مهدمة ووجوه السيدات الهلعات والرجال القتلى والجرحى تؤكد أن لا هدف محدد في الحرب ولا مناطق محرمة لا رادع أخلاقي ولا دوافع حالمة ولا مقاصد نبيلة.

الحرب التي تفتح فمها مثل حوت الأساطير الكبير تلتهم الإنسان والحضارة والآلة والمكان والزمان، وتطحن الأمل بجنازير الدبابات، وتغطي وجه الشمس بغبار القصف وأدخنة النفاثات ونار الحرائق، الحرب التي تشع مثل بقايا ذرية ونفايات نووية في الأرواح لسنين طوال يبقى تأثيرها عصيا على التبدل والفناء.

الحرب التي يلعب بها الساسة مثل كرة البينج بونج يستخدمونها أيضا حافلة للعبور إلى برامجهم الطموحة وأجنداتهم الخفية، ويدفع الثمن في كل زمان ومكان المارة والعامة والبسطاء في الأيام الطويلة، العابرون خفافا والذين لا يريدون أكثر من ستر الحال.[75]

[75]- صحيفة شمس 20-7-2006 عدد192

ثورة الابتعاث الثانية

نهض جيل السبعينات المبتعث إداريا وتقنيا وعمل جسرا هائلا ومتينا مع التقنية والتطور والتحديث والعالم المتمدن واستطاع بعد نضوجه في الثمانينات تولي زمام كثير من الأمور والملفات المهمة واستطاع خلق ديناميكية إضفاء الحيوية على قطاعات كانت تفتر إلى ذلك.

واليوم تعطي وزارة التعليم العالي، وحسنا تفعل، الكثير من طلاب الثانوية العامة أجنحة وتأشيرات للخروج ونهل العلم ونقل المعرفة واكتساب الخبرة العملية الكافية للعودة قريبا إلى الوطن والدخول في هذا المعترك التطويري الكبير والمشروع التحديثي المستمر الذي لا ينتهي.

تدفع الوزارة بالطلبة خارجا وهي بذلك تحفز الشباب على التجربة والاندفاع في هذا العالم الكبير والمتسع المترامي الأطراف ثقافيا ومعرفيا وإنسانيا، وهذه الخطوة الجبارة ستنعكس كثيرا على مستويات تفكيرهم وسلوكهم وتجربتهم في الحياة والمعرفة، التجربة التي حتما ستغير الكثير فيهم وفينا مستقبلا.[76]

---

[76]- صحيفة شمس 26-7-2006 عدد198

الدخول إلى التعليم الجامعي

بالتزامن مع ثورة الابتعاث الثانية التي تطلق الأبناء والإخوة نحو بلدان العالم أرجو أن ينتبه إلى قضية تعتبر الجانب الآخر الذي لا يقل أهمية عن عملية الابتعاث، هذا الجانب هو فتح المجال على مصراعيه أمام الجامعات والكليات العلمية والنظرية العالمية والدولية للدخول إلى قطاع التعليم العالي بحيث تصبح الخيارات التعليمية متعددة ومتنوعة ورافدا حقيقيا للفكر التعليمي ولخلق طفرة في المستوى والتحصيل النهائي، وكذلك إفساح المجال أمام دخول أفكار جديدة وأساليب متطورة تضخ دماء وأفكارا وأناسا في العملية التربوية والتعليمية، وتخرج عن الأنساق المعتادة وتساهم في خلق عملية تنافس حقيقي تثري وتعطي وتغير وتجدد.

فالجامعات والكليات العالمية بدأت في الوصول إلى المنطقة منذ سنوات وتساهم بشكل مباشر في عملية التعليم على مستوى محترف وخلاق رغم أسعارها المرتفعة نسبيا إلا أن مردودها مرتفع و أهليتها كبيرة والثقة بها عالية، ويعتبر طلبتها مميزين مقارنة بمخرجات الجامعات ذات المناهج الدراسية الموحدة وطرق التدريس الثابتة، فهل نرى فروعا للجامعات الأوروبية والأمريكية قريبا في الرياض وجدة والدمام؟[77]

[77]- صحيفة شمس 27-7-2006 عدد199

المجتمع الرقمي السعودي

لـو قـدر لسـوق الأسـهم السـعودية أن تتفـادى الانهيـار الكبـير في فبرايـر لـدخل المجتمـع السـعودي طائعـا منقـادا بسـهولة إلى المجتمـع الرقمـي الكمبيـوتري واسـتخدم التقنيـة بسـهولة وسـرعة لأن الرقميـة هنـا مسـت مصـالحه وجلبتـه بحمـاس إلى الـدخول في هـذا الحقـل الجديـد، فجـأة ودون مقـدمات أصـبح أشـباه الأميـين خـبراء في أنـواع الأجهـزة المحمولة وعلماء في سرعاتها وقدرتها وذاكرتها و (راماتها) ووسائل الاتصالات.

كمـا نافسـوا كثـرة خـبراء التحليـل السياسـي علـى الفضـائيات العربيـة في إدراك أقـوى أنـواع أجهـزة الجـوال ومـدى مواءمتهـا مـع خـدمات الـواب والويـب والجيـل الثالـث والجيـل مـا بعـد الثالـث والإنترنـت والمنتـديات والـبرامج الخاصـة المشـغلة لأنظمـة التـداول وتحـديثاتها والتطبيقـات المسـتخدمة محليـا ودوليـا. لقـد سـهلت فـورة الأسـهم في مرحلـة مـا قبـل الانهيـار إمكـانات تطبيـق مشـاريع الحكومـة الإلكترونيـة وبـوابات الخـدمات الإنترنتيـة الخاصة بكل إمارة ومنطقة، ولكن للأسف لم يستمر ذلك طويلا.[78]

[78]- صحيفة شمس 29-7-2006 عدد201

ماء الحياد والنار الإسرائيلية

يبث حاملو الحقائب السياسية، والمسؤولون، ورؤساء وزراء، ووزراء في أوروبا وأمريكا، الجوالون في العالم – يبثون تصاريح عمومية وفضفاضة ومجمدة أخلاقيا بلا مواقف واضحة، ودائما ما يتركون بابا ما مفتوحا للتراجع والتأويل يحاولون تبريد الجرح اللبناني المفتوح والواسع بمد ألسنتهم أمام الميكروفونات بحضور العدسات ومنصات الكاميرات والمصافحات العامة، فيما يواجه العزّل القذائف وهي تهوي عليهم بالكفوف والدعاء والاستغاثات المنوعة والعويل.

أما الذين أيديهم وأرجلهم في الماء البارد فلا يضيرهم أن يحايدوا وينظروا إلى الموضوع من وجهة نظر عقلية بحتة، فيما أصبح الأبرياء أيديهم وأرجلهم وأجسادهم وأجساد أقاربهم في النار الإسرائيلية. أما باعة الكلام وتجار الشنط الإعلامية و الأوكازيون الأيدلوجي فيرون في هذه المأساة المستمرة مجالا لبث الفحيح والصراخ على الهواء مباشرة، وكذلك السمسرة على قناعاتهم القابلة لتغيير النشاط في أي لحظة.[79]

[79]- صحيفة شمس 1-8-2006 عدد204

بيع الشمس والصحراء

السياحة منجم الاستثمارات القادمة ويمكن القول: "إن المملكة من البلدان البكر سياحيا، وتكاد تصبح مجهولة لمراكز الجذب السياحي في العالم، رغم أن المنطقة العربية والشرق الأوسط تحديدا منطقة مثيرة سياحيا وملهبة للخيال والقصص الدينية والتاريخية، إضافة إلى الخيالية الأسطورية، ولو استطعنا إقناع شركات متخصصة في الجذب السياحي والترويج الترفيهي مع استثمارات مهمة أظن أننا سنحقق اختراقا حضاريا كبيرا يقدمنا إلى العالم بصورة معقولة وواقعية، تغنى عن الحملات الدعائية وخطط العلاقات العامة، كما أن التفكير في نمط سياحي من نوع تنظيم بطولات دولية للراليات والدراجات الهوائية وسباقات الأشرعة والتسلق والطيران الاستعراضي والتركيز على وجود مناطق غطس جميلة وجزر ترفيهية متعددة الخدمات، يؤدي إلى تركيز المملكة بوصفها منطقة مهمة على الخريطة السياحية، هذا كله بالتزامن مع تنشيط ودعم وتحفيز المناطق والمدن التي تنظم مهرجانات سياحية سنوية صيفية وأيضا ربيعية، وخلق أفكار جديدة لرياضات القنص والصيد مع توافر كل هذه المسائل، أجزم أننا سنصبح من المناطق الجاذبة سياحيا، نبيع الشمس والصحاري الشاسعة والشواطئ النظيفة لمن يريدها، نبيع البعد عن القلق، والاعتزال عن الضغوط لمن رغب".

وإذا استغرب ذلك فأدعي أن الذي حول المملكة إلى قطب اقتصادي وسياسي ورياضي هام قادر على تحويلها إلى قطب سياحي هام كذلك.[80]

[80]- صحيفة شمس 4-8-2006 عدد207

مكافحة قرصنة البرامج

يقاس مستوى انضباط الجهات الرقابية في الدولة العضو بمنظمة التجارة مثلا بحجم مكافحة القرصنة والقراصنة الجدد للبرامج الحاسوبية والسلع المقلدة إضافة إلى نوعية وكمية حملات التفتيش ومكافحة الغش التجاري والنسخ غير الشرعي، كما ينظر باهتمام إلى وضع تشريعات جديدة تتواءم مع المتغير العالمي والقانوني وتحد من فرص خسارة الشركات وضياع استثماراتها بسبب المنتجات المقلدة.

وتعد الحملات الصينية أكثر الحملات جذبا للتغطية الإعلامية والمتابعة الدولية، لأن الصين تمثل سوقا عالمية ضخمة لهذه السلع والمنتجات، كما أنها تحاول عبر الحملات الكبيرة والعقوبات المشددة مع المقلدين والقراصنة كسب ثقة المنتجين والمسوقين الكبار.

في هذا الصدد أظن أن حملات مكافحة القرصنة محليا تحتاج إلى نوع من التنشيط والتكثيف، لأن هذا النشاط الإجرامي يحتاج إلى محاصرة عوامل انتشاره، لأنه يفقد سوقنا المحلية ثقة تحتاج إليها لجذب المستثمر والمنتج كما أنه يفقد المستهلك فرصة الحصول على سلعة مميزة ما يضر الطرفين، وتستفيد منه سوق غير نظامية وغير شريعة ربما تستخدم في نشاطات أخرى غير قانونية.[81]

---

[81]– صحيفة شمس 6-8-2006 عدد209

ضحايا غير مباشرين

تشيع الأحداث السياسية عبر وسائل الإعلام جوا عاما مشحونا وقلقا. وتصبح المتابعة حالة شعبية واجتماعية تتسيد فيها الشاشات المجالس. ولا صوت فيها يعلو على صوت المعركة التي ينقلها المراسلون والأخبار والتغطيات.

وتصبح العيون سريعة الحركة ويغيب المنطق ويتجلى المهيجون المزايدون على كل القضايا والأفكار. وتزداد معدلات الاضطراب العصبي، لذا أقترح على الجهات التي تعنى بالصحة النفسية لمواطني هذا البلد تنظيم حملات تكشف تأثير التوتر الذي تشيعه الأحداث السياسية وحالة القلق العامة التي تحيط بالأفراد وتصبغ مفرداتهم وأولوياتهم الحياتية بمفردات الحرب والسياسة وأطرافها المختلفة؛ لذا من الضروري توجيه نوع مبسط من الإرشادات عبر حملات قصيرة الأمد تنصح بالابتعاد عن التلفزيون وعدم الاستسلام لمواعيد نشرات الأخبار لأنها ستنعكس في النهاية على البسطاء من الناس الذين لا يدركون بعد الأهداف السياسية ومراميها ويكونون ضحايا بشكل أو بآخر لها ولمن أراد إشعالها.[82]

---

[82]- صحيفة شمس 7-8-2006 عدد210

درس جديد من الزعيم

أعلن الممثل حسين فهمي رفضه منصب سفير الأمم المتحدة للنوايا الحسنة احتجاجا على الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان وقبله بسنوات قليلة سحبت الأمم المتحدة جوازها الأممي الدبلوماسي من الفنان دريد لحام بعد أن قذف دورية إسرائيلية قرب بوابة فاطمة على الحدود اللبنانية الإسرائيلية وطبعا لم يفوت جمال سليمان فرصة هذا الـ show الكبير ليتبع حسين فهمي أما عادل إمام وبكل الثقل والوعي الذي يمثلهما وقف وألقى خطابا مؤثرا وقصيرا أثناء المهرجان الاحتجاجي والتضامني لنقابة الفنانين المصريين.

كلام الفنان الكبير جاء خارج سياقات التحريض والقولبة السياسية والعقول المؤجرة للأيديولوجيا إنسانيا مشحونا بالصدق والبساطة، عادل إمام الذي لا يخرج كثيرا لوسائل الإعلام ولا يجري الكثير من لقاءات الفضاء حينما تكلم قال شيئا مهما وواضحا والأهم من ذلك كان صادقا لم يفتعل وإن انفعل واغرورقت عيناه بحكم القلب المصري الطيب والكبير دائما، درس جديد من الزعيم للفن وأهله وحضور حقيقي مهم ومؤثر للفنان والمثقف في مأزق مثل هذا الذي نتعرض له وطبعا بلا ماكياج أو مساحيق.[83]

---

[83]- صحيفة شمس 9-8-2006 عدد212

الاستثمار في الإعلام

أقفل الإعلام العربي الباب تماما أمام مراسلي وسائل الإعلام الأجنبية (التلفزيونية على الأقل)، واستطاع استلام دفة القيادة الإعلامية في الشرق الأوسط الملتهبة منطقته وملعبه الرئيسي والبقعة الساخنة دائما في الكرة الأرضية، وأثبت من خلال الأحداث المتلاحقة التي كان آخرها الحرب الحالية، حرفيته العالية وقدرته على التأثير عالميا وقدرته على التطور والتحديث السريع، هذا النجاح الكبير الذي خلق حالة إيجابية انعكست على الإعلام العربي ككل، وبدلا من التفرج كما كان الوضع خلال حربي الخليج الأولى والثانية، استطاع تحويل الموازين لصالحه خلال عقد زمني، والفضل في ذلك للقنوات التلفزيونية الخاصة والاستثمارات الهائلة التي دفعت، الاستثمارات المكلفة التي اختلط خلالها السياسي بالإعلامي وبالاقتصادي، ولو دفع ربع هذه الاستثمارات في مشاريع ورقية وتقنية لأحدثنا الفرق وخرجت أجيال مهنية محترفة ورائعة قادرة على التأثير.[84]

---

[84]- صحيفة شمس 13-8-2006 عدد216

الضمير الأخلاقي

قتل ابن الكاتب الإسرائيلي ديفيد غروسمان قبل يوم من وقف العمليات العسكرية داخل حدود الدولة اللبنانية فيما لم يستطع الكاتب الألماني النوبلي غونتر غراس كتمان ماضيه العسكري النازي في الفرقة إس إس وساق الاعتراف مدفوعا بضغط من الضمير الأخلاقي الذي لم يحاول إخفاء هذه الومضة المسيئة من تاريخه التي ربما لا يتحمل وزرها نظرا إلى ظروف عدة منها حداثة التجربة والسن. إلا أن غراس قرر الكلام وهو يدرك الحساسية الشديدة والعدائية لكل ما يمت للنازي بصلة في المجتمع الألماني وأوروبا والإنسانية على وجه العموم، اعترف وهو يعي خطورة أن يكون للشخص ماض نازي ولا يعي مقدار الخسائر التي ربما تترتب على هذا الاعتراف.

غروسمان من جهته يحس بفداحة الخسارة في الحرب المجنونة التي أيدها بداية ثم ما لبث أن دانها عبر بيان مشترك مع كتلة السلام الإسرائيلية مثقفين وكتاب أمثال عاموس عوز يسرائيل شاحاك وقبلهما يوري افنيري، الضمير قبل الخسارة كان من أسباب الإدانة غروسمان الحرب والضمير قبل الإدانة كانت سببا لإقرار غونتر غراس بانتمائه إلى الفرقة النازية الضمير والمسؤولية التاريخية قبل مصالح الربح والخسارة، فيما يحاول كتاب ومثقفون عرب وعلانية سوق الشباب إلى المجزرة والموت دون أن يرف لهم جفن أو يحسوا بوخز في الضمير، مثقفون يعلون قيمة الموت على صناعة الحياة، يؤلهون الدمار والخراب يجيدون القفز بين خانات المواقف. يبررون الخديعة ويزينون

المحرقـة بالـورود. بينمـا أيـديهم وأمـوالهم وشـققهم ومصـالحهم في المـاء البـارد والـبلاد الـتي لا يكف الثلج عن ملامسة شوارعها.[85]

---

[85]- صحيفة شمس 15-8-2006 عدد218

أفكار هدامة

الذين أقاموا جنازات عبر مقالاتهم عندما بثت قناة الحرة الأمريكية وإذاعة سوا وحاولوا إشاعة أجواء الخوف من المقبل المجهول الذي سوف يمسح العقول ويبرمجها على الأفكار الأمريكية ويحرفها عن ثوابتها هم أنفسهم الذين بكوا دما عندما أعلنت إسرائيل أنها ستدشن قناة باللغة العربية تبث أفلاما وأغنيات ومسلسلات عربية واعتبر أولئك أن هذه القناة ستجعل الشباب العربي يطالب بإعادة الأراضي التي احتلتها الدول العربية من إسرائيل أثناء العدوان العربي عام 1967 مع فرض تعليم اللغة العبرية في المدارس الرسمية لكي يصبح أحدهم أخاه بـــــــــ (بوكيرتوف) ويمسيه بـ (عرفتوف).

هؤلاء أصحاب النمط التخويفي الجاهز الذي يحس دوما بالضعف والانكشاف سيكون لو أصدرت جزر البولونيز مجلة أو صحيفة عربية معتبرين ذلك محاولة لهدم أفكار الشباب واستغلال ضعف وازعهم وقلة تجربتهم للتسلل إلى الأمة والفت في عضدها روسيا قريبا ستبث قناة باللغة العربية وكذلك ستفعل هيئة الإذاعة البريطانية وكذلك سيفعل أصحابنا محذرين من الأهداف المشبوهة لهذه المشاريع وخططاتها المستقبلية للتأثير على عقول الشباب.[86]

---

[86]- صحيفة شمس 22-8-2006 عدد225

قرارات غير ملزمة

يا أيتها التي: اسمعيني مثل أغنية. واقرئيني مثل كتاب ممنوع. قولي لهم ألا يضعوا قوات دولية ومراقبين على الحدود. لن أطبق القرارات. لن أنزع السلاح.

لن أتحول إلى جماعة وتكتل. أنا فرد وحالة وكيان. حربي حرب وسلامي سلام، أضرب وأهرب، وأستسلم واهزم وأقصف وانسحب وأبكي وانتصر دون مبررات، أهدافي عشوائية وأعدائي كثر، وأصدقائي متورطون، أحبك في الحرب كما أحبك في الهدنة، أنا حزبك وطائفتك وشعبك وانصارك، لا تمنحيني مساعدات على عشقك، دعيني أقف في طابور أيامك الجميلة مثل أمنية أزلية، أنا أسيرك وخاطفك، بادليني بي، فاوضيني عني، زايدي علي، خذيني مني، حرضي وأججي، انتظريني وراوغيني، فجريني بعبوة حب ناسفة، اغتاليني بالورد، وفخخي أيامي بك. وأشعلي حرب شوارع لنواياي. أنا إرهابي في كل ما يخصك.[87]

[87]- صحيفة شمس 28-8-2006 عدد231

عن الصبوحة

من يملك القدرة على تحدي الزمن مثل صباح، حبا واندفاعا وتجددا وشبابا ورغبة شديدة وملحة في العطاء والحياة والحب والألفة والوداعة.

صباح وهي تتجاوز ما تجاوزته من العمر تبقى الصوت الغامر المراهق والدلوع العابر للأيام والذاكرة والتاريخ، مثل رياح جسورة ومتجددة لا يعرف مصدرها، عامرة ومفعمة وحيوية، ورغم ما تعرضت له وتتعرض له صباح إلا أن قلبها الكبير القادر على تجاوز أجيال وعقود من الإساءات قد ثبتها رمزا كبيرا في عيون وقلوب عشاق فنها الجميل، غناءً واستعراضاً وتمثيلا. وهي التي عاشت وشافت وخبرت من النجوم والمبدعين والشعراء والسياسيين والمدعين هياما.

والذين استكثروا على الصبوحة لمسة فرح بسيطة في عقدها العاشر ضاقت أنفسهم في البحث عن عذر تافه لها، رغم أنها ليست في حاجة إلى أن تقدم مذكرة تفسيرية لسلوكها؛ لأنها ببساطة خارج الوصاية وفوق طوق البحث عن وكلاء شرعيين وأكبر من الذين زايدوا عليها وحاولوا بيع ألسنتهم في سوق شراء الصراخ؛ لأنها وببساطة أكبر منهم لأنها شيء مثل الأرز والقلاع وبعلبك، إحدى أجمل هدايا لبنان إلى العالم.[88]

---

[88]- صحيفة شمس 2-9-2006 عدد 236

رسالة تهنئة

اسمح لي بداية أن أهنئك يا جلالة ملك سوازيلاند بزواجك للمرة الرابعة عشرة وأزجي لك السلام والتحية والتبريكات متمنيا من الله العلي القدير أن يكلله بالرفاهة والبنين والبنات الذين سيحكمون مملكتكم الموقرة لأجيال وأجيال.

أقول هذا وأنا الفرح والمسرور لرؤيتكم تنعمون بوافر الصحة والعافية من خلال الصور التي بثت لجلالتكم أثناء حفل عرسكم المبسط الذي تناقلته وتلقفته الوكالات التي دأبت على نشر أخباركم وتتبع ظهوركم ما أحدث لي الفرصة برؤيتكم الميمونة وإطلالتكم البهية وسط شعب سوازيلاند الصديق، الذي نسمع كل ما يسر ويبهج.

يا جلالة الملك الشاب في هذه اللحظة التي أراها مباركة وسعيدة وهي كذلك بالفعل أسمح أن أشد على يدكم وأثني على حنكتكم وحكمتكم في تجاهل ما تحاول الجمعيات النسوية والهيئات الحقوقية العالمية إثارته بخصوص هذا الحق الخصوصي الذي كفلته قوانين مملكتك السعيدة وتدعي زورا أن هناك إخلالا بحق المرأة وامتيازاتها، وهنا دعني أرد إذا سمحتم لي متسائلا: هل هناك أهم من أن تتزوج المرأة ملكا؟ هل هناك أهمية أكثر من أن تكون المرأة ملكة على شعب كالشعب السوازيلاندي الصديق.

إنكم بعملكم هذا يا جلالة الملك تنتصرون للرجل الضعيف والمستكين في مناطق شاسعة من العالم الذي تضطهده في الطالعة والنازلة جمعيات حقوق المرأة والناشطات الاجتماعيات والسياسيات.

وأختم رسالتي بتمنياتي القلبية أن يكللكم الله بالصحة والعافية ويسبغ عليكم من فضله حتى نحتفل قريبا بمناسبة زواجكم الخامس عشر الميمون بإذن الله..مع تحياتي[89]

---

[89]- صحيفة شمس 5-9-2006 عدد 239

هيئة لحماية الأطفال من العنف

تتوافر مظلة قانونية لأغلب أصحاب التخصص من الأفراد كالاطباء والمهندسين والعاملين في قطاعات معينة، وفق أنظمة وأطر تكافلية وتنظيمية قانونية، تحدد علاقاتهم وتحفظ حقوقهم وتطالب بما ينقصهم، وتشكل لهم حماية نسبية ضد كل من يحاول الانتقاص منهم وعامل ضغط بخصوص الدفع بمطالبهم وإيصالها إلى مصدر القرار. هذه الهيئات تحاول مستغلة الظروف الإيجابية التكريس لوجودها وتقوية وضعها بدفع المزيد من أبنائها للدخول تحت عباءتها؛ لذا فإننا بدأنا نلحظ حركتها الإيجابية والجميلة.

الآن هناك جانب اجتماعي مفقود يتمثل في غياب الهيئات ذات البعد الاجتماعي والإنساني، وإذا استثنى نشاط هيئة حقوق الإنسان المحكوم بكثرة الشكاوي والصدى الذي تجده القصص المثيرة التي تصل إلى بابها فإن عدم وجود هيكل أو إطار قانوني يحمي الطفولة من الانتهاكات والاعتداءات التي أصبحت تفيض بها صفحات الصحف يُحدث فراغا هائلا وخللا خطيراً في النسيج الاجتماعي يدفع لنشوء جيل مرعب مليء بالرغبة الشديدة في الانتقام والغضب؛ لذا فإن استيعاب هذه الحالات

المضـــطهدة وعلاجهـــا قضـــية لا تقبـــل التأجيـــل، لأن العقـــاب لا يكفـــي لعـــلاج الانتهاكات النفسية والروحية، أما الآثار الجسدية فالزمن جدير بعلاجها.[90]

[90]- صحيفة شمس 7-9-2006 عدد241

موسم

إذا كانت بداية الموسم الدراسي فرصة مهمة يقتنصها التجار لرفع أسعار المستلزمات الدراسية، وشهر رمضان فرصة مهمة يقتنصها التجار أيضا لرفع أسعار المستلزمات الغذائية وكل ما يتبعها، ودخول فصل الشتاء فرصة يقتنصها التجار أيضا، وأيضا لرفع أسعار الملابس، ومستلزمات التدفئة والحطب والفحم، وإذا سلمنا بأن العطلة النصف سنوية فرصة يقتنصها التجار وغير التجار لرفع أسعار المواد الخاصة بالرحلات والذي منه، بالإضافة إلى أن دخول فصل الصيف يعتبر فرصة يقتنصها التجار لتصفية بضائع السنة الفائتة وبأسعار يفترض أنها تنافسية إلا أن الواقع يقول إنها مجموعة من الـ stock على وشك انتهاء عمرها الافتراضي وتباع بذات السعر، وإذا سلمنا بأن الامتحانات موسم للمدرسين وفرصتهم لاستغلال الظروف وإعطاء الدروس، وبداية العطلة الصيفية فرصة لوكالات السفر ومؤسسات النقل، ومهرجانات السياحة، وأصحاب الشقق والمجمعات السكنية، وأصحاب نية الزواج؛ لاستغلال الوضع ورفع الأسعار- فإنني أتساءل وبصراحة: متى يكون الوضع عاديا ودون زيادة في الأسعار؟ سؤال بسيط ربما يجيب عنه التجار الأعزاء؟[91]

---

[91]- صحيفة شمس 8-9-2006 عدد242

إساءات تاريخية

يجيد المصريون أكثر من غيرهم الإساءة إلى الشخصيات المهمة والسياسية والتاريخية عن طريق تجسيدها دراميا وسينمائيا. ومن المستحيل أن يقدموا في الأعمال التي تتناول تلك الشخصيات الجدلية والمثيرة حسا نقديا أو يكشفوا جزءا من المستور أو فصولا غامضة، بل يكررون ما يعرفه الناس بملل فظيع مع محاولة إضفاء وهج لا مرئي يكتسي بهالة مفتعلة واصطناعية مع حالة جدل آنية وغير مبررة.. أحمد زكي وحده قدم أربع شخصيات: طه حسين وعبد الناصر والسادات وعبد الحليم، أما نور الشريف فقد جسد شخصيات: عمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد وناجي العلي و يأمل بتجسيد شخصية أحمد ياسين.

ولو كان الأمر بيده لكتب وأنتج ومثل قصة حياته.. صابرين اخذتها من قاصرها وجسدت أم كلثوم واعتزلت فانشغل الناس بفقدانها عن نقد العمل. أما فاروق الفيشاوي فصنع مأساة يمكن تدريسها وبضمير حي خال من التأنيب في كل معاهد الفنون والتمثيل كأسوأ تقمص، حينما قدم شخصية الملك فاروق في أحد أفلام نادية الجندي المتشابهة.[92]

[92]- صحيفة شمس 12-9-2006 عدد246

إجراءات

الموافقة الملكية السامية على المنح الدراسية لطلبة التعليم العالي إضافة إلى جملة قرارات اتخذها مجلس التعليم العالي خلال جلسته الثالثة والأربعين تفتح أبوابا للتفاؤل والأمل بالنسبة لطلبة التعليم الأهلي وتساويهم بإخوتهم المنخرطين في التعليم العالي الحكومي، وتوفر لهم فرصة جيدة للاندفاع والتقدم بعيدا في التحصيل والمتابعة.

وإن كانت سياسة الابتعاث الموسعة التي تتحرك بموجبها وزارة التعليم العالي هي بالمجمل سياسة إيجابية وتعطي مؤشرات متفائلة حول مستقبل هذا الجيل تحديدا الذي أتيحت له الفرصة لخوض تجربة التحصيل والتعليم خارجا إلا أن الشكاوى التي طرحها الطلبة من الارباكات والإجراءات الإدارية المطولة تشوه واجهة هذا المنجز، كما أن نوعية بعض الأسئلة خلال المقابلة الشخصية والازدحام الشديد يربكان ويضعان الوزارة على المحك وتحت اختبار حقيقي خاصة أن الإجراءات الوزارية بالنسبة للمبتعثين هي الخطوة الأولى في مشوار إنهاء الإجراءات التي ستكون (الفيزا) أكثرها إثارة وصعوبة.[93]

[93]- صحيفة شمس 14-9-2006 عدد248

دينلسون

أشعل قدوم دينلسون الساحة الرياضية من جديد وأعاد ألقا مفقودا منذ زمن طويل إلى المستطيلات الخضراء المحلية، وبث الأمل في نفوس الجماهير الصفراء لرسم الابتسامة من جديد على الملامح التي كاد اليأس يعلوها، دينلسون الناضج الذي لم يوفق كثيرا في مسيرته لأنه الرجل الخطأ في الزمان الخطأ، لاعب ذو طابع مهاري استعراضي وموهوب حقيقي في زمن تعلو فيه ميكانيكية الأداء والثبات اللياقي والانضباط الخارق، وهذا ما يستعصي على لاعب فنان يرى في وجوده حلا، حشره مدربو السامبا الذين تعاقبوا منذ عقد مضى في آخر عشر دقائق ليضيع الوقت ويسحب لاعبي المنافس إلى نقطة الكورنر، ورغم رضاه بالمهمة المستحيلة التي لا ترقى إلى موهبته، وبرأيي البسيط القابل للنقض تعتبر هذه الصفقة الأهم في تاريخ الاحتراف بالمقارنة بموهبة وعمر اللاعب الذي تربع يوما على قائمة أغلى لاعبي العالم، ولكنه لم يستمع للنصيحة الذهبية التي ذكرته بأهمية تناسي مسألة أغلى لاعب في العالم لأن الضغط النفسي الناتج عنها كفيل بتحطيم أعظم المواهب.[94]

[94] – صحيفة شمس 16-9-2006 عدد250

رأي هامشي في
مسألة هامشية

حينما فرطت عنجهية ريال مدريد بكلود ميكاليلي الذي كان محور الفريق والرابط الحقيقي لجميع خطوطه نصحهم زيدان نصيحة ثمينة بالقول: "لا تفرطوا بميكاليلي، وإن كان لابد من ذلك فاجلبوا باتريك فيرا بديلا" من يومها وريال مدريد يضيع بوصلته نحو كل شيء تائها وهائما على وجهه في البطولات، تمسح الفرق المغمورة بكرامته كل بلاط، فلا جوتي الإسباني الدلوع البارد استطاع أن يملأ الفراغ، ولا غرافسن الذي يشبه النازيين بصلعته وسوء أخلاقه غطى المنطقة وأدى الدور، وإن أتوا هذا الموسم بديارا ليكون المحور فيمكننا أن نتذكر البيت الشهير "الزول زوله والحلايا حلاياه".

ريال مدريد مشكلة كبيرة حلها سهل، اتركوا راؤول وإن كان لابد من التورط بجماهيريته المزيفة فضعوه على دكة الاحتياط وأعيدوا ديل بوسكي فهو الأكثر فهما واستيعابا لطريقة اللعب ونفسية النادي الملكي. تماما مثل محمود الجوهري ومصر مع الابتعاد عن وهم (الأسبنة) لأن الإسبان يحبون كرة القدم ويحوون أشهر أنديتها ولكن مواهبهم فائقة الندرة وشحيحة.[95]

---

[95] - صحيفة شمس 18-9-2006 عدد252

الاحتفال بالمجزرة

يهوى قطاع من المشاهدين متابعة المسلسلات التاريخية التي تتناول شخصيات هي في الغالب ديكتاتورية وسفاكة بامتياز للدماء ولتجسيد هذه الشخصيات إلى الواقع الدرامي تلزم ميزانيات تكفى لإنتاج أعمال سينمائية وبمستوى معقول.

فالرؤوس المتطايرة والسيوف اللامعة والخيول الجامحة والقصة التاريخية التي تتكئ في الأغلب على الأسطورة والمبالغة تحتاج إلى صرف وتدريب وميكياج وأزياء ومجاميع وإدارات مختلفة للتصوير والتدريب واختيار المواقع، هذا التوجه ساهم بقيام صناعة دراما كاملة حملت رسائل وخطابات سياسية وإيديولوجية مكشوفة؛ لذا فإن الحشود والأزياء والإعلانات التي بالملايين سرعان ما تتهاوى في أوقات العرض أما الأعمال الدرامية المصرية الواقعية والبسطية والمعتمدة أساسا على أداء تمثيلي عال، وخبرة متراكمة (ريا وسكينة مثلا، وقبلها الحاج متولي، وأعمال سميرة أحمد السنوية)؛ مما يفقد الملايين وهجها لأنها حولت في الاتجاه الخطأ. أتذكر هنا مقطعا من مسلسل اسمه ذي قار حين خاطب أحدهم البدو قائلا "يا أيها العرب إن كسرى يحاول تشتيت وحدتكم وإذلالكم".[96]

[96]- صحيفة شمس 19-9-2006 عدد253

الدراما التاريخية العربية

تعاني الأعمال التاريخية الدرامية العربية من جاذبية محدودة وأزمة في النص والمعالجة تضعها دائما في مأزق الرتابة؛ إذ لا توفر هذه الأعمال مفاجأة لمتابعيها خصوصا أعمال السيرة منها، وغالبا ما تعمد جهات الإنتاج إلى انتداب شخصية مشهورة من التاريخ العربي والإسلامي وإحضارها إلى الحاضر دونما جهد. وإذا كانت الخمسينيات شهدت على المستوى العالمي أعمالا ملحمية تاريخية مثل سبارتكوس أو كيلوباترا وأنطونيو فإن السينما العربية حاولت محاكاتها عبر سلسلة أفلام تتناول قصص عنترة بن شداد والناصر صلاح الدين الذي كانت رسالته السياسية الواضحة سببا في التعاطي معه بخفة، وهذا ما حدث مع فيلم القادسية لمصطفى العقاد الذي أنتج في العراق أوائل الثمانينات لدعم موقفه في بداية حربه مع إيران، فيما باع محمد سلمان وفطين عبد الوهاب للمشاهد العربي عنترة وسيرته أكثر من مرة، وفي كل مرة كان فريد شوقي وسميرة توفيق وكوكا حاضرين تمثيلا، فيما يطل بيرم عبر النص والأشعار في النهاية التسعينيات بداية الألفية الجديدة عاد الفيلم الملحمي التاريخي إلى الواجهة عبر القلب الشجاع والمجالد والإسكندر المقدوني وعادت المجاميع والحشود ولكن بإثارة ونقاش ومشاكل.[97]

---

[97]- صحيفة شمس 27-9-2006 عدد261

الجزائر

بدبلوماسيته الساحرة وشخصيته الآسرة ومشروعه في المصالحة الوطنية وخبرته الطويلة سياسيا ومثقفا. خبر وعاصر وناور العسكر وأصحاب النزعة الفرنسية، قرب وباعد التيارات الإسلامية، أعاد عبد العزيز بوتفليقة الجزائر من جديد إلى الحياة والعالم وشكلها ثانية بلدا له ثقله وجسرا سياسيا وثقافيا بين أوروبا وإفريقيا من جهة وأوروبا والعالم العربي من جهة أخرى.

لم تفد صرامة الجنرال الأمين زروال في منع العنف ولا التاريخ النضالي الوطني لمحمد بوضياف في إطفاء النار ولا في نجاته، أناقة سيد أحمد غزالي عجزت عن إخراج البلد من نفق الدم الذي دخلته، عاد مولود حمروش وعبد الحميد المهري إلى جبهة التحرير العتيقة والظل والظلمة والإقصاء والسجن لم تلين موقف علي بلحاج فظل ساخطا رافضا غاضبا في مقره الإجباري وغابت خطبه التحريضية و المؤججة منذ زمن طويل عن البليدة وبابا الواد والبوزريعة، خفت علي جدي وأوهنه السجن وربما مات وهو المنظر الحركي وصاحب الرؤية في جبهة الإنقاذ، وقتل عبد القادر حشاني في ليل أظلم، وهرب رابح كبير إلى ألمانيا.وصالح مدني مزراق الدولة والجيش وإن لم يصالحه ضحاياه الذين ينكرهم، استقر عباسي مدني في الدوحة بابتسامة ولغة فيها تقية سياسية، فيما فقد حسين إيت أحمد الأمل، وهرب خالد نزار إلى فرنسا التي رفضت مقاضاته، فيما بقي بن بيلا يبل الشاشة بظهوره متى ما توافرت الفرصة.. الجزائر التي

أهـدت العـالم الشـاب خالـد وزيـدان وألبـير كـامو وطاهرهـا هـي تخـرج مـن مأزقهـا المميـت مثل طائر ضخم وأسطوري.[98]

[98]- صحيفة شمس 7-10-2006 عدد271

حسينوووه

يحق لرجل بتاريخ حسين عبد الرضا أن نتجاوز له عن كل شيء ونتعامل مع تواجده وإصراره على الظهور رغم تحديات الزمن والوقت والجسد كحالة شديدة الإيجابية وتحسب للرجل القوي الذي قدم أعمالا لا تنسى ومهمة وسابقة لزمنها، وأظن أنه من الأنانية المفرطة والفلسفة الزائدة أن نطالبه دوما بتقديم أشياء مهمة دائما وأظن بصدق أنه يحق للرجل أن يتدلع على جمهوره الكبير وأن يكرر قصته للمرة الألف في (حبل المودة) بعد (قاصد خير) و (الحيالة) و (المقاصيص). وغيرها الكثير.

فمجرد وجود اسم حسين عبد الرضا في عمل ما كفيل بالمشاهدة، كما أنه ظل طوال تاريخه وأعماله يدفع بالممثلين الشباب والوجوه الجديدة إلى هذا الحقل الكبير ويتركهم يمارسون تحليقهم وغالبا ما تنجح رهانات عبد الحسين عبد الرضا التي بدأها بداود حسين 1981. ومرت بطارق العلي وأحمد جوهر والشويعي والبلام مشاري ومشعل القملاس وخالد البريكي وخالد أمين وكثيرين. حسين عبد الرضا شيء مهم وكبير. ووجوده ثقل فلم نعد قادرين على اختفاء الكبار أو غيابهم.[99]

---

[99]- صحيفة شمس 9-10-2006 عدد273

دقائق مرعبة

لا شيء يمنع الصواريخ التي تسير على الشوارع من مضاعفة سرعاتها قبل الإفطار إلا حوادث اصطدام من النوع القاتل، والعدادات التي تعودت الدوران بجنون والإطارات التي كادت تنسى الإسفلت. الجاذبية فقط هي الكفيلة بإيقافها.

حالة أشبه بالجنون وسائقون أشبه بالمهووسين بلا تبريرات أو منطق، لا يمكن للصيام أن يفعل ذلك، كما أن الجوع لا يؤدي في النهاية إلى هذا التوحش البشري والمعدني والكمية الهائلة من الضيق النفسي التي تملأ صدر الكائنات التي قررت بصمت أن تقتل البشر أو تعوقهم.يرسل الرجل ولده أو شقيقه إلى المشوار وكأنه يودعه الوداع الأخير وود لو احتضنه. أزمة موسمية ومشكلة بلا حل ونتائج مرعبة وحالة مخيفة تنتاب الشوارع والناس.[100]

[100]- صحيفة شمس 10-10-2006 عدد274

الخليجيون الجدد

باستثناء (طاش 14) التايواني، وحبل مودة حسين عبد الرضا الذي ربط به أجيالا ومحبين وعشاقا كبروا وتعلموا منه وأسعدهم بقفشاته ولقافته المميزة ومقالبه الظريفة وكفاحه الحياتي العظيم من ابن بائعة بليلة في أحياء البدو إلى فنان متعدد المواهب صنع اسما ذهبيا وخلق بصمة مميزة لا تتكرر وهي أمور يشترك في بعضها معه نجما (طاش ما طاش) أيضا.

فإن الخليجيين ظهروا هذا العام بكثافة مشهورة وهي حسب نظرية برنارد شو الشهيرة التي زادوا عليها قليلا وحوروها بتصرف (كثافة في الإنتاج وسوء في التوزيع والاخراج والقصة والأخلاق).

الفن الخليجي الجديد يعتمد على مشاهد أقرب إلى الفضائحية ولغة متوترة قلقة وعصبية وعلاقات عائلية مقطوعة وانهيار أخلاقي تحت دعوى الشبابية وعكس الواقع وانتهازية تبريرية لا سقف لها وطموح مزيف وكاركترات معوقة يتم الضحك عليها تحت مسمى الكوميديا.[101]

[101]- صحيفة شمس 15-10-2006 عدد279

عن نوبل وصاحبيها

فرق كبير بين بنك محمد يونس النوبلي الذي عرفنا عنه للتو بعد منحه جائزة نوبل مناصفة مع صاحبه وبين البنوك التي تفتح أبوابها وحساباتها لعصر الفقير ومداعبة غرائزه الاستهلاكية بمنحة القروض الوفيرة بفوائد مضاعفة تمهيدا لاصطياده لاحقا ببرامج إعادة التمويل ومن ثم تكبيله بالمديونية لسنوات.

إن ما فعله يونس وبنكه هو كسر الصورة النمطية عن المصارف التي يديرها – وعفوا للتعبير – وحوش بملامح بشرية يخطون على وجوههم الصقيلة خطاً من الابتسامات الشائكة ونظرات التربص بالفقير وحسابه الضئيل. إن بنك الفقراء فكرة مفعمة بالإنسانية تعطي معاني تكافلية رائعة خصوصا في المجتمعات ذات الأكثرية الفقيرة مثل المجتمع البنغالي.لقد دمر يونس الفكرة التاريخية حول أصحاب الأموال الذين لا يديرون بالا إلا لمصالحهم ومضاعفة أموالهم برؤوسها وجسومها على حساب كل شيء.[102]

[102]- صحيفة شمس 19-10-2006 عدد283

ضربة خاطفة

بسرعة لاعبي التايكوندو وخفة محترفي الكونغ فو وقوة ملاكمي الوزن الثقيل وجه سوق الأسهم ضربة خاطفة للسادة صغار المستثمرين وأسفرت تلك اللكمة عن ترنح السادة صغار المستثمرين الذين من المفترض أن تكون قد تشكلت لديهم مناعة مسبقة بفضل الصدمات والهبوطات والانزلاقات العمودية والأفقية. والتصحيحات المستمرة والمفاجئة لسوقنا العزيز الذي بمجرد ما اشتم خبر إعلانات الربع الثالث حتى لملم أرباحه وضف (قشه) المحترم الذي هو عبارة عن عدة مليارات من الريالات وأطلق ساقيه للريح معلنا انتهاء انتعاشته السابقة التي أحيت الزرع والضرع، وأبدلت البطيخ بالقرع، ودغدغت مخيلة العجوز والورع.

واليوم وبمناسبة تسجيل السوق لرقم هبوطي جديد فإنني أتقدم إلى كافة السادة المساهمين والمضاربين. كبارهم قبل صغارهم. هو أميرهم قبل طراطيرهم. بالتهنئة القلبية الحارة على هذا الإنجاز الذي يسجله لهم التاريخ ويرصده بحروف من دمع وآهات.[103]

[103]- صحيفة شمس 2-11-2006 عدد295

أصيح بالخليج

إذن هي عودة إلى التوتر الذي لا يغيب حتى يطل على هذا الخليج المبتلى بالقلق منذ قرون، الخليج الذي جالته سفن القراصنة العرب الذين أزعجوا الأساطيل البرتغالية والإنجليزية، الخليج سفينة السندباد الدائمة ونقطة انطلاقه نحو آفاق المغامرة وارتياد المستحيل، الخليج أبو النفط واللؤلؤ وسفن التجار الكبار تراوح بين ساحله العربي ومدارس وكالكوتا وعبادان وبومباي وبوشهر وزنجبار.

الخليج الذي عبرته الأساطيل العسكرية وناقلات النفط واللاهثون خلف كنوز المستعمرات والتوابل، حلم بطرس الأكبر وروسيا منذ فجر التاريخ، الخليج الذي حمل اسمين ونقيضين، الذي زرع بالألغام والأحلام، خليج العشاق والشعراء الذين مدوا على سجادته الزرقاء والكبيرة قصائد وتباريح وقصص عشق تنتهي ولا تنتهي، ها هو الخليج يعود ساحة مائية للقلق، حقلا للتوقعات والظنون، أجندة لسيناريوهات سياسية مستقبلية، وفاترينة للمجهول والغائب، الخليج الذي عشقته طفلاً وطفته مراهقا ووزعت حسراتي وآمالي وقصصي التافهة وحكيته وحكيت له وحكيت به ها هو يتصدر نشرات الأخبار مثل ظن سيئ وحلم كئيب؟[104]

[104]- صحيفة شمس 4-11-2006 عدد297

مأساة كرة القدم الإنجليزية

حراس المرمى هم نقطة الضعف الأكبر في كرة القدم الإنجليزية، ولو تجاوز الإنجليز هذا الحاجز لحققوا كأس العالم، بل احتفظوا به، لقد خرجت إنجلترا من كأسي العالم 1986 و 1990 بسبب قصر قامة بيتر شيلتون وتقدمه في السن، رغم أن الكتيبة الإنجليزية كانت خارقة المواهب، وفي كأس العالم 2002 خرجت إنجلترا بسبب (لقافة) حارس المرمى ديفيد سيمان وثقته الزائدة ومهارة رونالدينو.

في كأس العالم التي أقيمت في لندن وفاز بها الإنجليز كان حارس المرمى غوردون بانكس أهم العوامل في الفوز. وفي الدوري الإنجليزي قبل مرحلة الاحتراف كان حراس المرمى الإيرلنديون هم الأبرز والأقوى والأكثر جرأة (بات بونر وكريس وودز وغاري بيلي مثالا) ولولا وجود بيتر شمايكل الحارس الدنماركي الأبرز لما استطاع مانشستر يونايتيد حصد البطولات في التسعينات وليفربول في الثمانينات بحارسه الزيمبابوي الغريب الأطوار بروس غروبيلار.[105]

---

[105]- صحيفة شمس 5-11-2006 عدد298

برشا برشا يا مدلل

غـاب صـامويل إيتـو عـن برشـلونة فتاهـت بوصـلة الفريـق الكتـالوني، الـدنماركي غـود يانسـون و الـدنماركيون عـادة لا يصـلحون للعـب كـرؤوس حربـة بـل يجيـدون صـناعة اللعـب أو الـدفاع، أمـا جـولي الفرنسـي فهـو أقـل بكثـير مـن أن يمـلأ مكـان النمـر الإفريقي.

ولـو أتـى فريـق برشـلونة بـروين روبـن مهـاجم تشيلسـي الهولنـدي السـريع وأظنـه سـيفعل خـلال عـامين مـن الآن ووضـعه علـى الجنـاح الأيسـر، فـأجزم مـع عـودة إيتـو أو جلـب تيـيري هنـري مـثلا فإنـه سـيكون فريـق أحـلام كـرة القـدم ولـن تسـتطيع قـوة مـا في عـالم كـرة القـدم الصـمود أمامـه.تغير برشـلونة منـذ قـدوم إيتـو؛ أصـبح فريقـا متكـاملا يهـاجم ويسـجل في كـل الأوقـات منضـبطا في أحلـك الظـروف عـامرا بالثقـة متصـاعد الأداء. إيتـو هـو روح بارشـا أمـا الأفكـار المجنونـة والمتعـة فعنـد راقـص السـامبا الـذي تتشـكل الكرة بين قدميه في كل لحظة مثل طارئ مباغت.[106]

---

[106]- صحيفة شمس 9-11-2006 عدد302

المياه.. أزمة وجود

كل التحديات المهمة، محليا ودوليا، يمكن التغلب عليها؛ إنماء الصحراء. النفط. توزيع التنمية. التعليم. حرب الخليج، الاستقطاب الأيديولوجي، الإرهاب... كل شيء يمكن السيطرة على نتائجه باستثناء التحدي المائي الذي يلوح في الأفق شاهرا أسلحته مهددا ومتوعدا مجتمعنا وخطط التنمية والمواطن. هذا الغول القادم يفتح سيناريوهات مرعبة تمس أهم مكونات الحياة البشرية، ويمكن القول إن الملف الذي أثاره عدد من أعضاء "الشورى".

وحاولوا طرحه على مائدة النقاش. ملف شديد السخونة والإلحاح. لا بحكم أن طارحيه هم من أعضاء "الشورى". بل لأن القضية بدأت تؤثر، ولو قليلا، في ميكانيكية الحياة وتتقاطع في لحظات معينة مع آلية سيرها، ومثال جدة وأزمتها لا زال بين أيدينا طازجا وطريا؛ جدة هي أول تماس حقيقي مع هذه الأزمة التي حذرت الدراسات منها في أواخر القرن الفائت، وأول محك نقف أمامه.[107]

[107]- صحيفة شمس 15-11-2006 عدد308

بدل ندرة

بقلب مفعم بالرجاء أتمنى الموافقة على توصية اللجنة المكلفة بدراسة الوضع الوظيفي لأعضاء هيئة التدريس السعوديين والتي طالبت برفع معدلات رواتب هؤلاء القوم من بناة العقول والأرواح بما نسبته 15 بالمائة، مع صرف بدل خاص يُدفع ويوضع تحت تعريف خاص يُسمى (بدل الندرة) يخص به أصحاب التخصصات النادرة للحد من تسربهم نحو قطاعات وجهات أخرى، ميزة هذه التوصية محاولتها استباق انقراض التخصص السعودي النادر وتسربه من القلاع العلمية والدراسية وبالتالي مكافحة هدر العقول والأفكار، إضافة إلى جذب الكفاءات وإعادة إقناعها بأهمية دورها العملي انطلاقا من الجامعات والكليات والمعاهد التي يشتكي دكاترها ومعيدوها الأمرين وضآلة الحال، وهذا ما لا يستقيم مع المنطق والمعقول.

إن خلق لائحة مالية وسلم رواتب جديد يختص بالنخبة حالة ضرورية لها انعكاساتها المستقبلية الإيجابية على الطلبة وعلى عطائهم والأفكار التي تخترق رؤوسهم.[108]

---

[108]- صحيفة شمس 19-11-2006 عدد312

جيمس بوند
بوصفه تراثا

بنفس الأفكار وذات القصص وتشابه التوليفة وإن تغيرت وجوه الأبطال وملامح الحسان يعيد الإنجليز إنتاج القصة المكررة حول بطلهم السينمائي الأسطوري جيمس بوند ويعيدونه إلى الحياة بعد تسخينه في (ميكروويف) السينما.

وهذا الجيمس بوند جاء مزيجا من ذهنية استخباراتية وعقلية تجسسية أنتجتا مستعمرات لا تغيب الشمس عنها في زمن مضى.هذه المرة يُحتفى استثنائيا بدانييل كريج ذي الملامح الأنجلوساكسونية الأصيلة بعد أن تورطت الشخصية بنجوم من شاكلة تيموثي دالتون وشون كونري سابقا ونجحت مع روجر مور وبروس بروسنان الأيرلندي ذي القصة الحزينة والذي أضفى على شخصية بوند جانبا خفيف الظل رغم الجهامة الإنجليزية المعتقة وثباته ملامح وسلوكا.

مبتكر شخصية بوند استلهمه من قصص الجواسيس وضباط الاستخبارات الإنجليز الذين جالو العالم وبناه موضوعيا بشكل أوسع على شخصية المحقق شرلوك هولمز،

فكــان بونــد الــذكرى الأخــيرة لمجــد أفــل، وردّة فعــل متــأخرة علــى هيمنــة الأفكــار والموضوعات الأمريكية.[109]

---

[109]- صحيفة شمس 22-11-2006 عدد315

الجريمة الفادحة

نوعية الجريمة التي تتصاعد في مجتمعنا وتتسابق وسائل الإعلام في كشفها- وهذا شيء جيد – تثير الاستغراب والتساؤل والتحدي أيضا، إذ تتمتع جريمتنا بسيناريو دموي وخيال مافيوي وتقنية متطورة ومتجددة تتأثر عولميا بشكل أكثر سرعة، فيما المجتمع بفعالياته ومؤسساته وهيئاته وقواه الفعالة يقف في موقع المذهول والمصدوم لما يحدث، جريمتنا تتطور وتتصاعد وتتغير فيما حلولنا باستثناء الأمني منها متوقفة تماما حيث لا دراسات فعالة بل مجرد حضور نظري محدود، ولا حلول مقترحة ولا علاجات ناجعة، الأسباب وجذور المشاكل عائمة وشائكة التفاصيل، ولا أبالغ في القول إن الذهنية الإجرامية والعقل المختل وغير السوي أكثر تأثرا واستفادة بمجمل التغييرات والتقنيات التي تهبها لنا التكنولوجيا والعالم المفتوح باتصالاته وشبكاته العنكبوتية من العقل السوي والمفيد، الجريمة التي تطالعنا فادحة التكاليف ومتصاعدة الإمكانات إن لم نسيطر عليها ستسيطر علينا وتتحكم في تصرفاتنا ولو بمجرد الهاجس والخوف.[110]

---

[110]- صحيفة شمس 27-11-2006 عدد320

إلى الشارع

تنقلب الصورة في لبنان، وينقلب الكلام تماما كما تنقلب المواقف السياسية بفجائية وعنف، والمستمع لخطاب المعارضة يظن للوهلة الأولى أن الحكومة في لبنان تشبه حكومة جورجيا قبل الثورة البرتقالية، وأن المعارضة تشبه في مواقفها سون سوكي من حكم العسكر في بورما، وفي النظم الديمقراطية لا تغيير إلا بواسطة المؤسسات الدستورية ووسائل الاعتراض السلمي، لا بقطع الحواجز والحصار والتصعيد السياسي المستمر.

ورغم الحرب ولغة الرهاق السياسي وادعاءات الحكمة وضبط النفس، فإن اللجوء إلى الشارع يعني تسليم الأمور إلى الغوغاء والكوادر الحزبية المتدنية التي تجنح إلى الفوضى أكثر منها إلى الانضباط، ثم إن من يطرح الشارع كخيار عليه أن يتحمل نتائجه النارية التي لا يمكن التكهن بمداها.[111]

[111]- صحيفة شمس 2-12-2006 عدد325

احتفالات وأفكار ومواقف

ليس أعجب من افتتاح (الأسياد) وإبهاره إلا الأفكار والقصة والتناغم المذهل الذي ميز المجاميع. وحينما أذهلت فرنسا العالم في افتتاح كأس العالم 1998 بعبقريتها في التصاميم والأزياء والضوء وخرجت عن نطاق الاستاد الرياضي وجاءت المخلوقات الغريبة تتراقص على الموسيقى الضوئية كانت باريس تستعرض نورانيتها التي غيرت العالم بالأفكار المذهلة والإبداع الإنساني العظيم. أما موسكو 1980 فقد ركزت على الآلية والدقة التي يتحرك بموجبها الجميع. الطلبة الراقصون يتحركون كما لو كانوا جيشا. ولكنها خبأت فكرة الأبراج البشرية ونوافير الطلبة لتبصم على التاريخ ويزهو بريجنيف متحديا مقاطعة أمريكا وأوروبا الغربية الأبراج البشرية والمجاميع المبهرة التي ظلت آسيا والصين تحديدا تقلدها إلى اليوم.

أما الأمريكان في أولمبياد لوس أنجلوس 1984 فبدؤوا كل شيء ببساطة ودون تكلف زائد. ومضت أمورهم بيسر عجيب تماما. كما هي الحياة الأمريكية. ولئن قال المرحوم رفيق الحريري كلمته الشهيرة في افتتاح الدورة العربية في بيروت 1997 "البلد ماشي.. والشغل ماشي.. ولا يهمك" فإن رامي السهام الإسباني الذي أطلق السهم من بعيد ليشعل مرجل أولمبياد برشلونه 1992 ترك العالم مذهولا يشهق بالدهشة

والدقة مثلما صفقت البشرية للطفل الإسباني الصغير الذي بدأ بفتح أقفاص الحمام لتطير في سماء مدريد في افتتاح مونديال 1982. أما إيطاليا فقد أحرجت متابعيها حينما صدمتهم بالأزياء الشفافة والكاشفة لأجساد عارضاتها في الاستاد الأولمبي في افتتاح مونديال 1990.[112]

[112]- صحيفة شمس 3-12-2006 عدد326

الأيدز كمان وكمان

ربما فتح وزير الصحة الدكتور حمد المانع مع الدكتور سلمان العودة الدرب للتعاطي مع مرض الأيدز كشأن عام وهما بذلك يشرعان الطريق تتعامل مع هذا الملف الحساس الذي ظل مركونا في خانة المسكوت عنه سنين طويلة إلى أن ذكرت إحصاءات رسمية قبل أيام أن هناك أكثر من 10 آلاف حالة، فيما قدرت إحصاءات أخرى غير رسمية الحالات بـ 100 ألف، والمسافة بين الرقمين يمكن أن تنبئنا بمقدار الخطر الذي يهدد مجتمعنا ذا الطبيعة الشابة والتواقة إلى المعرفة، المندفعة إلى الجديد والمثير والغريب، وحتى الآن أعتقد أن إمكانياتنا الصحية والاجتماعية والتوعوية تمكننا من السيطرة على هذه الأرقام من الضحايا.

لذا من الضروري أن تنظم حملات توعية في المناطق والأقاليم والمدن الكبيرة والصغيرة للتعريف بالأيدز إضافة إلى حملات للكشف الصحي تقودها شخصيات اجتماعية وإعلامية ورياضية ودينية شعبية حتى يمكن ضرب الطوق وحصار هذا القاتل الجديد الذي بدأنا للتو في الحديث عنه والمجاهرة بوجوده.[113]

---

[113]- صحيفة شمس 5-12-2006 عدد328

مهرجانات عربية

مشكلة مهرجانات السينما العربية أنها حفلة كبيرة للبرستيج والدعائية والعلاقات العامة والادعائية الفارغة بالأهمية والنفخ بالمركزية الإبداعية، وحقل لتبختر عجائز السينما وجوائز المجاملة والدعوات المتبادلة والسجاد الأحمر الرخيص، كل ذلك يتم في نسق بيروقراطي واضح وافتعالي وبرعاية ومباركة مؤسسة رسمية ترى في مثل هذه المناشط مجالا خصبا وفرصة سانحة للمراوغات المالية والفساد الإداري.

ولأنها دون قيمة فعالة وحقيقية لم تنتج مهرجانات السينما المتوالية إلا حفلات التهم المتبادلة أو المنح المجانية والهبات المتكررة لفنانين وفنانات مستهلكين، تحكمهم روابط بعينها مع اللجان التحكيمية.

إن المهرجان الرسمي أو كل ما يمت لمؤسسة رسمية لا يمكن أن ينتج إبداعا حقيقيا ولا يصنع تغييرا جادا وفعالا؛ لأن المؤسسة أداة الرتابة، والإبداع الخلاق مخلوق حر لا يقبل تدجيناً ولا يرتهن لشرط.[114]

---

[114]- صحيفة شمس 10-12-2006 عدد333

ليس لدى الديكتاتور مَن يكاتبه

غير مأسوف عليه رحل أوغستو بينوشيه دون أن تذرف عليه سوى دميعات من بناته وهتافات بقايا من أنصار مرحلته. بينوشيه الذي رحل فرارا من بريطانيا خوفا من محاكمة دولية كان رمزا العسكرتاريا اللاتينية التي سيتحدث عنها التاريخ كثيرا ومسهبا. وإن ساعده الحظ في أن يحتضر ويدفن في بلده الذي يشبه الشاطئ فإن فرديناند ماركوس ديكتاتور الفلبين مات ودفن في هاواي أجمل المنافي وأكثرها كلفة ومتعا دون أن يتحسر لحظة على البلد الذي خلعه بسبب أرملة تلبس ثيابا صفراء واسمها كورازون أكينو.

أما بوكاسا أشهر جلادي إفريقيا فقد كان يستمتع بالتهام لحوم البشر قبل أن تشعر فرنسا بالعار وتحاكمه بعد أن لجأ إليها. أما تشاوتشيسكو فلم يسمح له محاكموه حتى بالاعتراض لينفذوا الحكم في الباحة الخلفية للمحكمة. أما صامويل دو فقد ركله جنود المتمرد تشارلز تايلور أمام عدسات المصورين، تايلور نفسه الذي سحب من منفاه الأوروبي ليحاكم في ليبيريا لارتكابه الفظائع والمذابح.بينوشيه دفن في تشيلي وتزامن موته مع الذكرى السنوية للإعلان العالمي عن حقوق الإنسان... أليست تلك مفارقة؟![115]

[115]- صحيفة شمس 12-12-2006 عدد335

في ذكرى ديانا

لم تكن ديانا بحاجة إلى حادث مروري حتى تتحول إلى أسطورة. لقد كان قلب العالم يخفق كلما ظهرت في عرض خيري أو داعبت طفلاً مريضاً أو شرفت حفلاً فنياً. لقد كانت الليدي شيئاً استثنائياً في الحضور والغياب والمشاكل وقصص الخيانة والحب الملكي وأسرار أروقة قلعة آل وندسور التاريخية، ديانا وبوصلة الموضة وعدسات المصورين والصحافيين المتهورين الذين يبحثون عن القصص التي لا تنتهي، صديقة مصممي الأزياء والموسيقيين. وملهمة خيال الشباب الفقير الباحثين عن الأميرة الحلم وسندريلا القصص الوردية، وبصفتي أحد المتيمين السابقين بالليدي أعلن رفضي التام لنتائج التحقيق وإصراري الشديد على وجود مؤامرة دولية بعد أن قررت الليدي الحديث والخروج خارج الشرنقة التي تحتم آدابا للصمت وشروطا لإغلاق الفم؛ ولأن طبيعتها الإنسانية ورقتها التي حطت في القلوب مثل حمام وادع في ميدان عام رفضت القولبة والظلم حاولت التمرد على طقس السكون بعلاقاتها وشطحاتها فقرر أحد ما أن تصمت، وأظنه فعل.[116]

---

[116]- صحيفة شمس 18-12-2006 عدد341

زاهي وهبي

لزاهي وهبي حضوره المريح على الشاشة، يجعل الضيف يحس بهدوء ومتعة، وأجمل من ذلك هو جو الوقار والأدب الجم والاحترام الذي يحيط به زاهي ضيوفه، وميزة زاهي الرئيسية في (خليك بالبيت) إضافة إلى مزاياه الكثيرة الأخرى، هو أنه يسأل ليعرف، يسأل دون غل أو رغبة في سحق الضيف وتصيده عن زوايا الكلام وممرات الآراء، يسأل ليجلو لا ليقتنص رأس ضيفه بعد أن يحشره في قناعات ونقاشات ذات صبغات شرعية ودينية.

يسأل زاهي ليكتشف لا ليكشف، يستفهم ليفهم لا (ليتفيهم) يسأل ليعرض لا ليستعرض، يسأل بود حقيقي معتمداً على استجلاء ما يريد الضيف قوله لا ما يريد هو تكريسه وتمريره؛ لذا استطاع أن ينتج شروطا جديدة في وظيفة المذيع المحاور، هذه الشروط التي امتهنها محاورو الجزيرة والذين تأثروا بهم محلياً والذين يعتقدون أن قلة الأدب والحط من الضيوف والفهلوات اللفظية و(الجمبزة) البلاغية والبيض والحجر التلفزيوني قادرة على جذب الانتباه وشد العيون والآذان، وهذه أشياء يجيدها أيضا بلياتشو السيرك بأنفه الأحمر وشعره المنكوش وحذائه الأصفر الواسع.[117]

---

[117]- صحيفة شمس 20-12-2006 عدد343

في مديح صديق صامت

الريموت كونترول صديق وفيّ في العطلات والمناسبات وأوقات الفراغ، وفي حالات الوحدة يصبح ضرورة ملحة يتسبب فقدانه أو ضياع بطاريته أو تعطله أزمة لا تماثلها سوى أزمة الملف النووي الإيراني، تفضي بصاحبها إلى حيرة لا تشبهها سوى حيرة عمرو موسى وهو يتحرك جيئة وذهابا بين أطراف الخصام اللبناني.

والريموت مطيع لا يعصي الأوامر وقد يتحول إلى طائرة تنقلك من بلد إلى بلد دون عناء، ومندوب لا يكف عن تنفيذ المهام التي يسديها له عمه المنشكح على الأريكة متأففا ومنتفخ الأوداج. ولطالما اعتبر فتحا علميا وانتصارا مجلجلا للكسالى حول العالم مثلي.

والريموت كائن صامت ولطيف ولكن الأيادي الشريرة قد تحوله إلى قاتل مفاجئ ومدمر ينطق بالموت ويتحدث بلغة عدائية، إضافة إلى ذلك فهو أداة التسلية الأكثر انتشاراً والأرخص سعرا والأطول عمرا، كما أنه لا يمن ولا يذل ويترك الحديث لإنجازاته فقط.

ومـع اقـتراب موعـد العطـلات والإجـازات فيطيـب لي أن أنتهـز هـذه اللحظـة التاريخيـة لأجـدد الـولاء وأعلـن النـدم معتـذراً عـن كـل مـا صـدر عـني مـن سـلوك خـدش شـعوره أو أساء له طوال عام كامل لأنني سأكون لاجئه وضيفه المؤتمر بأمره والمنتهي بنهيه.[118]

[118]- صحيفة شمس 25-12-2006 عدد348

الفن كموقف

لف الممثل النجم جورج كلوني دولاً حتى يحشد الرأي العام العالمي لمأساة دارفور. فيما منح بونو وساما بريطانيا على مواقفه الإنسانية وتسخيره الفن لمحاربة الفقر والمرض، وقبل ذلك قاتل بوب غيلدوف على كل جبهات الموسيقى ليضع إفريقيا ومجاعاتها في صميم الضمير الأوروبي، وحشد لذلك الحشود من غواة فنه، وأصبحت مهرجاناته المليئة بالبشر في ميادين لندن المفتوحة سمة مميزة لنهاية القرن العشرين. أما ريتشارد جير وبراد بيت فتوليا نشر قضية التيبت منطلقين من مواقف وقناعات تناقش جدوى العنف وتعمم رسالة السلام والتواصل، وبدوره اعتمر ريكي مارتن وشاحا فلسطينيا ليقول إن هناك شعبا وبشرا لا يستحقون ما يتعرضون له من عنف واضطهاد وقمع.

الفن رسالة عظيمة تحتاج إلى فهم، وقودها حب الناس، وجوهرها التواضع والفرح، وقيمتها السعادة، وسفحها الغرور، وهدفها رفع الظلم وإشاعة المحبة.[119]

---

[119]- صحيفة شمس 26-12-2006 عدد349

معايدة مبكرة

كل عام وأنتم بألف خير، عائلتي الصغيرة، أهلي، أصدقائي، أقاربي، زملائي، الذين يقرؤونني الآن والذين سيقرؤونني. والذين لن يقرؤوني، والذين لا يودون قراءتي، المحبين، والذين لا يحبون، الذين أعرفهم والذين لا أعرفهم، أبناء وطني جميعا، والمقيمين، والعرب والمسلمين، كل البشر، أحبكم وأتمنى تحقيق أمنياتكم جميعا ولو كنت أملك عصا موسى أو خاتم سليمان أو مصباح علاء الدين أو بساط الريح لحققت أمنياتكم عاجلا غير آجل، الآن الآن وليس غدا.

كل عام وأنتم بخير، تنعمون براحة الضمير والسكينة والطمأنينة، آمنين، وادعين، هانئين، متفائلين بالمستقبل، أصحاء، أقوياء، أهل حق وقاصدي خير ومغاليق شر، صادقين واثقين.

كل عام وأنتم بخير، عيدكم فرح وأيامكم مسرات لا تنقطع، لحظاتكم طاعة، ودعاؤكم مستجاب، محاطون بمن تحبون، يجري لكم وبكم ومنكم الخير محبون له.[120]

[120]- صحيفة شمس 27-12-2006 عدد350

جردة حساب

مع 2006

محليا كان 2006 عاما ذا طابع استثنائي، ولولا انهيار الأسهم الكبير الذي حدث في فبراير لكان عاما أخضر باستحقاق على مختلف الأصعدة المحلية.

وغادر كثيرون هذا المشهد الكبير المسمى الحياة كتاب، شعراء، فنانون وسياسيون، وجلجل بأحداث جسام، حرب أمطار الصيف التي أغرقت لبنان في دمار هائل، وفوز حماس ومحاكمة صدام حسين ومن ثم إعدامه بطريقة دراماتيكية ومفاجئة، وانقلاب المشهد السياسي في العراق ودخوله حربا أهلية مستترة إلى الآن، أما على الصعيد الشخصي فقد حمل العام المزيد من راحة البال- ولله الحمد – وصحة جيدة وكثير من الخسائر المادية ومشاريع مفتوحة على المستقبل القريب والبعيد رغم أن بدايته الصادمة، إلا أن كل شيء يمضي إلى حيث النهاية بهدوء ودعة، دخل العام الجديد حاملا تحدياته ومقبلا بأمل جميل وتفاؤل وسلة من الطموحات التي تبدأ به ولا تنتهي عنده.[121]

---

[121]- صحيفة شمس 7-1-2007 عدد361

كلام لا يهم في شأن مهم

كان الشعر الشعبي مسحة جمال ومضاء من دهشة وطفولة وسط غابة المعدن وحقل الأسمنت وأسوار القلق ولمسة شفافة تمنح الروح شحنات لا متناهية من التفاؤل وخفقة شعورية تدفع الإنسان إلى أقصى حدود الخيال وتخوم اللامعقول والمستحيل.

كان الشعر الشعبي مشروعا ولو بشكل شكلي واستعراضي- مع الجمال وضد القبح. مصطفا مع الجودة ضد الرداءة، وفكرة ضد البشاعة، كانت النقاشات الأثيرة والشابة لجيل الثمانينيات حول القصيدة والوعي وحركة الشعر وتطور المفردة والانفتاح على تجارب كبيرة ومؤثرة، ودخول في جدل لفظي ونقدي في محاولة تأسيس حالة تنظيرية ونقدية توصل كل ما يحدث وتتابع التغيير والتأثير المتضادين بين الشعر والناس والمجتمع والإبداع.

فيما شرع الذين جاؤوا في التسعينيات لتوسيع رقعة وانتشار هذا الفن الجميل مدفوعين بعقدة نقص وألم محروقين بنظرة عربية قاصرة تجاه المنطقة وإنسانها وإبداعها فروجوا دون وعي لكل شيء. أغنية، قصائد، وشعراء مستفيدين من اندفاعة حرب الخليج الثانية ونتائجها التي سوقت كثيرا للمنطقة فيما منحت الشعر الشعبي صكي الاعتراف والرسمية وتم تعميده ناطقا شعبيا مفوض الصلاحيات.

الآن يأتي جيل في الشعر الشعبي مفاخرا بتخلفه ومنافحاً عن (طعوسية) يشهد بها القاصي والداني مشفوعة بجهل لا عين رأته ولا أذن سمعت به ولا خطر على قلب بشر، جيل غريب فرح بشعر لا يشبه الشعر، مستنكر اللغة تائه الملامح، شعر وشعراء يشبهون البعارين، أصواتهم مزعجة وكمياتهم كبيرة، وفوائدهم قليلة، بطيئو الحركة، يستوعبون بشكل معكوس ونياتهم مقلوبة. قاموسهم تافه ولغوهم إلى آخر حدود الأرض. قصائدهم طويلة بلا مضامين، حشوها الفخر الزائف وحواشيها التعالي الكذوب على القصيدة التي يركع أمامها أعظم شعراء الإنسانية وأضخمهم موهبة.[122]

[122]- صحيفة شمس 8-1-2007 عدد362

حالة استنفار عامة

اقتراب موعد الاختبارات النصفية يشيع حالة قلق وتوتر مضاعفة في البيوت والنفوس والطلبة والمدارس، ويعمم مناخا من الجذب اللامعقول لدى الأسرة والاستقطاب المتشنج في المناخ العام، شيء لا مفهوم حيث لا حديث إلا عن الاختبارات ولا جدال إلا حول المنهج والأسئلة بكميات تفوق طاقة الاحتمال والقدرة على المقاومة لدى النفسيات الطرية الذين هم في الآخر أبناؤنا وإخواننا.

إن التعامل مع الاختبارات على أنها حالات صراع وتحد مع المنهج والتربية والوزارة والمدرسة والبيت والأسرة والمحيط والأصدقاء يشكل زلزالا نفسيا ذا توابع على المدى الطويل على الطالب أو الطالبة، ويمكن تشبيهها بحالة العناصر المشعة في الطبيعة لا تموت ولا تضمحل ولا تنفد ولا تتحول، إن الاختبارات مسألة طبيعية يجب ألا تحمل أكثر مما تحتمل لأنها ستعود بانعكاسات مضادة للمدرسة والمجتمع والناس والأسرة، وهي حالة عادية يواجهها وسيواجهها الطالب طالبا وموظفا وإنسانا عاملا في الحياة باستمرار، ولا يمكن النظر إليها على أنها قضية حياة أو موت وإلا خلقنا إنسانا معقدا ومأزوما قبل أن يلج إلى الحياة الواسعة ويستفيد منه المجتمع.[123]

---

[123]- صحيفة شمس 9-1-2007 عدد363

خليجي 18

غابت الإمارات عن الترشيحات للكأس منذ أن أختفى زهير بخيت والطلياني لا إسماعيل مطر ولا غيره قادرون على ملء الفراغ الرهيب، أما قطر فإنها لا تفوز إلا في البطولات التي تلعب على أرضها ويتوافر خلالها شرطي الأرض والجمهور ودعم الاعلام ولسان أحمد السليطي.

أما عمان فإنها ستكون بحاجة إلى الحظ الذي خذل ماتشالا طويلا في رحلته الخليجية المفعمة بالدروس والنجاح والاكتشاف. أما الكويت فأظن أن اللقب سيبتعد سنوات أخرى بعد أن غابت الموهبة عن القميص الأزرق واستبدلت بقصات الشعر وأمور أخرى جعلت نجما مثل بشار عبد الله يغادر الملاعب مبكرا بعد أن وجد نفسه وحيدا ينفخ في قرب مقطوعة. في حين أن منتخب البحرين قدرة أن يلعب دور الرجل الثاني مؤثرا وحاضرا وحاسما ولكن من دون لقب. أما الأخضر فقصته قديمة وعلته معروفة وسيحتاج إلى مجموعة من الذين يستطيعون التسديد من خارج منطقة الجزاء حتى يضمن استعادة اللقب. هكذا فعلها أول مرة أما العراق فمنتخب يلعب بالحماس واستذكار مأساة الوطن. أما اليمن فضيف واجب التقدير وزائر بارك الله به متى ما خفف من عدد الأهداف الواردة في مرماه خفف. لذا ومن خلال ذلك كله فأظن أن الترشيحات جميعها تصب لمصلحة المنتخب الإيراني للفوز

باللقب والعودة به إلى طهران رغم أن المنتخب الإيراني لا يشارك بالبطولة ولا يحق له ذلك.[124]

[124]- صحيفة شمس 13-1-2007 عدد367

عبد الباري عطوان..
الرياضة

فهم أحمد السليطي الإثارة بشكل مقلوب والتنافس بطريقة معكوسة، والحماس على أنه معركة تحرير وطني، فاستل لسانه وبسط به على الرائح والغادي كما تفعل العجائز القواعد من النساء هاذرا وناذرا ذاته لكل منقصة وقادما من خبرات لا تتعدى (تحديد العوارض) واستخفاف الدم، رغم أن هناك أشياء أخرى أكثر خفة مصدرها الرأس متبوئا مقعده من الشاشة الغشاشة التي هيأت لسكسوكة خالد جاسم المنحوتة بدقة على محياه حيزا لا ينافسها به إلا غترته الشاهرة على المشاهدين ككوبرا هندية والتي استدعت من القناة صرف بدل شهري يضاف إلى راتب المذيع الهمام خصص (كبدل نشا).

وفي الأزمنة الطارئة والظروف الاستثنائية يمكن لمن هم مثل السليطي اللعلعة والجعجعة حالما بدور عبد الباري عطوان بصيغة رياضية خليجية، غير أن ثمة وقاحة ما تترصد، وفجاجة تشمر عن ساقيها الكريهتين تظن أن الإثارة ورفع درجة التنافس في الشتيمة المحضة والدخول في الإساءات الجماعية للشعوب والردح المجاني والمباهاة البلهاء التي

لا تفـرق بـين الرياضـة والكرامـة الوطنيـة، الرياضـة الـتي يفهـم منهـا أحمـد السـليطي مـا يفهمه عامل في منفوحة عن اتفاقية كيوتو لوقف التلوث البيئي.[125]

[125] - صحيفة شمس 14-1-2007 عدد368

رونالدو كمان وكمان

فابيو كابيلو لا يريد رونالدو أن يلعب في ريال مدريد، في حين صال في صفوفه وجال لاعبون متدنو الموهبة مثل جوتي وراؤول غونزاليس وهيلغيرا وراموس وسالغادو أما بيكام فاكتشف منذ لحظة تعاقده الأولى أن ريال مدريد يريد شراء اسمه فمنحهم الاسم وارتدى القميص وأخذ يتمشى في الملعب. بيكام هو نفسه الذي كاد يأكل الأخضر واليابس حينما لعبت إنجلترا في كأس العالم آخذا في الركض خلف الكرة كالمجنون حارثا الأرض والسماء بتمريراته وتسديداته. أما رونالدو فحتما سينتقل إلى ناد آخر وحتما سينتقم في أول لقاء بين فريقه الجديد وريال مدريد مثلما فعل فرناندو موريانتس برباعيته الشهيرة حينما أعاروه لموناكو على ما أظن.

رونالدو موهبة وتاريخا وإنجازا وسمعة أكبر من كابيلو المدرب خريج مدارس الدفاع والتحصين الذي جلب للبرنابيو من أجل إعادة تأهيل الدفاع دون أن يدرك أن ضعف دفاع الريال قضية أزلية لا حل لها وأزمة قديمة تشبه أزمة منتخب إيران الذي ظل يعاني تاريخيا من دفاع ضعيف على الرغم من أن أجيالا رائعة من المهاجمين ولاعبي الوسط جاءت ورحلت، لن يضير رونالدو وهو الذي عشق التحديات أن يخرج من الريال، لأنه نادي النقص والتفاهات الكثيرة الذي فرط بمعنجهية بكلود

بميكـاليلي دون أسـباب واضـحة الأمـر الـذي دفعـوا ثمنـه في الإدارة والملعـب دمعـا ومـا زالوا مترنحين في كل مسابقة ومعتزين في كل بطولة.[126]

[126]- صحيفة شمس 15-1-2007 عدد369

لسان باكيتا

يدخل ماركوس باكيتا كأس الخليج بتصريحات فيها من التعالي الكثير متناسيا أن هذه الدورة ذات وضع استثنائي حساسيتها عالية ومنافساتها مستمرة منذ 36 عاما، ولطالما دخلت أسماء وخرجت أخرى (بالشلوت الكبير). كما يعنينا أن يدرك السيد باكيتا أننا نريد منه أشياء بسيطة وواضحة مثل أن يضع لسانه في فمه ويحكم إغلاقه ويعمل ويتكتك لاستكمال عوامل النقص وقراءة الفرق المنافسة ووضع الخطط لتجاوزها.

لأن هناك منتخبات تترصد الأخضر في دربه الصعب ومجموعته الأصعب، أما طول اللسان والتصريحات النارية فمصيرها للانكشاف بعد يومين على الأكثر، وإذا ما حاول برونو ميتسو مدرب الإمارات رفع الروح المعنوية لفريقه وحشد الدعم عبر تصريحاته التي أشار فيها إلى فوز فريقه بالكأس فنستطيع تبرير ذلك برغبة مدرب لا يملك فرصا كبيرة ولا مواهب يعتمد عليها فيحاول التعويض لسانيا مطلقا (طلقتين في عرس ابن العمدة) كما يقول المثل الصعيدي، أما السيد باكيتا فلا سماح ولا غفران له إلا أن يعود بالكأس أما الأعذار فيفضل أن يبقيها في قلبه.[127]

[127]- صحيفة شمس 16-1-2007 عدد370

ماتشالا وأسرار

كأس الخليج

هـذا الرجـل أذكـى المـدربين وأنجحهـم في كـأس الخلـيج، حصـدها مـرتين وكـاد في الثالثـة لـولا الحـظ وضـعف خـبرة المبـاريات النهائيـة للاعبيـه الصـغار الـذين كـانوا يـدورون في الملعـب كالـدبابير، رجـل يقـيم في الخلـيج منـذ 17 عامـا جـال علـى بلـداĔا ودرب جـل منتخباēـا وأقـوى أنـديتها، خـاض جميـع مسـابقاēا المحليـة والإقليميـة والدوليـة، يعـرف أدق خباياها وأسرارها، يعرف ماتشالا ما يقوله الخليجيون عن بعضهم البعض.

لـذا سـحق منتخـب عمـان منتخـب الكويـت بالثلاثـة لأن ماتشـالا أسـر للعمـانيين مـا يشـيعه الكويتيـون عـنهم، وهـذا مـا أغضـب صـحافتها بعـد تلـك المبـاراة، وحينمـا أراد ماتشـالا مـن منتخـب الكويـت الفـوز علـى الأخضـر في كـأس الخلـيج 1996 وكـان حينهـا منتخبـا مجهـول الإمكـانات وغـير مؤهـل للفـوز، جمـع ماتشـالا لاعبيـه صـبيحة المبـاراة وطلـب مـنهم قـراءة الصـحف السـعودية حرفـا حرفـا والـتي كانـت مملـوءة بلغـة الفـوز والتعـالي، بعـدها فـازت الكويـت في المبـاراة والبطولـة وبعـدها بعـام أوصـى عبـد الله وبـران بنرفـزة حسـين عبـد الغـني لطـرده في المبـاراة الشـهيرة؛ لأنـه مفتـاح اللعـب وبوابـة النصـر والخسـارة وهـذا مـا طبقـه وبـران الفنـان وكانـت مسـألة غريبـة عليـه ولكنهـا التعليمـات. ماتشـالا مـدرب خبـير مـن نـوع خـاص يحـب بنـاء الفـرق والاعتمـاد علـى لاعبـين غـير

مقنعـين فنيـا، يلعـب كـرة جماعيـة يطـير بأظهـرة مجنونـة ورأس حربـة لا يعـرف المسـتحيل ومـدافعين يجيـدون التسـديد مـن مسـافات بعيـدة، ماتشـالا هـو سـاحر الخلـيج وأظنـه الأكثر تأهيلا لحمل الكأس في النهاية.[128]

[128]- صحيفة شمس 17-1-2007 عدد371

من الجولة الأولى لكأس الخليج

فاز العمانيون (واقفين) دون جهد زائد على الإماراتيين المنرفزين والمشحونين بجماهيرهم التي حضرت مباراة الافتتاح وطرد لاعبهم مجانا ليهدي للعمانيين سببا إضافيا للفوز عدا أحقيتهم. ميتسو في موقف محرج، لاعبوه ذوو إمكانات ضئيلة ومطالب في الوقت ذاته بتحقيق الإنجاز. وانتهت الجولة بتذيل الإماراتي ذيل المجموعة السهلة، أما الكويتيون فقد استهانوا ربما بعقلهم الباطن بمنتخب اليمن السعيد ليخرجوا بشق الأنفس بنقطة يتيمة وأداء هزيل ودرس في كرة القدم عنوانه احترام المنافس. أما خصومهم فقد كسبوا إعجاب الجميع ولعبهم بروح عالية وهدف على الطريقة العالمية.

أما الأخضر فقد نفذ من المأزق البحريني بركلة جزاء ولاعبين مطرودين وأداء مقلق، كسبنا فيه مهاجما جسورا وسريعا ومزعجا وصاحب نزعة للركض وتهديد الخصوم طرح استبداله سؤالا مهما، هل كان السيد باكيتا يعتقد أنه سيجرب مهاجميه بشير والسالم في المرمى البحريني بحيث تنتهي المباراة بنتيجة خضراء كبيرة. أما منتخب البحرين فتاه وتعطلت تمريراته وثقلت حركة لاعبيه على غير العادة وكسب دفاعه سمعة مدربه الألماني الذي كان صلبا وعنيفا وخشنا، أما العنابي فتميز بحركة حسين

ياسر الدائمة والتي لم تجد رد فعل مناسبا من سباستيان الذي أضاع ثلاث هجمات محققة. وفيما يخص المنتخب العراقي فلقد أثبت العراقيون دائما أنهم لاعبو كرة قدم بالغريزة، موهوبون بالفطرة حتى لو انعدمت الإمكانات.[129]

[129]- صحيفة شمس 20-1-2007 عدد374

تناقض

قبل بدء كل دورة من دورات الخليج يركض الإعلام الخليجي في فرش سجادات الأخوة ورش ماء ورد المصير المشترك وحرق بخور الوحدة وتلازم الماضي والحاضر والمستقبل لشعوب وبلدان المنطقة، كما ينثر مسؤولو الرياضة أزهار الحب والاحترام، مؤكدين على التنافس الشريف والركض البريء والنزيه نحو الكأس.

ومع إطلاق أول صافرة لبدء أول مباراة يركض الجميع في جولة قصيرة مدتها أسبوعان للردح والشتيمة والانتقاص بدأها هذه المرة رئيس الوفد البحريني الذي اتهم الحكم الأجنبي لمباراة المنتخب البحريني والمنتخب السعودي بأنه (معطيها) أو (ماعطها) رغم أن الحكم ليس بحاجة إلى أن (يعطيها) أو (يمعطها)؛ لأنه، وبحكم أشياء كثيرة، يمكن أن (يعطيها) و(يمعطها) في أي وقت شاء غير وقت المباراة. في حين رفض يوسف السركال أن يفوته مشهد الزفة الخليجية الكبيرة؛ فنسي أنه المضيف. وهاجم خليل جلال الحكم عيانا بيانا. جهارا نهارا. متهما إياه بلغة سوقية بعدم الكفاءة. ومع اشتداد المنافسات وخروج الفرق ستكثر الهجمات وسيدخل الجميع في كرنفال من القذائف الكلامية والسجالات اللفظية.

المشكلة الحقيقية أن هذه القذائف والسجالات تعتبر ملمحا مهما وأحد أكثر عوامل الجذب والانتباه والنجومية. وهذه مفارقة يجوز فيها مط الشفاه عجبا![130]

---

[130]- صحيفة شمس 22-1-2007 عدد376

حرب الجماهير

نكهة جديدة أضافتها الكاميرا إلى المدرجات التي دائما ما تمتلئ بالمتعصبين والمزعجين وهواة الصراخ والزعيق وعاشقي الطبول والإيقاعات؛ فدوران الكاميرا أضفى نسمة لطيفة وخفف من حدة الشد العصبي وسيل الشتائم الموجه للاعبين والحكم في كل مباراة، وفتح طاقة بسيطة للعيون حتى تتعلق بالمدرجات وتلمح خطفا الحاضرين مع كل هجمة وهدف وردة فعل. وفي هذه الدورة دخل العنصر النسائي طرفا في المعركة دائرة الرحى، والمسماة كأس الخليج؛ فصلن وجلن وحمسن مستعيدات أدوارا تاريخية، ولئن غضب البعض من بعض سلوكيات (الجمهورات) فهذا من حقهم، إلا أن المسألة برمتها تعد ملمحا جديدا، وسمة من السمات الكروية التي دخلت عالميا بعد مونديال روما 1990 مع مشجعات المنتخب البرازيلي.

وخليجيا بدأت هذه الموضة مع الجمهور الكويتي في الدورة العاشرة 1990 التي طغت خلالها ظاهرة (الأشمغة الملونة)، واللثام الذي جذب الكاميرات إلى المدرجات، بعد أن كانت لا تعرف سوى المسطح الأخضر واللاعبين والمنصة.[131]

---

[131]- صحيفة شمس 23-1-2007 عدد337

ترويض ميتسو

آمل أن يتذكر لاعبو الأخضر أن مواجهة صاحب الأرض الأبيض الإماراتي اليوم وجمهوره الكبير لها تبعات نفسية مضاعفة عليهم وعلى مضيفيهم؛ إذ إن الأبيض الإماراتي الذي، وإن عكس انطباعا غير حقيقي في الدور الأول، فيجب ألا ننسى أنه يمتلك مدربا داهية، إضافة إلى نسق تصاعدي نتمنى ألا يكتمل أمام ياسر القحطاني ورفاقه من صقورنا الخضر.

الإماراتيون مشتعلون برغبة اقتناص الكأس ومصافحتها، ولو لمرة واحدة، خصوصا أن هذه الدورة لهم تنظيميا وبين جماهيرهم، وإلا فإن عليهم أن ينتظروا 16 عاما أخرى، والإماراتيون فريق صعب إذا لعب على أرضه، ولنا في نهائي آسيا 96 عظة وعبرة؛ لذا فإن أفضل ما يمكن عمله اليوم هو الهدوء وبرودة الأعصاب ومحاولة إنهاء المباراة باكرا؛ إذا إن إطالة أمد اللعب لن تخدم كتيبتنا التي عانت إصابات مؤثرة وغيابات مهمة، مع تمنياتنا لأخضرنا بالعودة بكأس الخليج إلى حيث ألف وألفنا.[132]

---

[132]- صحيفة شمس 27-1-2007 عدد381

الرخصة الثالثة

في قطاع متفجر عالميا مثل قطاع الاتصالات يمكن لنا أن نستبشر ونتفاءل بكل ما يحدث. مستفيدين من هذا الانفتاح الهائل في سوق الاتصالات السعودية الذي حتما سيقود إلى رفع مستوى الثقافة التقنية والمعلوماتية لدى المجتمع. كما سيزيد مساحة احتكاكهم واتصالهم مع ما يحدث عالميا على الصعيد التقني الذي يعد الواجهة "العولمية" الأولى وأهم مقاييس التطور والتسارع الإيجابي لمجتمع ما. إن أهم احتياجات الحداثة التقنية هي الذهن الشاب سريع التغيير والتحديث. الذي له القدرة على المواكبة وإلغاء المراحل لا البناء على ما سبق.

لقد أثبتت تجربة قطاع الاتصالات ومراحلها المختلفة أن مجتمعنا قادر على الاستجابة السريعة والتطور بإيقاع عالمي، وإننا لم نكن حالة مقاومة أو استثناء سلبيا. ولو منحت رخص أخرى للثابت وشركات الخدمات الإنترنتية الفضائية وعريضة النطاق لأمكن إدخال المناطق البعيدة والمعزولة جغرافيا في حالة الحداثة التقنية وتماست هذه الجزر العمرانية مع العالم على كل صعيد؛ فالسوق والمستهلك السعوديان لديهما القدرة الهائلة على استيعاب استثمارات هائلة ومشاريع عملاقة ذات صيغ عالمية.[133]

[133]- صحيفة شمس 26-3-2007 عدد439

رسائل القمة العربية

إن بلغ الرسائل ما تكون واضحة وصادحة بالحقيقة، مواجهة وهادئة تحمل الحق وتنتصر للمنطق والمصلحة، تساوي بين جميع الأطراف وتقف من الكل ذات المسافة. رافعة همّا تطرق بشأنه كل المتاح سياسيا والممكن دبلوماسيا؛ لتثبت حوله تحالفات سياسة مشروعة وواضحة متكئة على تراكم تاريخي من الثقة والمسؤولية والإسهام الحيوي في خلق استقرار وصناعة رخاء اقتصادي يعود على الناس والمجتمعات بالرخاء والنماء.

الإنسان الذي هو جوهر كل شيء. وعلى مدى تاريخ القمم كان الموقف السعودي مسؤولا ومتوازنا غير خاضع للاستعراض السياسي العربي الذي طبع حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية وزمن الاستقطاب الأيديولوجي، وباستعراض التاريخ السياسي العربي المعاصر كان للمملكة موقف واضح وحاسم في أوقات تقاطعت بها رؤى البعض ومصالحهم، وتشابه عليهم بقر كثير في حقل السياسة المتقلب.

واليوم والرياض تحتضن قمة القادة العربية فإن أفقا سياسيا تلوح بوادره يدفع نحو اتجاهات وخيارات جديدة في المنطقة التي شبعت من الخلاف والصراعات والاستقطابات القادمة من عمق التاريخ. اليوم يجتمع القادرة العرب وهم أحوج ما

يكونـون إلى الاتفـاق وتوحيـد الرؤيـة وأقـرب مـا يكونـون إلى بعضـهم رغـم المشـهد الـذي يبدو متوترا وقاتماً بعض الشيء.[134]

[134]- صحيفة شمس 27-3-2007 عدد440

قمة الرياض..
نحن محكومون بالأمل

اختطف العمل السياسي العربي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وتأسيس جامعة الدول العربية من قبل الصوت العالي ونظرية المؤامرة. غرقت الرؤية السياسية والقدرة على الفرز والتشخيص في العامل الثاني، فيما جذب العامل الأول الساسة والزعماء والنقابيين. في الوقت ذاته نتذكر أن القيادات الوطنية في البلدان العربية قبل مرحلة الاستقلال والدولة القطرية لم تمارس ولم تؤمن لا بالخطابة ولا بالمؤامرة. لقد كان العمل والمشروع الوطني التحرري هواجس ملحة وغايات شعبية ووطنية غير قابلة للتنازل أو التأجيل في ذهن قيادات تلك المرحلة وشعوبها.

واليوم إذ تنعقد القمة في الرياض. فإن هناك آمالا كبيرة بأن تعود المسؤولية السياسية والرؤية الوطنية الخالصة إلى خارطة العمل السياسي العربي. خصوصا أن مؤشرات قمة الرياض تشير إلى تغيير حقيقي في نوعية التعاطي السياسي العربي؛ ربما لأن التحديات كبيرة والأخطار أكثر من أن تعد.

في الرياض، القمة والمدينة، تبرق تغييرات في الأفق تنبئ بعودة العقل وسيطرة المنطق على حساب الخيال والمغامرة والحسابات قصيرة الأمد. في قمة الرياض يدرك الزعماء حجم المسؤولية التاريخية وحجم الآمال التي تنتظرها شعوبهم.[135]

[135]- صحيفة شمس 28-3-2007 عدد441

في توحش الشركات

الترويج للملكية الفردية بهذا النمط المتسارع وإعلاء قيمة المادة وإشاعة الفوضى التسويقية وشحن الناس بكل هذه الكمية من الجنون الاستهلاكي مع غياب سطوة المراقبة والقوانين المنظمة الصارمة تؤدي حتماً إلى سحق الإنسان و"تسليعه"؛ حيث يتحول الكائن البشري إلى مجرد رقم، وتؤدي المحصلة النهائية إلى أن تتحول الشركات والمؤسسات الربحية للسيطرة على مفاصل المجتمع وقواه المختلفة؛ حيث تفرغه من قيَمه، وتحوله إلى مجرد آلة استهلاك ضخمة تنتج حتى تستهلك، وتستهلك حتى تنتج.

هذه الشركات والمؤسسات الخاصة مهما كبر حجمها أو صغر تنظر بعين انتهازية ورغبة ملحة للسيطرة على المجتمع وأسرة ضمن قيودها اللاأخلاقية ومصالحها الخاصة التي لا آخر لها. كانت المؤسسات الخاصة والشركات عبر تاريخها الطويل منتجا للفوضى والاستغلال والقوانين المكرسة لهيمنتها.[136]

[136]- صحيفة شمس 1-6-2007 عدد872

شفرة توم هانكس

يتربع توم هانكس على عرش النجومية المطلقة في السينما الأمريكية بمزاحمة خفية من توم كروز ويقدم الآن في مراحل نضوجه أعمالا قيمة وهو من طينة مختلفة من النجوم لا تعتمد على وسامة أو رشاقة أو إعجاب نسائي أو عضلات مفرودة، هو موهبة تشبه موهبة أنطوني كوين – نجومية حتى آخر يوم من العمر – تجلت ونضجت وأبدعت وألهبت في (فوريست غامب) الذي كان إعلانا لنجومية عريضة وقبل ذلك بسنوات مع ميغ ريان في (أرق في سياتل)، أما في (إنقاذ الجندي ريان) فقد لعبت أجواء الحرب وشخصيته الكابتن ميلر التي جسدها دورا في إضفاء مسحة من الألق على كل دور يؤديه، الكابتن ميلر الوطني والجاد والصابر الملتزم بمهمته حتى النهاية، وفي (الطريق إلى الجحيم) القاتل المحترف الذي يقتل ويُقتل دفاعا عن تحول ابنه إلى قاتل آخر وهو الذي فقد نصف أسرته إثر عملية تصفية، وتوم هانكس ليس متهورا وأرعن صقليا مثل دنيرو أوباتشينو، وليس لاتينيا يعتمد على سوقيته للنجاح مثل آندي جارسيا، أو إيرلنديا بارد التعابير مثل هاريسون فورد وروبرت ردفورد هو شيء يشبه مورغان فريمان إذا أدى دورا عن الأفارقة أو أنطوني كوين إذا مثل يونانيا أو نيل جوردان إذا قدم شيئا عن الصراع في إيرلند أوكلينت إيستوود عن الغرب الأمريكي المتوحش.[137]

---

[137]- صحيفة شمس 2-6-2007 عدد873

مارتن "كوثر" كنج!

بعد سنوات من "كعب داير" على "عربسات"، "فحت"كوثر البشراوي على بقالة الممانعة الفضائية وتلفزيون الصمود والتصدي، لتعيد إنتاج شتيمتنا، نحن المعتادون على هذا النمط من البشر الذي كدنا نحسبه انقرض بفضل التطور النوعي والانتخاب للعناصر والأجناس، لكن الخطأ كان في تطبيقنا لا في النظرية.

وهكذا جيء بها من متحف التاريخ الطبيعي في ليلة "ليلاء" وسهرة "سهراء" لتؤنس وحدة المشاهدين الذين انتظروا خبرا عن حبيب أو علما من غائب ولكنها السياسة.. قاتل الله السياسة التي تجلب عجوزا بعد تقاعدها القسري بفضل عوامل التعرية والتكسية لتتصدر المشهد الدامي وتزيغ الأبصار عن اللون الخاكي الذي ملأ السهل المعشب ودخان الغاز المسيل لكل العيون المحبة، والإنسانية في "هولوكوست" الحرية و"دياسبورا" شعب الله المختار مما يحدث حينها.

حق للخطيئة بقرنيها العظميين أن تمد لسانها ساخرة وتصالب ساقيها بحوافر مدببة لتنظر عن "شرف المهنة". واليوم حين حقت شتيمتنا من كل ناقص لتسمح لنا السيدة البشراوي بالنظر في عينيها الصفراوين التي تحملناها في سنوات الصفاء، وهي تركض بعباءتها المضحكة في قاعات الفنادق حاملة

رسالة الثقافة والتسطيح الاستهلاكي غامرة إيانا بمنها العظيم لنقول "خلاص.. بطلنا.. هونا".. لم نعد نخاف..لا ترهبنا الشتائم .."وئام وهاب" كان أشطر.. "عبدالباري كان أشطر".. "صوت العرب أشطر الجميع".. لم يعد لدينا ما نخافه.. قاعدة "كلب ينبح لك ولا كلب ينبح عليك" لم تعد موجودة في قاموسنا.. "خذي راحتك".[138]

[138] - جريدة الوطن 30-4-2011

"السكسوكة" في الإعلانات!

في الإعلان كما في الحياة كل شيء خاضع للانطباع والطبيعة.. اللبناني أنيق بحقيبة مشغول دوما بجواله و"جل" شعره يدخل أو يخرج من اجتماع، أما المصري فهو "برم" و"روش" و"دقرم" بلا طبيعة عمل يروج لمشروب غازي أو شركة اتصالات وفي الخلفية مذيع مزعج متأثر بمدرسة "يو مارك" الدعائية، أما الكويتي فمرتبط بسيارته منها وإليها وبها تسير الحياة، في حين السعودي سمين "بسكسوكة" مربك ومرتبك على لعلعة مذيع بلهجة "عرب الشيخ طايل" وكأن الدنيا مسلسل بدوي طويل، في حين العراقي يبحث عن وطن في إعلانات مدفوعة, الكهل فيها عاجز والشاب إرهابي وكل ما حولهما دم وأرقام للتبليغ.

في الإعلان كما في الحياة كل شيء خاضع للانطباع والطبيعة، فاللبنانية في سهرة أو تستعد لسهرة عبر إعلانات العطور والمجوهرات، أما المصرية فمشغولة طبخا ونفخا بطلة زيوت "دوار الشمس" ومرطبات البشرة، أما الكويتية فتخصص مؤسسات صحية، فيما السعودية تتقاسم مع والدتها اختبارات المنظفات على الأقمشة و"ديربي" حفايظ الأطفال في الوقت الذي تحاول

العراقيـة دفـع أبنائهـا نحـو المؤسسـات الأمنيـة والشـوارع الـتي تترصـدها السـيارات المفخخة والمقنعون.

في الإعلان كما في الحياة كل شـيء خاضـع للانطباع والطبيعة.. إعلانات البنوك متقنة وخادعة، أما شـركات الاتصـالات فمزعجة وسـريعة، في حين لا تخلو إعلانات المطاعم من ثنائية الطماطم والخس، وبين كل هذا وذاك السـعودي سمين بسـكسـوكة يبتسـم بلا سبب.. مربك ومرتبك كاريكاتوري لأن شركات الدعاية والإعلان تريده كذلك حتى في محطاته.[139]

[139] - جريدة الوطن 10-6-2011

ريض "المنكعين"..
"شلولخ"!

قبل "سلفستر ستالون" كان النموذج الهوليوودي للبطل حتى منتصف السبعينيات رجل كاوبوي متجهما يجوب براري الغرب المتوحش وحيدا على حصانه مثل "لي فان كليف" و"تشارلز برونسون" و"كلينت أيستوود" أما بعده فاكتشفت هوليوود نموذجا آخر باستطاعته هزيمة جيش كامل، بطل بإمكانات بدنية هائلة وجرأة فائقة، فجاء جيل كامل من منفوخي العضلات، بروس ويليس، فان دام، دولف لاندجرين، ستيفن سيغال، وعبر المصارعون إلى الفن السابع، هالك هوغن، مستر تي، أرنولد شوارزينجر.. ارتفعت كلفة الإنتاج، زادت الميزانيات بفعل المؤثرات ومشاهد التفجير، راجت مهنة "الدوبلير" ودخلت التكنلوجيا فسهلت الأمور وتضاعفت الأرباح وانفجرت هوليوود بالأعمال والفرص، وتوسعت مساحات التسويق عبر العالم وهكذا ولد "الأكشن" فنا جديدا.

قبل "سلفستر ستالون" كانت هوليوود أسيرة أفلام الخيال العلمي البغيضة "حرب النجوم" و"كوكب القردة" و"سوبرمان" دائخة من هبوط أول إنسان على سطح القمر 1969، أما بعده فعادت إلى الأرض واكتشفت الرأسمالية أهمية السينما في صراعها مع الشيوعية، وحين كان الأميركان من أصول إيطالية يعانون تبعات "العراب"، منحهم ستالون أفقا آخر وحكى للعالم عن فنيات أخرى يجيدونها من خلال نموذجهم "بالبوا"

المستوحى من بطل الأربعينيات في الملاكمة "روكي مارشيانو" لتتسلسل القصة ويسقطها ستالون على حياته في كل جزء مستذكرا وصية والده حين قال له: "ستعيش بفضل عضلاتك لا عقلك"، كان الأب يستهين بولده الذي كتب حياته وأنتجها عبر سداسية "روكي" باستثناء الرابع الذي كان تفاهة محضة وتوظيفا آيديولوجيا فاقعا، أما في "رامبو" ورغم عوائده التجارية فقد وجه الإدانة الصارخة في الجزء الأول للمجتمع والدولة والناس.. انتفض المقاتل السابق ليشعل المدينة بالحرائق والانفجارات غضبا لإهانة عابرة تقصدها شرطي تافه.. تأثيرات ستالون لم تقف عند السينما، بل امتدت للموسيقى.. لذلك بقيت أغنية "عين النمر" لفرقة "سيرفايفر" عبر السنوات نموذجا للتحدي والكفاح وصعود المجد. وهكذا كان الرجل الذي ولد بارتخاء في عضلات الوجه ورشح لجائزة أسوأ ممثل أكثر من 20 مرة يحقق فرقا من الصعب لعشرين فائزا بالأوسكار فعله، كانت وصية الحلاق الإيطالي المهاجر لولده متقنة ومهينة.. وكانت فطنة الابن يقظة وخلاقة.[140]

---

[140] - جريدة الوطن 19-12-2011

الأرشيف الوطني..
"أرامكو" وأفلامها الوثائقية

في مناسبة غالية كاليوم الوطني أسأل: لماذا لا يتم عرض الأفلام التسجيلية الخاصة بـ"أرامكو"، التي تحكي في تسجيلاتها النادرة مراحل مهمة ومفصلية من تاريخ وطننا العظيم؟ حتما يحفظ أرشيف الشركة العملاقة وثائق بصرية رائعة كتبت وصورت وفق مقاييس فنية عالية، لكنها وللأسف أسيرة الرفوف، لا يعرف عنها وحولها الكثير، وستبقى كذلك ما لم يتم التعامل معها بوصفها تراثا وطنيا ليس لأحد ميزة احتكاره والاستئثار به. أظن أن من حق كل الأجيال السعودية الاطلاع على هذا التراث ومشاهدته لنعرف أية قصة تحدّ ومجدٍ كتبت على رمال هذه الصحراء الممتدة.

اليوم أصبحت الصورة ذاكرة البشرية التي لا تشيخ، ومتحفها الإنساني الكبير، لكن للتكنولوجيا رأي آخر قادر على تغيير مسار الأشياء رغما عنا، فلا يمكن التنبؤ بما يمكن أن يحدث غدا فيضيع ذلك كله دون أن نراه ونشاهده، خصوصا كونه يغطي مرحلة زمنية مبكرة انحسرت شواهدها واختفى معاصروها، وغدت سطورا في سجلات باحث أو أبياتا لشاعر سيار، وأظن أن مناسبة عظيمة كاليوم الوطني يمكن استغلالها لتقديم عروض لهذه النوعية

من الأعمال التسجيلية والوثائقية، سواء بالتعاون مع التلفزيون السعودي الرسمي أو أي من القنوات المتخصصة الأخرى, المهم ألا تبقى في الخزائن وأن يشاهدها الناس، ليدركوا كم هو قاس وصعب قهر كل الظروف لبناء وطن هائل كالمملكة العربية السعودية، التحم قادته بشعبهم، فصنعوا واحدة من أهم التجارب في تأسيس الدول.

إن الأرشيف التلفزيوني لـ"أرامكو" متى ما أفرج عنه ينقل لنا كل ذلك ببساطة، ويعكس لنا كل الأوضاع والظروف حينها، ويعطينا صورة حقيقية عن كل التفاصيل التي شكلت كيان وطننا ومؤسساته.. قصة من الصعب تصورها, عصي على أمهر الرواة تخيلها, تتجدد لنا في مثل هذا الوقت من كل عام فنتذكرها، ونتذكر عظمة مؤسس الوحدة وأبنائه الذين استكملوا مسيرته على خير وجه، فحق لهم مباهاة الأمم بهذا الشعب وهذه البلاد.[141]

[141] - جريدة الوطن 24-9-2012

دعوة لـ"العامية"
في نشرات الأخبار

لا أعرف سر التمسك باستخدام العربية الفصحى في نشرات الأخبار؟ والتقارير المرافقة في قنواتنا المحلية السعودية الرسمية أو الخاصة رغم ثقلها على الأذن وخضوعها لشروط قاسية لم تنقذها من الأخطاء على شفاه وألسنة المذيعين والمراسلين، لنجرب مرة استبدالها باللهجة العامية.. ما الضير؟ لماذا لا تعتمد القنوات الخاصة هذا الاقتراح المجاني، فالعامية أسهل وأكثر تحررا وتمنح المتابع ما تعود عليه وتداول استعماله؟

اللبنانيون أكثر جرأة، تجربتهم لافتة في ذلك، وفيها روح وطنية واضحة وإشاعة لعنصر أساسي في تكوينهم، لم تقم القيامة الثقافية حينها.. أعرف أن هذا الطرح مستفز ويستدعي نقاشا طويلا لكن هذا زمن الثقافات المتعددة المنوعة، وليس ثقافة "الكتلة" الصماء واللهجات المتسلسلة من الفصحى وامتدادها التاريخي والإنساني، لذا لا يمكن أن تخاف على كائن من امتداده، فإذا كان أقل منه حينها لايستحق حتى خوفك، والفصحى محفوظة بالقرآن الكريم ومثبتة به، إذا ما الداعي إلى القلق، فالعامية أرق وألطف وأكثر قابلية وأعمق تعبيرا وأقرب إلى النفس، ومتحررة من تفاصيل لا لزوم لها، ولا أحد يعيرها

اهتماما سوى المدققين اللغويين العاملين في القنوات التي تعتمدها، هذا إن وجدوا.

إنَّ كل ما يحيط بنا شفاهي وعامي ونراه أكثر اتساقا وتماهيا معنا، لأننا لا نشعر بتعارضه مع السياق العام لحياتنا، لكننا نشعر بذلك التصادم حين سماع الفصحى في التلفزيون، بل على العكس أصبحت الفصحى موضوعا للتندر والسخرية، ومثالا جليا على التكلف والتصنع، فالحقيقة التي يجهلها حماة الفصحى أنها أمست عالة ثقافية حقيقية وحملا ثقيلا لا ينوء بوطئه سواهم، في زمن تحب فيه المجتمعات المحلية عوامل تميزها وتفاصيلها الصغيرة التي لا تشترك بها مع آخرين، وحتى لا يقال: لماذا تكتب بها ما دمت تدعو لما يضادها؟ فالرد سهل وبسيط، لأن الأمر لوعاد لي ما ترددت لحظة، لكنها حالة رهاب ثقافي واسعة، وتاريخ طويل من التخويف استخدمت خلاله كل الوسائل، لكن الزمن وضعنا في مواجهة الحقيقة التي أجبرتنا على إدخال المفردات الأجنبية واختصاراتها المدهشة التي عجزت عنها لغتنا الأم واستعمالها في يومياتنا، ومنها نشرات الأخبار كأفضل مثال على الانسحاق الحضاري.[142]

[142] - جريدة الوطن 1-10-2012

كآبات فيروز
وعزلتها المميتة

فيروز كائن شديد العزلة، قوي التصفيح والمنعة، لا يذكر لها محبوها لقاء أو حوارا أو مقابلة صحفية أو تلفزيونية أو إذاعية. لم تنقل عنها حتى إشاعة. أغانيها تبعث شعورا قاتلا بالكآبة والضيق، تستحضر اللوعات والأسى وكل ما هو حاد، وأستغرب ربطها بالصباح كما يشيع مريدوها. ظهورها النادر في التسجيلات المرئية والحفلات، لا يكشف سوى إيماءات متوترة وحركات شديدة العصبية، وجهامة على الملامح في كل مراحلها الزمنية، والذين يرغبون التلذذ والاستمتاع لجمالياتها الكامنة: صوتا وموسيقى وشعرا، عليهم بمسرحياتها، فهي أكثر اكتمالا ووضوحا وتجسيدا لقيمتها.

أما غير ذلك فأظنه حالة عدوى ثقافية وانسياقا قطيعيا لا أكثر، ففهمي لا يستطيع استيعاب كيف لفنانة وقيمة كفيروز أن تكون بهذا التبتل الإعلامي، والحصار الشعوري والزهد اللامفهوم؟ فلا تفاعل ولا حضور، وكل ما دبج وكتب فيها وعنها بالصحافة لم يحرضها لتكشف جوانب من حياتها، وأرائها في الفن والحياة، وكأن تلك المسائل لا تعنيها، وهذا محير وغريب.

كيف لخزينة التجربة هذة التي ناهزت الثمانين، وعاصرت أحداثا وعصورا ومواقف وشخصيات، وشكلت وجدان أجيال، أن تستسلم لهذا الترهبن المميت. مسألة محيرة، واستفهامات بلا إجابة، نقدها جريمة، نقاشها محرم، حياتها مجهولة التفاصيل، وكل ما يظهر مجرد سجالات وجدل بين ورثة تراثها المفترضين. ورغم ذلك تظل بعيدة في معتزلها القصي، واللبنانيون صحافة وشعبا، والذين يعشقون نكش ونبش قضايا الكون والبلدان والشخوص، يقفون عاجزين ـ بإرادتهم أو بغيرها ـ عن اختراق هذا اللغز القريب المتاح. إما أن لا شيء يستحق وهذا مستبعد، أو هو خوف وهذا غير مبرر، أو أن ثمة اتفاق جمعي على الموقف منها، بعدم الاقتراب والصمت الكلي، وهذه ممالأة لا تبرير لها. ففيروز تراث قومي يشترك فيه الناس جميعا، كالماء والهواء، ويحق لهم معرفة ما لا يعرفون.

مسألة مربكة بامتياز، وحيرة لا تتوقف، كلما استحضرت صوتها عابرا في موجة أثير أو محطة تلفزيونية، أعيد طرحها متى ما أتيحت الفرصة وسنحت المساحة علّي أدرك ما عجزت، فيجيبني محبوها الكثر المهووسون بها صوتا وقيمة وتاريخا، وهي تستحق.[143]

[143] - جريدة الوطن 8-10-2012

"الخصوصية" السعودية بوصفها ميزة

حيوي كل هذا الجدل، وسيول الكلام السعودي على الفضائيات، حيث القضايا والنقاش وردود الفعل والتصريحات و"النشب" ونجوم المجتمع في كل المجالات، ظل السعوديون لسنوات يتحدثون عما يفكرون به خارج الحدود مشغولين بغيرهم، التقطت الفضائيات اللبنانية تحديدا هذا الخيط مع حالة الانفجار الفضائي التي أعقبت حرب تحرير الكويت 1991 وفردت ساعات البث لهم حضورا واتصالات، الهدف كان تجاريا في صميمه، حيث كعكة الإعلان اللذيذة التي تلهث خلف مؤشرات المتابعة وقوائم المشاهدين، لكن الحال انقلب مع مرحلة الاستقطاب السياسي والطائفي التي سادت المنطقة عقب غزو العراق.

أدرك السعوديون بوعي أن ثمة توظيفات سياسية وأيديولوجية تراد لظهورهم، فعادوا إلى حدودهم الجغرافية مدركين أنهم أمام تحد جديد، وجدوا وطنهم ومشروعهم الحضاري كبشر في مواجهته، وأعني هنا الإرهاب.. هنا بدأت موجة العودة إلى الداخل التي اتسعت بفضل استثمارات محلية في الإعلام والفضائيات تحديدا، انتبه المستثمرون وأصحاب الفضائيات إلى أن ثمة قنوات خليجية تجذب مشاهدهم المواطن بفضل تبنيها إنتاج مسلسلات وتقديم برامج

حوارية دينية ورياضية، ومن هنا بدأ التنافس، كان أنموذجهم جاهزا وباهر النجاح. بالطبع كان المصريون قد أنجزوا تحرير الإعلام بعد إصلاحات طالت قطاعه 2005، اندفع كثير من رجال الأعمال المصريين لتأسيس محطاتهم التلفزيونية، وكطبيعة أبناء المحروسة امتلأت شاشاتهم بقضاياهم شديدة المحلية دون الانشغال بالآخرين، كذلك فعل الكويتيون بعد قانون الوزير أنس الرشيد 2006 الذي سمح بإنشاء صحف ومحطات فضائية خاصة، فبدأت المنطقة تعيش فورة الإعلام الخاص، وقوامها الجمهور المحلي.

أدرك المستثمرون السعوديون معادلة النجاح فاتجهوا إلى كل قضاياهم ومشاكلهم اليومية، وبدؤوا بإطلاق برامج "التوك شو" بنجوم محليين شباب لاستيعابها واحتوائها وجني ثمارها الإعلانية، واليوم تتناسل هذه البرامج، ويوميا تدخل إلى الشاشة منتجات جديدة توغل في خصوصيتها وتتصاعد في جرأة تناولها، نسي المشاهد البسيط الذي يواجه مشاكله التنموية والخدمية؛ نسي القضايا القومية والأممية التي أشغلته سنوات، عاد إلى ذاته ليراها على الشاشة متفاعلا وحيويا، نابضا بالأفكار والجدالات.[144]

---

[144] - جريدة الوطن 14-10-2012

وداعة الطائر مخطط الأجنحة

لاأحد يعرف ماذا حل بها؟ لكن"مؤسسة الإنتاج البرامجي الخليجي المشترك" ذاكرة ووعي تشكل شكل وجدان أبناء الخليج والعرب، فالطائرالوديع الذي خفق بجناحيه المقلمين بداية الثمانينات الميلادية معلنا حلول البرامج التعليمية والحكايات الكارتونية مازال يسكن قلوب الذين هم الآن في الأربعينات و"شابت عوارضهم في منازلة الحياة.

أيامها كانت الحياة طرية والناس طيبين يرشدون بأبوة، ويهدون بحلم، ينصحون بأناة، يصفحون ويصفعون باقتدار وميانة, مثلت مؤسسة الإنتاج البرامجي تجربة ناجحة على المستوى الخليجي مثلها مثل كأس الخليج، وخلقت عاملا ترفيهيا وإرشاديا مشتركا ووسيلة تربوية هادفة برؤى واضحة لأبناء البقعة التي تنام على بترول العالم، وينام العالم مطمئنا بسبب بترولها، وقتذاك كان الناس قد غادروا حديثا صحراءهم وسواحلهم الملحية محتفظين بارتباكات الأعراب وجلد الصيادين كان التلفزيون ولج للتو البيوت، التي للتو أصبحت حجرية، فكانت الإدهاشات الأولى للمؤسسة التي حاولت أن تكون عباءة الوعي، و"فلتر" الناشئة والأمهات بالنصائح والتمثيليات القصيرة خفيفة الظل والروح.

واليوم نحاصر كمجتمع وأفراد بمئات القنوات التجارية التي تستقطب آلاف الخبراء في مختلف التخصصات، لكن أيا منهم لا يحمل ثقة برامج مؤسسة الإنتاج ولا سماحة ودعة ممثليها، أرقام التصويت والاتصال التي تهطل بين الفواصل الدعائية تشي وتشف وتكشف تراجع كل مشروعات الأسرة لصالح الاستهلاك، تستسلم الطفولة بمؤسساتها التربوية أمام طغيان نمط عولمي يعلي من الربحية.. منطقه العرض والطلب، فتزداد حاجتنا أكثر من السابق لإحياء دور "مؤسسة الإنتاج البرامجي الخليجي المشترك" من جديد، لأن الظرف أصبح ملزما ولحوحا، فالمجتمعات البسيطة التي أنشئت من أجلها المؤسسة بداية الثمانينات تحولت بعد ثلاثين عاما لأهداف متاحة وساحة للصراع بنفسيات متوترة، وأفكار ضيقة، وقلق كاف لتشغيل كل محطات الدنيا ،مجتمعات أكثر هشاشة وأقل تأهيلا وأوفر مالا، تعصف بها ملفات الجريمة والتطرف والعزلة، أطفالها أسرى أجهزتهم المحمولة بأضوائها الساطعة، وذاكرتهم لا تحمل أجنحة الطائر المخطط الذي يحط بوداعة معلنا بدء برامج الأطفال والأسرة.[145]

---

[145] - جريدة الوطن 16-11-2012

فارس عوض
الذي خرب كرة القدم!

لولاه ربما ماتت مهنة التعليق على مباريات كرة القدم، وأضحت سردا لفظيا مملا وسيلا كلاميا وصفيا باردا بلا معنى، يهطل على المشاهد المفتون باللعبة الشعبية الأولى مجتاحا عالمه الصغير.. لقد حولها الفتي الإماراتي الخجول إلى قصيدة ممتعة وفرجة موازية، من خلال ذخيرة لغوية فاتنة فيها من الشعر والأدب والخيال والمعلومة والاستشهادات اللافتة، وقبل ذلك الحياد الجميل والنظافة السمعية التي تصادق وتؤالف لا تخدش ولا تصدم.. نعم تحتشد القنوات بعشرات من زملاء المهنة قدماء وجدد لكن "فارس" يبقى الخيار الأول والأثير، صديق الرياضيين والشعراء والفنانين وكل من يحب الإتقان في الحياة، يظن مقلدوه أن المسألة بضع مفردات ونبرة صوت وألقاب ترمى هنا وهناك على هذا وذاك.. نسوا أن ثمة كيمياء وتفاعلا لا يمنحان لأي كان؛ فالناس تحب من يحبها وتحترم من يحترمها وتصدق مع من يصدقها دون خلفيات أو تراكمات، لذا احتفت به كما يستحق نجما أثيرا أينما حضر وأطل..

مقاطع الـ "يوتيوب" خير دليل، فقلما تحتشد الناس لتحية معلق كروي كما تصنع مع سائر نجوم الرياضة والحياة.. قبل "فارس الوصف والتعليق"، كانت علاقتنا مع المعلقين متنافرة وحدية، ننتظر زلاتهم لتبادل النكات، نحفظ لهم ارتباكاتهم وأخطاءهم اللغوية، نتسقط نسيانهم وذاكرتهم.. بعده جاءت القصائد وكلمات أدباء الدنيا وأمثلة العالم لتملأنا بهجة ورصانة.. خرب التكتيكات القديمة و"اللزمات" المكرورة والأساليب المستهلكة، جلب معه جيلا مختلفا من المعلقين يبحث عن الدقة.. رفع سقف الطموح للقنوات الرياضية وجماهيرها، وحول المهنة إلى وهج تغيرت معه المعادلة فأصبح المتابع يسأل عن المعلق قبل المباراة، ورغم ذلك ظل متواضعا لا تزيده الشهرة إلا أدبا ومسؤولية وودا.. نحاول سرقة صوته كلما سنحت الفرصة رغم قوانين الاحتكار والحصرية التي تكبلنا بها القنوات والمنافسات، وفي كل فرصة سعودية يعود الرجل بلهفة المغترب وشوق البعيد ليجدد الحب ويؤكد الوفاء ويكمل رحلته الفاتنة في عالم المجنونة المستديرة التي جننت الناس في كل الأماكن.[146]

---

[146] - جريدة الوطن 3-12-2012

عزمي القومي و"الأستذة" الاصطناعية

الشارب الكث والرقبة المعوجة و"الأستذة" الاصطناعية على الشاشة، لا تصنع ثورة ولا تحرر وطنا ولا تكتب دستورا، لذلك كله هرب المنظر القومي إلى الوصفات اللفظية في كيفية بناء الأنظمة والمجتمعات ونسي شعبه ووطنه ومدينته، ليتفرغ لبيع المفرقعات النارية الدبلوماسية والشقلبات السياسية على من يشتري.

وفي زمن يضيق بالقومية يسوق بياع الخواتم القومية بضاعته الرديئة كل يوم في الدكان الفضائي على مصطبة التحريض والعقد المركبة، ناسيا أن الشباب الذين انفجرت بهم الساحات والميادين لم يكن ليخرجوا لو كانوا مؤمنين بالوصايات والاسترشادات والأبوات الفكرية، لم ينتظروا أن يسوق عليهم الهارب من وطنه مفهوم الوطنية، لم ينتظروا أن يقرأ عليهم مزاميره المثقوبة لأنهم لو كانوا يؤمنون أصلا بهذه المفاهيم لما ثاروا، ثاروا لأن ثمة مثقفين متناقضين مزدوجي المعايير انتهازيين يجأرون، ويهربون من استحقاقاتها عبر ركض تلفزيوني تنظيري ومراهقات بصرية، مثقفون من نمط عزمي بشارة يرى بعين ويسمع بأذن، عزمي الذي يحاول بفوقيته المستفزة وحواراته ذات المسار الواحد أن يقول لنا ما الذي ينبغي فعله، فيما الفعل الحقيقي ألا نسلم عقولنا لمن أراد

مـداعبتها بشـعارات يشـتريها مـن متحـف التـاريخ يـداري هويتـه الحقيقيـة تحـت مسميات فضفاضة..

اليوم ليقـل لنـا عزمـي بشـارة لمـاذا يـترك وطنـه وحيـدا، فيمـا الآخـرون مـن أبنـاء وطنـه يـدفعون السـنين مـن أعمـارهم خلـف الـزنازين، اليـوم يبـيح عضـو الكنيسـت وحامـل الجـواز الإسـرائيلي لنفسـه أن يقتعـد كرسـيه الفضـائي ويطعـج رقبتـه ممسـدا شـاربه ليحاضـر عـن فضـائل النضـال وضـرورات الكفـاح المرحليـة الـتي هـرب منهـا بجـواز سـفر إسـرائيلي وعضـوية كنيسـت مسـحوبة ووطـن تحـت الاحـتلال وشـعب يموت منذ قرن.[147]

[147] - جريدة الوطن 26-12-2011

أحلام مستغانمي ..
وابتلاءات الثقافة العربية !

في الثقافة العربية هناك ابتلاءات تصنعها مكائن ما لأسباب ما ثم ينفخ فيها كـ" بالونات " إبداعية زيفا حد الوهم تتحول بفعل التكريس إلى قناعة وحالة ترسخ تصيربعدها ثابتا أصيلا لايمكن جدله ولا نقاشه ومن ثم تستحيل " ورما " استئصاله بجراحات نقدية واجب إلزامي على المشتغلين الحقيقيين الذين لاتغريهم " نيونات" الاستهلاك الثقافي أو تورطات الشخصاية , " أحلام مستغانمي "كمثال , حيث تلهث منابر لتداولها كحالة خلاقة بينما الدلالات تؤكد أنها حالة عابرة من العلاقات العامة الثقافية باستطاعتها عبر حملات مكثفة تحويل كاتب ما أيا كان مستواه إلى حضور برستيجي تكميلي قريب من النجومية التلفزيونية اعتمادا على إستثارات حسية استغلالا لفراغات الثقافة العربية والنزعات التسويقية حيث تميل مستغانمي إلى التباهي البرستيجي عبر حفلات التوقيع والصور والنجومية وتنقل هذه العدوى إلى قارئها ليتحول الأمر إلى حالة زيف دائرية , شبهة إبداعية وإنسانية وكتابية كاملة وحالة تصابي ثقافية حيث الأدب بصيغة هوليودية مشفوعا بإبتذالات حسية صنعت هيكلا عظميا إبداعيا يحاول إن يكون غادة السمان أخرى لكنه يتشكل ككريمة شاهين والغريب في المسألة كل هذا الصمت القبوري غير

المفهوم عن هكذا حالة تمضي بها السنين دون إشارة أو حتى همسة تمحيصية وكأن مشروعا مشبوها قدر له انه يعبر المشهد النقدي كطيف , ماهذا التواطؤ ؟ ولما هذا التطبيل والسيرك المستمر ؟, الهذة الدرجة باتت السطحية قادرة على الوثوب والإستحواذ؟ كيف يمكن ان ندفع بمواهب حقيقية في مختلف الحقول وهم يشاهدون هذه الحالة الشاخصة من مباذل الثقافة التي تعبد لها الطرق نحو كل المنافذ بيسر , هل الثقافة العربية مسكونة بهاجس النسوية ؟ مالذي تملكه مستغانمي إبداعا وموهبة ولاتملكه غيرها ؟ أسئلة تلغم النقدية المعلبة المشغولة بإحتفائياتها البلاستيكية بنجومها الشمعية .

هراءات بثياب بيضاء!

المسلسلات الخليجية أصبحت حقلا للسفالات والعلاقات المتوترة، حيث الابن يصرخ في وجه أبيه والبنت "تشخط " في أمها، فيما يصول الخدم ويجولون، بينما الأطفال منفتحون على العلاقات منقطعون عن أسرهم، أسرى للإنترنت والانتهاكات البشعة.

لم يعودوا كما في كل المجتمعات أمثلة للبراءة والطهر، تحولت موديلات السيارات ونوعياتها لأبطال تتشارك في ذلك مع الأثاث المنزلي، صارت "الدراريع" و"الجلابيات" والانتفاخات والتهدلات والارتجاجات الجسدية أكثر أهمية من النص والأداء، حتى الممثلون المخضرمون الذين عايشوا تجارب ومدارس ومواضيع وكان لهم فيما سبق حضور وهيبة وموهبة انخرطوا في اللعبة، ولا ألومهم على ذلك، فأكل العيش يحب الخفية ويكره الثقل، تحولت شركات الإنتاج إلى شيء يعف الإنسان عن ذكره، غدا المنتجون باعة أجساد وملامح وهوى بصري، أدخلوا أصنافا بشرية لا يمكن أن تشاهدها إلا في شوارع المدن الخلفية، طبعا لا أعمم لكن هذا ما يحدث، الشاشة امتلأت بالمخجل والمكرر: جريمة، تفكك، طلاق، فراق، ظلم، محاكم، عنصرية وفوقية، وقتال من أجل المال والاستحواذ، وقبل ذلك وبعده الدموع حتى بات تعديل الخرائط والجيولوجيا واجبا بحيث يمكن تصنيف المسلسل الخليجي كأكبر محيط دمعي أو جزيرة للتوترات، هذا عدا الصراع الحيواني المؤطر بلغة تهديدية، حيث الغابة

أقرب من أي شيء، عالم لا يمكن للبشر أن يعيشوا فيه.. تحولنا لنماذج مأزومة تافهة وسطحية، تهتم بقشور الأشياء حيث لا مواضيع ولا قصص ولا خيال ولا تعبير ولا جمال ولا خفة دم، حيث الجهامات القاتمة والنظرات المدببة والملامح الكئيبة التي لا تعبر إلا عن هراءات هائلة تلبس ثيابا بيضاء وعباءات سوداء، تعتمر الأشمغة وتلف "الطرحات"، لا تجيد إلا استخدام هواتفها النقالة والتحرك بسياراتها والالتفاف بكراسيها المكتبية بلغة آمرة ناهية، بعيون مراوغة مخاتلة، ضحكاتها مسنونة وابتساماتها سكينية، شيء يدفع لاقتراف الفجيعة وإدمان القنوط.[148]

[148] - جريدة الوطن 28-10-2013

عزمي "بالإشارة"..
سيد الهزائم والخيبات

الرجل الذي تصدى سنين لمهمة توجيه العرب أقطارا وشعوبا نحو التطور والحداثة والديموقراطية والحقوق المدنية عبر قناة الجزيرة وتولى شرح الأحداث وتحليل المواقف الفكرية والسياسية والإقليمية والدولية، نسي قيادة نفسه نحو تلك الأهداف، وتحول في خضم حملته الدونكيشوتية تلك لمستودع هزائم وخيبات .

علماني في زمن هيمنة الأصوليات، مقاوم متقاعد هارب في ظل تغول المشروع الاستيطاني الصهيوني، فيما تواجه زميلته حنين زعبي دعاوى قانونية يومية ضد عضويتها في الكنيست.

مسيحي أقلوي وسط محيط إسلامي مهيمن، قومي بمرجعية شيوعية في وقت الشعوبيات والتقسيمات المنمنمة لمجتمعات الشرق الأوسط وصعود نمط استهلاكي رأسمالي معولم.. صاحب النزعات الفلسفية في حين بات كل ما حوله شعبويا ومباشرا ووعظيا، يصفه مريدوه بالمفكر العربي في محاولة للإيهام بكونه عابرا للهويات والقطريات، في الوقت الذي عجز عن المحافظة على تمثيل بلدته الناصرة في الانتخابات.. وحين وصل المد الثوري إلى سورية صمت

بغرابة ولاذ بالظل والظلال بحثا عن سلامة ما، فقد غضب عليه النظام البعثي حليف الأمس وصديق الأيام الخوالي لما حاول الاستمرار في التأصيل الثوري موهوما بقيمة ما ظنه كسبها أثناء الثورة المصرية.

"قرضاوي الجزيرة العلماني" الغائب عن الظهور هذه الأيام سكت لأن حسابات التحريض التي بشر بها قبلا أتت بنماذج وأنظمة لا تتفق مع رؤيته الناقصة.. جاءت الثورات بثوار ذي لحى كثة متبنين أفكارا دينية ومشاريع فيها من الحلم أضعاف ما بها من الواقع، انشغلوا بصراعات السلطة واستحواذاتها وهو الذي كان يظن أنه يقدم خارطة طريق تفصيلية للتنمية وبناء المؤسسات وهيكلة الدول.. سقطت الأنظمة التي كانت تستضيفها مؤسساتها لإلقاء المحاضرات وباتت في ذمة التاريخ، تحول المحور المقاوم الممانع القريب منه إلى أداة شاملة للقتل وتوزيع المجازر بالتساوي على المدن الثائرة.. انكشف الغطاء الطائفي لـ"حزب الله"، وجدت "حماس" حلفاء جددا يتولون مسؤوليتها، فيما قننت إطلالاته عبر قناة "الجزيرة" إلا من هزائمه المتوالية وخيباته الكثر.[149]

---

[149] - جريدة الوطن 28-1-2013

إلى أين أنت

(زاهب) يا (هازا)؟

الأعمـال التاريخيـة مملـة ومصـطنعة ومتكلفـة، لغـة وأزياء وديكـوراً ولحـىً وعمـائمَ.. لا عمـل تاريخيـاً بـلا لحـى وعمـائم، لكـن صـورة أقـرب إلى الهزليـة تشـكّلت بسـبب أعمـال مصـرية قديمـة كانـت تمـزج اللهجـة المحليـة بالفصـحى في السـتينات.. خلطـة مضـحكة فيهـا مـن التهـريج، والشخصـيات الـتي تمثـل كفـار قـريش؛ كانـت حـواجبهم أعـرض وأصـواتهم جهوريـة وبِنـاهم أضـخم، كـانوا قسـاة وهـزليين في آن واحد، لا يتحركون إلا مع الجواري والعبيد.

حكمـت فكـرة المحكـات التاريخيـة للـدين الإسـلامي وصـراعاته المفصـلية غالـب أعمـال المصـريين في السـتينات ولا يلامـون، كـانوا يعيشـون ظروفـاً سياسـية صـعبة، فحـاولوا توظيـف الفـن في معـركتهم، اسـتورد اللبنـانيون فكـرة الأعمـال التاريخيـة مـؤزَّرين بميـزتهم في إتقـان اللغـة العربيـة، إضـافة إلى مـزاياهم الأخـرى طبعـاً، فـأنتجوا أعمـالاً غالبـاً مـا كانـت حـول شخصـيات تاريخيـة أدبيـة أو فكريـة، فيهـا مـن فـن السيرة شـيء كثـير، أعمـال مـن نوعيـة "أبـو دلامـة" و"أشـعب"، نجمهـا الأول كـان رشـيد علامــة، لم يحـاول اللبنـانيون ـ كعـادتهم ـ الاصـطدام بالثوابـت والنقاشـات الجدليـة، "اشـتروا دمـاغهم مبكـراً" فـ"مشُّوها" وتعـاملوا مـع الأمـر علـى أنـه

"بيـزنس"، كانـت أعمـالاً دراميـة فقـط لم يتورطـوا بالـدخول في إنتاجـات سـينمائية حـتى مـع إنتـاج ليبيـا فـيلم "عمـر المختـار"، والعـراق فـيلم "القادسـية" مطلـع الثمانينـات.. لكـن عمـل "ليلـة سـقوط غرناطـة" صـعد بالـدراما التاريخيـة إلى مسـتويات محترمـة مـن المتابعـة، بعـد هـذا العمـل تلمّـس السـوريون والأردنيـون الـدرب نهايـة الثمانينـات مـع مسلسـل "البركـان"، فيمـا ظـل المصـريون محصـورين في الاشـتغال علـى سـير الخلفـاء والأئمـة، وأهـم مـن لعـب تلـك الأدوار نـور الشـريف ومحمـود ياسـين، لكـنهم أبقـوا علـى اللحـى الاصـطناعية والجلابيـب الفضفاضـة صـورة أقـرب إلى الكمـال، وعلـى رغـم ذلـك احتفظـوا بلهجـتهم وسـط اللغـة الأم، وهـذه ميـزة مصـرية طبعـاً، مـع مـزاياهم الكثـر في الأعمـال التاريخيـة الـتي تـزداد كـل يوم مللاً.[150]

---

[150]- جريدة الوطن 2013-10-28

عتبروها "ديسكفري تشانيل

لا يمكن التكهن بالمدى الذي يمكن أن تذهب إليه برامج التراث الشعبي في التلفزيونات الخاصة والعامة؟ تبث البرامج على مدار الساعة ونحن نتعاطف مع محبيها, بحكم الحنين وشيء من هذا وشيء من ذاك أمام اتهامات مستمرة.

كانت الفضائيات الشعبية آخر ما وقفت أمامه، فالأمر قديم ومتراكم ويتجدد بحكم الحياة, فحين بدأ المهتمون بالتراث الشعبي بعد منتصف القرن الفائت في جمعه، شعراً وقصائد وسيراً في كتب، كان الاتهام الأول الذي لاح في الأفق الضيق، أن هذا الدور الثقافي يحرض على العنصرية، ويحض على القبلية، ويسبب "الحزازات" الاجتماعية، ويكرس "الجهويات"، خصوصاً أن المنطقة سياسياً بعد الحرب العالمية الثانية بدأت في الدخول إلى نمط الدولة، التي أدت إلى انحسار القوى العسكرية الاستعمارية، وحين بدأت البرامج الإذاعية التراثية في الإذاعات الخليجية مطلع الستينات مع بداية تشكل المؤسسات والدوائر الرسمية، ومنها الأجهزة الإعلامية، التي كانت تحرص على إيراد القصص والقصائد واستضافة الرواة والشعراء، شخصت الاتهامات بالعنصرية والمناطقية والقبلية مرة أخرى، وحين بدأ التلفزيون الرسمي في دول الخليج مطلع السبعينات الميلادية بث بعض البرامج الشعبية والمسلسلات البدوية، عاد نفس الاتهام لينهض من جديد مثل جناية، ولما جاءت الصفحات الشعرية الشعبية

في الصحف بداية الثمانينات، كانت أولى الاتهامات وأقساها، أنها تروّج لثقافة متخلفة وقديمة تجاوزتها الدولة العصرية، ولما تحوّلت هذه الصفحات إلى مجلات شعبية في التسعينات، ردد البعض ذات التهمة، وربطها بنزعات قبلية وعنصرية، وكذلك انسحب الأمر على القنوات الفضائية ذات الطرح التراثي والشعبي.

الغريب أن كل أمم الأرض وشعوب العالم، تنظر بإجلال وقدسية لتراثها وموروثها وتحميه وتحافظ عليه، وتنشئ له المطبوعات ومؤسسات الدراسات البحثية والفلكلورية، في حين أننا لا نجيد سوى اتهامه ومحاولة تحطيمه وحشوه بالسيئ والعنصري والقبلي والضيق من الرؤى، إننا نتهم أنفسنا ونتهم تاريخنا وسلوكنا أو ممارستنا الثقافية، فالذي لا ينظر إلى موروثه باحترام، لا يمكن أن ينظر إلى نفسه، والذين يجيدون توجيه الاتهامات يعجزون عن إيراد الدلائل، وهكذا تستمر الأمور مع كل محك بطبيعة اجتماعية ومع كل تطور.. سيرة قديمة تنفتح لكنها لا تغلق أبدا.[151]

---

[151] -جريدة الوطن 13-10-2013

رأفت الميهي ..
عن مخرج مظلوم

خيال وجنون المخرج رأفت الميهي محبب، بينما رسائل يوسف شاهين مملة، وفيها عقد كثيرة ونهايات مفتوحة تؤدي إلى أشياء كثيرة ليست المتعة بينها، أفكاره جدلية و"مجعلكة" مهمومة بتفاصيل التفاصيل، وأظن الصدى الدولي منحه اهتماما أكثر من غيره، مدرسة الميهي وهي بالفعل كذلك فيها من الخفة والرشاقة الكثير معه حتى ممدوح عبدالعليم تحول إلى نجم استعراضي في "يامهلبية يا"، وفي "الذل" رأينا يحيى الفخراني كوميديا من طراز رفيع. أما محمود عبدالعزيز فتحول إلى كائن خرافي متفجر بالسخرية الهائلة في "سيداتي أنساتي"، وأما عادل إمام فكان في "الأفوكاتو" سحرا مختلفا ورشيقا متمايزا عن جل أعمال مسيرته الأخرى، أدخل الميهي إلى السينما المصرية تكنيك المشهد المفصول والمعزول حيث الحوار ساخر وقصير وبلا موضوع، لكنه حوار لذيذ بينما كان الحوار مشروع شاهين الوحيد حيث كل ما يحدث جدل ونقاش وأفكار، والفيلم دراسة فكرية بلا روح وتمريرات تخاطب مشاهدا كونيا، صحيح أن كاميرته مميزة لكن هذا لم ينزع من أعماله ثقل الدم والنزق، وغالبا ما ترافق أعماله ضجة هي في زعمي مدبرة ومرسومة لزوم الرواج في حين حاول الميهي دوما تفادي مثل هذه النوعية من الضجيج رغم أن أعماله لم يغب عنها ذلك،

رحل يوسف شاهين تاركا تراثا سينمائيا هائلا وبوابة مفتوحة للسينما المصرية على العالمية، حاول تلامذته السير على ذات المنهج وإن بدوا أقل بمراحل من منجزه، واليوم تحفل السينما المصرية بموجة أعمال جلها كوميدي النزعة تبتعد قليلا عن المحاولات الجريئة عدا إطلالات داوود عبدالسيد ويسري نصرالله، لكن رأفت الميهي مختلف لا يشبه أحدا، فيه كل جنون السينما وخيالها الواسع الأخاذ وخفتها المدهشة التي لا تترك عقلك وروحك، الموضوع غير مهم، الجنون هو الأهم، والآن ابتعد رأفت الميهي منذ زمن، وفقدت السينما نبضا استثنائيا جاء لها من بوابة السيناريو، السيناريست المخرج الفنان الذي شرع الباب للجنون الفكاهي والموضوع اللاموضوع. الفكرة تستحوذ على العمل كاملا.[152]

[152] - جريدة الوطن 7-10-2013

ماذا يفشل النجوم الأطفال ؟

اضطربت حياة الممثل ماكولي ماكوكلن بسرعة ودراماتيكية. تصدرت أخباره الفضائحية وقصص إدمانه صحف أميركا وبرامجها المسائية. ماكوكلن الذي عرف النجومية طفلا في سلسلة أفلام "وحيدا في المنزل" الفكاهية، وقبل ماكوكلن عانت "درو بريمور" الشقراء الجميلة كما لم يعان بشر، أدمنت الكحول في التاسعة وتعاطت المخدرات مراهقة وخاضت صراعا قضائيا طويلا مع والدتها، تخللته مقابلات تشهيرية قادتها الوالدة ضد نجمتها الصغيرة.. لمعت باريمور وهي ابنة ثلاثة أعوام من خلال الفيلم الشهير "أي تي" 1983 لستيفن سبيلبيرغ والذي يحكي قصة كائن فضائي يساعده أطفال للعودة إلى وطنه، أذهلت موهبة باريمور العالم.. أصبحت أيقونة الطفولة، ثم بدأت الحكاية كمأساة أغريقية، كتبت درو قصتها كاملة في كتاب حفل باللوعة والأحزان العميقة وهي ابنة السادسة عشرة!

تذكر الدراسات التربوية أن نجومية الأطفال غالبا ما تؤدي إلى تدمير حياتهم ما لم يمنحهم الله عائلة تستطيع التعامل مع ذلك بوعي وإدراك، فالنجوم الأطفال غالبا ما يصبحون محبطين يائسين بعد تجاوز سن المراهقة، لأنهم يريدون أن يتم التعامل معهم كأطفال بمواهب استثنائية خارقة بينما الناس يرونهم بعد النضج عاديين تماما كغيرهم.

قصة فيروز الصغيرة حاضرة وماثلة، لم تستطع تلك الموهبة الكبيرة التي نافست أنور وجدي وليلى مراد وآخرين، أن تستمر في حياتها الفنية، فضلت الانزواء تاركة ذكرى جميلة ولقطات تعيدها التلفزيونات كلما سنحت الفرصة، فيروز الشقية المشاكسة الطيبة صاحبة الموهبة الاستعراضية والصوت الطفولي الجميل تركت الجمل بما حمل من أمنيات وأحزان.. طاهر مصطفى كان صوتا استثنائيا في طفولته، سجل روائع أم كلثوم طفلا، ولقيت صدى هائلا، هكذا ببساطة ورث أم كلثوم بعظمتها، لكن ما أن بلغ التاسعة عشرة حتى تبدلت أوتاره الصوتية المذهلة وذوت موهبته كأن لم تكن.. النسخة الخليجية لتلك النماذج الفنانة سحر حسين وهي التي قدمها حسين عبدالرضا طفلة لم تتجاوز الرابعة في "محامي الفريج"، كبرت سحر وتخلت عن ذلك كله بعد تجارب فاشلة في التقديم والتمثيل. يحتاج النجوم الأطفال عناية نفسية خاصة لحمايتهم من انعكاسات نجاحاتهم المذهلة المبكرة، وقبل ذلك لأسر لا تنساق للهوس المادي، فالتجارب تتكرر والأمثلة تستعاد مع كل نجم طفل يظهر.

دينزل واشنطن..
الممكن المستحيل

مشاهدة دينزل واشنطن تجلب البهجة.. تعبيراته فيها "عادية" البشر وأحيانا سذاجتهم وغضبهم الأولي المباشر وانكسارهم.. تركيبة توهمك وتربكك وتدللك.. موهبته فيها عمق، وقدرته هائلة على تلبس الانفعالات الدفينة وعكسها دون دموع، مما صنع له حضورا واسعا وتأثيرا دفعه إلى صدارة نجومية السينما.

في "جون كيو" هو الأب الذي ينحو إلى أقصى درجات العنف بحثا عن فرصة لإنقاذ طفله، والد مقهور يختطف مستشفى بحثا عن سرير، وفي "الإعصار" مأساة رياضي ألقت به العنصرية خلف القضبان ثلاثين عاما مجردة إياه من لقبه المستحق، وقبل ذلك إنسانيته، وفي"يوم تدريب" هو الشرطي الذي لا يتوانى عن فعل كل شيء من أجل منافعه الصغيرة وفساده المتعاظم، أما في "مالكوم إكس" فيعكس الانتقالات الفكرية التي عاشها داعية حقوق الإنسان، ورحلته التي انتهت بسقوطه صريع الرصاص المتطرف، أما في "المجد" فهو الجندي في الجيش الوطني الأميركي الذي يقاتل لتحقيق مبادئ الحرية والعدالة.

يلحظ كل من شاهد أعمال واشنطن أنها مهمومة بمسألة العنصرية والثمن الذي دفعه الأميركيون من أصل أفريقي في دربهم الطويل للوصول إلى المساواة، وأظن أن الرجل معني بالمسألة كثيرا لدرجة طغت على مجمل أعماله، كما أنه ليس نجما ذا نزعات تجارية مثل: ويل سميث، أو جايمي فوكس، أو صاحب أدوار مركبة ككريس وايتاكر.. حالة أقرب إلى انتوني هوبكينز في الموهبة، والمخرج نيل جوردان في وحدة القضية، لكن. في كل الأحوال . الناتج مدهش ومبهج، لأننا أمام موهبة كبيرة تقول لنا في كل دور وأداء إن السينما فن الأحلام الممكنة والمستحيلة في آن، حيث الميزانيات الهائلة لا تصنع النجوم، وإن تسطيحات "التجارية" وتهويمات السوق لا تقيم مسيرة ولا تشيد سيرة، وإن شيئا من التطرف المجنون والالتزام الصارم قادر على صناعة الاستثناء، وإن دينزل واشنطن. بنضاله الطويل في الصناعة السينمائية التي تخضع لضغوطات العنصرية. استطاع النفاذ، ونادرون هم الذين يفعلون ذلك.

مزاين القنوات "الوثائقية"

سر البرامج الوثائقية وسحرها الباهر، لا يمكن حصرهما في تقنيتها المذهلة ومعلوماتها الثرية، بل في أوقات مشاهدتها المفتوحة، في كل زمن وحين، إذ لا يمكن أن يمر الـ"ريموت كنترول" دون أن يتوقف عندها، فهي تصلح لكل مناسبة. قبل النوم ذروتها المبهرة وفتنتها الأبدية، حيث تتابع موضوعا لا يعني لك شيئا بانتظار أن تذهب في رحلة السبات اليومي، برامجها العلمية المتخصصة فيها ملل، لكنها تأسرك بتأثيرات الـ"جرافيك" وملامح علمائها الأقرب للبوهيمية، أما التاريخية فإنها تشدك حتى النهاية، لا سيما حينما تتطرق لشخصية مثيرة أو حدث مهم، أما "عالم الحيوان" فدهشتها الطفولية لا نهائية، أما الظواهر الغريبة والغامضة، فإنها تزيدك حيرة وتشغلك بما ليس مهما حتى تتحول لمسألة شخصية.

"ناشيونال جيوغرافيك" أكثرها رواجا وتنوعا في التناول.. "أنيمال بلانيت" أعلاها تقنية.. "ديسكفري" ذات مزاج نوعي تشعرك بأنها تنتقي مشاهديها.. "هيستري" شديدة التخصص.. "الجزيرة الوثائقية" ذات مزاج سياسي.. "العربي" مريحة، تقول لك إن الكون جولة بصرية ممتعة، وكل ما عليك هو الاسترخاء في مقعدك، لتتكفل بنقلك إلى عوالم الله البعيدة.

أذكر أن هناك قناة مهمتها عرض الفنادق والمنتجعات المنثورة في بقاع الأرض بكل ما حبتها الطبيعة من سحر، لكن لا أعرف أين ذهبت؟

البرامج الوثائقية صناعة مكلفة، وتحتاج إلى ميزانيات كبيرة، لذا تكتفي الوثائقيات العربية بمهمة الشراء والترجمة، أما ما هو خاص فيتم توظيفه في الغالب سياسيا، والسياسة تشوه كل جميل متى ما حشرت به، لكن ما يهم هو ما نختار، لذا تبقى الوثائقيات نسمة مختلفة تهب علينا كلما ضغطتنا الأحداث السياسية المتلاحقة، لذا أدعوكم للهروب إلى تلك القنوات، لأن بها فوائد جمة؛ صحية أولا، فهي تزيل التوتر، وثقافية ثانيا، لأنها تشحن بالمعرفة، وأهم من ذلك أن بها فرجة حقيقية مريحة للعين، ويمكن تثبيتها في حال زارك ضيوف لا قواسم مشتركة بينهم، حينها ستوحدهم الشاشة وتأخذهم إلى عوالمها المختلفة، ليستعرض كل منهم مشاهداته المتعددة وأفكاره حول الحياة والكائنات.

شحن الفضائيات..
وأمراضنا النفسية

لا أدري أي مصحة نفسية عالمية قادرة على معالجة المشاهد من الآثار المدمرة السلوكية والعصبية عبر عامين ونصف العام من متابعة الأحداث السياسية بمشاهدها العنيفة وأخبارها العاجلة وصورها الكئيبة، فما حدث لا يمكن أن ينتج جيلا إنسانيا قادرا على الحياة بشكل سوي، أدمن رؤية الدم والأشلاء والقصف والصراخ والركام، وتسمرت عيونه على القنوات الإخبارية ونشراتها التي لا تتوقف عن الإضاءة بأشرطتها الحمراء.

مشكلة أخرى علينا مواجهة آثارها مستقبلا، ربما تنتج سلسلة جديدة من المعتلين، فما حدث غير اعتيادي، سيول يومية من التوتر والشحن والتحليلات والصراخ والضجيج تصب في نفوسنا وأذهاننا بشكل يومي منذ عامين ونصف. لاحظوا تصرفاتكم وكيف تغيرت؟ هل تسكتون أطفالكم الذين يلهون بجواركم بسلام خلال النشرات الرئيسية؟ هل تفلتون من أياديكم المشدودة بقلق جهاز "الريموت كونترول" ولو للحظات؟ أصواتكم العالية التي تسيطر على الأجواء خلال لقاءاتكم العائلية ونقدكم الحاد لمواقف سياسية

---

[153] - جريدة الوطن 2013-8-19

مؤشر خطير يستوجب . ربما . تدخلات جراحية، هل أصبحتم تتابعون قنوات فضائية غير تلك التي اعتدتم مشاهدتها؟ هل تحدّث حساباتك على مواقع التواصل الاجتماعي كل لحظة بحثا عن جديد؟ هل تحرص على فتح كل رابط يحوي عملية عسكرية أو ضحية لمواجهات الحشود؟ هل أصبحت مشغولا بالإدانات الطائفية وسجالاتها المندلعة؟ هل أصبح الصمت والانزواء يجذبانك أكثر؟ إن ذلك كله بسبب شحن القنوات الفضائية الإخبارية وتعبئتها التي يبدو أنها لن تنتهي قريبا، لأن التطورات السياسية لا تتجه للتهدئة، والمواطن البسيط الذي يتابع ذلك من خلال الشاشة، سيكون عليه دفع ثمن التحولات والتغييرات السياسية والاجتماعية.

وضع غريب وحالة استثنائية فيما خبراء تطوير الذات والذكاء العاطفي وكيف تكسب الأصدقاء وأطلق المارد الذي بداخلك يحتلون الشاشات ويراوغون للالتفاف على القضية، لأنهم تورطوا بها بشكل أو بآخر، حيث انكشف بعضهم سياسيا وحزبيا.

أغنيات الكلمات اليابسة

الأغنية العربية فقيرة شعريا بشكل محزن، كل هذا التاريخ الطويل والممتد من القصائد أضحى لا شيء، كل قصص الحب المبكية التي تداولناها قرونا انتهت إلى الدموع، الخواطر التي تحتشد بها دفاتر المراهقات، والقصائد المخبأة في صدور الشباب العربي المراهق وحلمهم أن يتحولوا إلى شعراء أفضى إلى العدم وذهب إلى اليباب.

شعر الأغنية درجة أقل من الشعر، ورغم ذلك نراقب هذا الفقر المريع في الكلمات صامتين دون أن نسأل كيف أصبنا بهذا الجفاف الشعري؟ كيف تحورت الأغنية وتحولت لحالة نواح وبكائيات على الأغلب؟ غابت اللمسة الساحرة بين الخيال والجنون.. توارت الخفة والبساطة لصالح التكلف والصناعة.. غزت المباشرة والحسية والإيقاع العالي.. طرأت الشهوانيات الفجة وتضاءلت قوة الإحاسيس.. استوردنا الألحان التركية والموزعين.. تقلصت المواهب دون معرفة الأسباب.. لهث المطربون الكبار خلف الأموال، وحار الصغار في البحث عن نوافذ يطلون عبرها.. تحولت المطربات لمذيعات والمطربون إلى "طقاقات" حسب الدفع؛ زفاف، طهور، افتتاح، مسلسل، اعتزال.. الصيغة لا تهم، "الكاش" هو الأهم. أزمة تضاف لأزماتنا، ولا يمكن السماح بهذه الحال، فالأغنية شديدة الأهمية للشعوب؛ تمنحها الأمل والقوة وتشحنها بالحب والحياة، تختصر الشعور وتكتنز الأشواق والدمع وتخلد الأمم في سجلات الحضارة، لذا فإن هذا

الاضمحلال الذي تعيشه الأغنية العربية مؤشر سلبي يدل على مدى التراجع الذي يصيب وجدان أمة ما. استمعوا إلى ما حولكم من أصوات مللتموها تكرر أوصافا مللتموها: عيون، شعر، قلب، حيرة، روح، مفردات طرقت أسماعكم عمرا لكن دون تأثير. معزولة عن الحنجرة التي تخرج منها.. كلمات كالكلمات بموسيقى تكنلوجية، حتى الأغنيات الشعبية والمطربين الأقرب الى الناس اختفوا، والذين بقوا أصبحوا مزعجين.. حالة محزنة أتمنى ألا تطول، فالأغنية صنو البهجة ووجه الحياة الجميل، والخيال الذي يجعلنا أقوى وأرهف حسا.

التلفزيون السعودي..

" يـ"عيش صحاري

فكرة برنامج "عيش صحاري 2" الواقعي المعروض حاليا على القناة السعودية الأولى جاءت من صميم ثقافتنا وموروثنا وأخلاقنا وطباعنا. رائع أن كرر التلفزيون السعودي إنتاج هذا العمل للمرة الثانية حيث روح الصحراء العظيمة وأخلاقها الهائلة، فقليلة جدا هي الأفكار الخلاقة التي تستطيع المواءمة بين ما هو عصري حديث آني وما هو موروث تراثي ماضوي.

أعرف أن وطأة الموروث بمختلف سياقاته هائلة وثقيلة بل تكاد تتحكم في كل مفاصل حياتنا وتفاصيلنا اليومية، حتى إن هناك من يتساءل: متى خرجنا من الماضي حتى نستذكره؟ ولماذا كل هذا الحنين له رغم تعاسته وقسوته وفقره؟ ويمكن الرد عبر جملة شعارات لفظية غير ذات معنى من قبيل "من لا ماضي له لا مستقبل له"، و"المستقبل هو صدى الماضي" وهذرات كلامية متفرقة بلا قيمة، لكن هنا يحق أن نتوقف قليلا، فالفكرة إلى حد ما معقولة وجذابة، تستحق الدعم لقدرتها على إيجاد حالة تنافس في سياق ثقافي ونفسي متناغم مع التركيبة المجتمعية، ففكرة الفروسية بكل ما تحمله في المخزون الشعبي والإنساني التي جننت الشباب في عصر الحضارة والاستقرار تعالج بطريقة

معقولة ويعاد إنتاجها على شكل برنامج تلفزيوني واقعي يحقق صدى لا بأس به، واضعا التلفزيون السعودي ضمن خارطة المنافسة الرمضانية، وإن كان جزئيا، ولو كنت أملك قرارا في وضعية البرامج التلفزيونية لتوسعت في إنتاجه وعرضه ورفع قيمة جوائزه وشحنته بأفكار تسهم في توسيع مساحة المتابعة الجماهيرية، وفتحت مختلف التقنيات للتواصل مع نجومه وكرستهم عبر لقاءات وحوارات وتصريحات وفتحت لهم جزءا من قنوات البث المباشر، فمن غير المعقول أن يملك التلفزيون الرسمي فكرة جذابة ويفرط بها أو يضغطها في موسم مشاهدة شديد التنافس والإغراء تتوفر به منتجات أخرى في منابر أكثر جاذبية.

أظن أن التلفزيون لو تبنى فكرة التنافس على أساس فرق مختلفة ومنوعة من دول الخليج لكان الصدى أكبر والمنافسة أشد، وكذلك الأرباح، فهذا البرنامج يشبههم ويشبهنا أكثر من أي برنامج آخر.

أحمد منصور في "رابعة" النهار

طاش الرجل ومع التغير الأخير في الواقع السياسي المصري تحول لـ"صبي" عالمه في المولد الإخواني وصاحبه مرسي الغائب المغيب، يرسل منصور ويستقبل ويشيع ويحرض، منه وفيه وإليه وعبره، ملتقطا كل إشاعة نافثا في كل عقدة "يصل القوم على القوم"، كما في التعبير البدوي، مسعر حرب، ومؤجج فتنة، مسننا في ترس التعبئة الحزبية التي فقدت عقلها وأفكارها، غير مصدقة أن كفاح قرن من الزمن ضاع في بضعة أشهر بسبب التخبطات والاستحواذات والإقصاء.

عاد الإخوان لترويج المظلومية السياسية "لعبتهم القديمة" لكن تحت غطاء الشرعية والديمقراطية وأغلبية الصندوق والضغط الدولي ومؤسسات المجتمع المدني، لكن ذلك لم يجد نفعا حتى الآن، تحولت المسائل لدعومات معنوية ومؤازرة شعورية وبعد ذلك اقلب الصفحة في بلاد النيل. وفي مصر الإخوانية كان أحمد منصور يعد نفسه صاحب معروف كبير على الحركة فقد أسهم من خلال برنامجه "شاهد على العصر"، في تصفية الإرث الناصري كاملا من خلال السياسيين والقادة الذي شكلوا ملامح تلك الفترة من الزمن عبر استضافتهم في شاشة الجزيرة في حلقات طويلة ومتسلسلة تحولت بعد ذلك

لكتب، وبعد ثورة الـ25 من يناير حاول الرجل "أسطرة" الدور الإخواني في الثورة ومنحه أبعادا وزخما ربما ليدفع اتهامات الممالأة والتضعضع.

أحمد منصور الذي عمل مديرا لتحرير مجلة "المجتمع" الكويتية ممثلة الصوت الإخواني الإعلامي في العالم قبل "الجزيرة"، تخلى عن الشاشة، لأن الظرف السياسي يستوجب النزول إلى الواقع والواقع المصري الحالي تعبر عنه الميادين، والميادين تريد التعبئة، والتعبئة تنشد الحشود، والحشود لإشاعات، والإشاعات لأكاذيب، والأكاذيب لمتخصص ومن بين الكنانة الإخوانية في الميدان ليس هناك سوى فتاها الأغر المغرور الذي نافح وروج وقاتل وقابل وكتب وتحدث وصرح ونقل، حتى حشرته الأيام في زاوية رابعة العدوية وأظن أن الخروج منها سيكون صعبا جدا، هذا إن حدث.

هل كشف "طيور الظلام " مصر سياسيا ؟[154]

ميزة أفلام عادل إمام أنها رصد دقيق لمراحل مصر السياسية مرحلة مرحلة؛ بدأها بفيلم شهير مثل باكورة سينما النقد السياسي في بداية الثمانينات هو "إحنا بتوع الأتوبيس" غير أن مثلثه الفني مع السيناريست وحيد حامد والمخرج شريف عرفة الذي أنتج مجموعة أعمال خلال التسعينات ك"الإرهاب والكباب" و"اللعب مع الكبار" وفيلمنا الذي نحن بصدده "طيور الظلام"، شكلت أعمالا إشكالية شديدة الشجاعة في مواجهة ظواهر كالإرهاب والتطرف وفساد الأجهزة الرسمية وتفكيك أسبابها.

اتهم وحيد حامد بالشخصنة عندما عرض الفيلم، وقيل إنه كان يصفي حسابا مع منتصر الزيات ومختار نوح، وهما أشهر من تولى الدفاع عن المتهمين بقضايا الإرهاب، غير أن المهم في العمل هو توصيف العلاقة بين النظام و"الإخوان"، والتفاهمات المشتركة واللعب على حبال المصالح المتحركة، حتى وإن بدا المشهد العام متنافرا ومتصادما؛ إذ يمثل الطرفان صديقين يعملان في المحاماة، أولهما انتهازي متسلق يستطيع بألعابة القذرة الوثوب إلى المنصب والثراء، بينما الآخر ينخرط في انتمائه الحزبي ويصعد في الرتب التنظيمية بسبب توليه الدفاع عن أفراد الجناح المسلح أمام القضاء، وفي الأخير يُسجن الاثنان بسبب

[154] - جريدة الوطن 2013-7-8

انكشاف الغطاء عن الأول وسقوط "الراجل بتاعه"، فيما يتورط الثاني في التستر على خلية مسلحة, غير أن اللقطة الفارقة تكمن في نهاية الفيلم، حين يركض الاثنان نحو كرة قدم ملقاة في باحة السجن خلال فترة التريض، ليركلاها في الوقت ذاته باتجاه الشاشة التي تتحطم بفعل الركلة المشتركة بين "الانتهازي المتسلق" و"الحزبي الإخواني". طبعا الشاشة هي الناس والمسألة برمتها تبادل أدوار ورقعة شطرنج مصلحية متفق عليها، "كرة قدم" سياسية بامتياز يعرف كل طرف فيها ملعبه والمساحات الممنوحة له، ويدرك أن العلاقة الوازنة عدم طغيان طرف وتفرده بالأمر وحيدا.. أحيانا يكشف الفن ما لا تقوله المعلومات، بينما تبقى الأعمال الفريدة عالقة في الذهن والخيال لاتفنى ولاتستبدل، ويحتاج تحققها زمنا طويلا كفيلمنا الذي أنتج 1993.

مع الخيل.. يا "شاكيرا

انشغل المشاهدون بـ"شاكيرا"، وانشغلت شاكيرا بـ"بيكيه"، وانشغل بيكيه بارتكاب الهفوات خلال كأس القارات، وفي مثل هذه الأحداث الرياضية الكبيرة تركز وسائل الإعلام في تغطيتها على وجه فني مألوف ومعروف، إلى جانب النتائج والمباريات طبعاً، الأمر الذي يحرك على الدوام انتهازية بعض أنصاف الموهوبات اللاتي يحاولن إنعاش نجومية آفلة أو في الطريق لذلك.

بدأت هذه الموضة تحديداً حين فتحت الصحافة المكسيكية ملفات عن علاقة خوسيه سيزار روميرو نجم المنتخب البارغوياني مع الممثلة الأميركية بروك شيلدز خلال مونديال المكسيك 1986، "شيلدز" التي تابعت بشغف تلك الفعاليات مع حبيب القلب من المدرجات حالها حال "شاكيرا" اليوم.

وفي مونديال إيطاليا 1990 ارتدت مادونا قميص المنتخب الإيطالي في إشارة لجذورها العائلية، حاملة الرقم 10 الذي كان حينها يخص نجم النجوم روبرتو باجيو للحصول على جماهيرية الشغوفين بـ"الأزروي". انتبهت لذلك "فيكتوريا" زوجة ديفيد بيكهام فحضرت كل الفعاليات والبطولات التي لعبها زوجها، لأن شهرة فيكتوريا أقل بمراحل من شهرة زوجها حينذاك. وفي مونديال 1998 بفرنسا حازت "سوزانا" الشهيرة صديقة رونالدو البرازيلي قصب النجومية، ولم تنفع محاولات عارضتي الأزياء العالميتين "ليندا إيفانجليستا"

و"إدريانا كـاريمبو" في لي عنـق الإعـلام نحوهمـا. حاولـت "باريـس هيلتـون" لعـب دور انتهـازي في مونـديال 2006 بألمانيـا حـين غازلـت علنـاً لوكـاس بودلوسـكي نجـم المنتخـب الألمـاني حينهـا، رغـم أنها لا تعـرف مـن كـرة القـدم سـوى اسمهـا، شـاهدت هيلتـون مبـاريات المنتخـب الألمـاني في الـدور الأول فقـط ولم تقـوَ علـى الاسـتمرار، لأنـه وببسـاطة لم يكـن يُعـرف عنهـا ولعهـا باللعبـة، لكنهـا انتهازيـة مـن نوع آخر.

أما قبل أيام فرصـدت العدسـات الكولومبية الشـهيرة شـاكيرا من المدرجات تشـاهد "نكبات" بيكيه. شاكيرا التي لم تكفها السجادات الحمراء ولا كشافات مواقع التصوير ولا الإعلانات ولا أغلفة المجلات فطاردت مدافع إسـبانيا حتى هناك، فيما انشـغلت إسبانيا بمدافعها الشارد الذهن، بينما انشغلت البرازيل بإسبانيا، فيما البرازيليون انشغلوا بمنتخبهم الشاب الذي حصد الكأس.

حنظلة"

"" الفلسطيني في " أراب أيدول

فلسطين بلا مطربين! كيف لقضية عظيمة كالقضية الفلسطينية أن تكون بلا فنان يصدح لها ويعبر بها للعالم؟

في ذروة نضالها العسكري، خلقت منظمة التحرير فرقة "العاشقين".. اشتعلت جاذبية الفرقة المكونة من أبناء الشتات في اجتياح بيروت صيف 1982. بعد ذلك غابت لم يعد العرب يذكرونها بعد أن جرجرتها المفاوضات والمسار السلمي إلى النهايات، في حين إن "أبوعرب" مجرد نسخة شعبية تصلح للجدات والشيوخ، فيها من الكآبة ما الله به عليم، تعيش في البكائيات، واليوم يجتمع الفلسطينيون الذين نقلت احتفاليتهم بفوز فتاهم القنوات في كل مدن الضفة والقطاع وداخل الخط الأخضر، ليقولوا للدنيا إن هناك شعبا يحب الحياة ويغني لها.. لم يرتكن عساف إلى حالة التعاطف الوجداني كفلسطيني، بل ركز على موهبته وصوته الأخاذ، وفي كل حضور كان يبهر ويدهش.. عادة، تلقي السياسة بتأثيراتها على مجمل الأحداث والفعاليات، لكن نجاح عساف كان حقيقيا ومستحقا بلا منة عبرت به إلى التتويج كموهبة شابة قادرة على أن تحدث فرقا حقيقيا عند الأجيال الجديدة في فلسطين وسواها،

وتمد الإنسان هناك بقوة ناعمة تعضد صراعه الطويل من أجل استعادة حقه التاريخي والوطني، إذ إن معركة الوجود تخاض أيضا بالفن والشعر والإبداع والأفكار، لا بالسلاح وحده، هنيئا للفلسطينيين بنجمهم الجديد وموهبتهم القادمة من خلف الحصار والتناحرات والفقر والقصف والاحتلال، موهبتهم التي يتوارى خلف بريق عينيها خجل أبناء القرى وانبهاراتهم الأولية لحظة يجولون المدائن للمرة الأولى، فقد مللنا رؤية تلك الوجوه العابسة الواجمة من سياسيين وحزبيين، بينما تكيل الشتائم والانتقادات للجميع بالتساوي مترسين بمسمياتهم التنظيمية وألقابهم الحزبية، لا يتركون منبرا حتى يطلوا منه بينما يقتتلون على فتات معونات المنظمات والهيئات الدولية.. عساف الفلسطيني وجه آخر جديد للقضية العظيمة بموهبة حقيقية مبهجة ومدهشة وصادقة.

اللي ما يشتري يتفرج !

تحتشد الأعمال الخليجية بفواصل الصراخ والاستعراضات الفارغة والتكلف السخيف والشجارات التي لاتنتهي، ما يكشف في حقيقته عن جيل مأزوم متوتر، حائر في وجوده وأهدافه، مرتبك في تربيته، شكلي ومظهري، فارغ تتنازعه الصيغ الاستهلاكية، معزول بشكل واضح، ميال للوحدة الشعورية، هذا وإن بدا أحيانا مبالغا به ـ لدى البعض ـ إلا أنه يكشف جزءا من حقيقتنا التي لا نريد رؤيتها؛ فمسلسلاتنا تشبهنا، رتيبة مملة وفوضوية، تبدأ بالنزاعات وتنتهي بالبكائيات. يندر أن تجد ما يبهج، فكلها حقول من الكوارث ومجالات حيوية للكآبة، العيون حادة ومشدودة، الشفاه عصبية ومرتجفة، الحركة مستعجلة ونزقة. نحتاج عيادة نفسية أممية لتشخيص وضعنا وتحالفا كونيا لعلاجنا. نغضب حين يواجهنا الآخرون بواقعنا المحطم ومستقبلنا القلق، نندفع نحو ما لا نعرف بسرعة الضوء مضطربين أمام استحقاقات التغيير السياسي والاجتماعي والثقافي.

نحن عاجزون عن اجتراح الحلول، مبدعون في خلق الأزمات، لكن الدراما تفعل حين تضعنا أمام المرآة، والأخيرة لا تكذب أو تجامل، لكن ما الحل؟ وما الخطة التي تنقذنا من مصيرنا المنتظر؟

---

[155] - جريدة الوطن 2013-6-10

بصـراحة، لا أعرف، لكنني أدرك أننا لم نكن كذلك، ملامحنا كمجتمع قبل ثلاثين عاما كانت أكثر تفاؤلا، وضـحكاتنا أعمق وابتسـاماتنا أعرض، والذين جاوزوا الخمسـين من العمر ما يزالون أكثر بساطة وتصالحا ممن هم دون الثلاثين، فهم واضحون في مواقفهم، متمســكون بقناعاتهم وأصــلب في صــراعهم مع الحياة، مخزونهم النفســي يعطيهم ميزة وطاقة، فما الذي تغير، وبموجبه حصــــدنا كل هذه الارتدادات الهائلة؟ ربما تطورنا في التفاصيل الخارجية، لكننا مهزومون في أعماقنا، نترك كل شيء للظروف، فيما الظروف تزيد المسائل تعقيدا.

مسلســـلاتنا نحـــن ونحـــن مسلســـلاتنا، ومـــن خلالهـــا نحـــن مملـــوؤون بالفـــراغ والوهم والأولويات المعكوسة، ومشحونون بالتفاهة.

بانتظار دفعة جديدة من الأقنعة

كشفت "الموجة الابتدائية الأولى" من الثورة السورية، وجوها ثقافية وفكرية وإعلامية ذات نشاط "تشبيحي".. "مخابرات ثقافية" بوجوه ناعمة ولغة سلسة استطاعت تغطية حركتها بشعارات دعم المقاومة، وادعاءات فيها من القومية والوطنية والثورية، بينما هي في عمقها طائفية أقلوية عصبوية مسكونة بهواجس الإزالة والتهجير، غير متصالحة مع فكرة التعايش التاريخية التي أبقتها حتى الآن.

أدونيس، دريد لحام، زاهي وهبي، جورج قرداحي، غسان بن جدو، مارسيل خليفة، رغدة، نجدت أنزور.. وآخرين كثر لبنانيين وسوريين فنانيين وإعلاميين مثقفين من الجنسين، وباستثناء "الخديعة" التي تعرض لها الجمهور والمؤسسات الإعلامية والفنية والثقافية التي نسجت مع تلك الأسماء علاقة مصلحية بحتة، فإن الأسماء الواردة في الأعلى اتضح وبرغم تباين أحجامها وتأثيراتها أنها نتاج مسننات الحزبية، ومحصلة باعثات طائفية، وظفتهم في معاركها الفاصلة، وفرضتهم في التناول اليومي لقطاع عريض كان يرى فيهم نجوما ومبدعين، والآن لا أعلم ماذا كان بالإمكان تقبل دعوات لـ"تكرير" الوعي مما شابه من

تشوهات أسهم بها هؤلاء القوم؟ هل نحتاج "مكارثية" خاصة بنا فيما شاهدنا وسنشاهد، ما سمعنا وقرأنا وما سنسمع وسنقرأ؟ لا أعلم ولكن ثمة إحساس عميق ومؤلم بالخديعة والكذب والسقوط في احتيالات شعورية.

لحظة سياسية فارقة كالثورة السورية قالت لنا وبوضوح أننا ضحايا لـ"غسيل دماغي وفكري" هائل. أرجو ألا يفهم هذا على أنه محاولة بعث لمحاكم تفتيش "ثقافية" جديدة؟ لكن لا يمكن ترك المسائل بسذاجة كما كانت.

حرب تحرير الكويت 1991 كشفت لنا حقائق، واليوم الثورة السورية تعطينا درسا جديدا ومؤلما لكيفية التلاعب بنا، وأظن أنه مع التطورات السياسية والعسكرية ودخول "حزب الله" وتصاعد الطائفية والدعوات إليها سنكون أمام مفاجآت جديدة وسيكون أبطالها فنانين ومثقفين وإعلاميين استطاعوا الكمون وتجاوز "الموجة الابتدائية الأولى" وربما سنصدم بأسماء أكثر ثقلا وتأثيرا.. يُفتح الملف فيتكشف بأثر رجعي كل الوهم "الثقافي" الذي عشناه ونعيشه.

هادي العبدالله..

مفرد بصيغة الجمع

سخر "بيتر أرنيت" كبير مراسلي cnn من زميله "جون سيمبسون" مراسل bbc المخضرم أثناء تغطية الضربة الجوية على بغداد خلال حرب تحرير الكويت 1991 قائلا: "لقد جرح ذقنه وهو يحلقها حين بدأت الطائرات بالقصف"، لكن سقوط "تيسير علوني" على الأرض وردة فعله الباردة على ذلك منحته الوهج خلال قصف أفغانستان 2001 في حين أن الشاب الأسمر القادم من القرن الأفريقي "راجح عمر" مراسل bbc كان نجم تغطية غزو العراق التلفزيونية 2003. الصحفيون ضحايا الحقيقة وسدنتها الأمناء، يكرههم الساسة وتعشقهم الجماهير ويخلدهم التاريخ، مجانين في عالم مجنون، يلهثون خلف اللقطة والتصريح والمعلومة بإخلاص قاتل، لذا ظل اغتيال الصحفية الروسية "أنا بوليتكوفسكايا" عام 2006 سرا غامضا حتى اليوم.

كشفت "بوليتكو فسكايا" فظائع جيش بلادها في الشيشان، فأسكتت إلى الأبد، واليوم ينقل "هادي العبدالله" و"أبو الهدى الحمصي" و"أحمد القصير" من "القصير" السورية وقائع الموت المعلن لشعب قال لا في لحظة غضب

---

[156] - جريدة الوطن 2013-5-28

انتصارا لكرامته، بعد أن فاض كأس الدم الشامي بكذبات المقاومة والممانعة والتعايش.. يركضون بين القذائف وتحت الصواريخ عراة الصدور؛ ليذكروا ضمير الدنيا بشيء من مأساتهم في مواجهة الفجور الأخلاقي والقيمي المتغذي من وهم التاريخ المتسربل بدعاوى الكذبات الكبرى وسير الموتى. ترى الكلمة في مواجهة الخوذات.. الصورة وهي تهزم المجزرة، المايكروفون مخلخلا شعارات الزيف وعمائم القتل المتدحرج.. يمضي الولد الحمصي خاليا إلا من شجاعة، وحيدا الإ من إيمان في درب الثورة المكلل بالمجد وقوافل الشهداء السائرة إلى السماء بطمأنينة بينما يجن القتلة لاهثين عن منجم الصبر والثبات الذي ينهل منه المحاصرون في البلدة المستباحة للطائرات والمدافع.

يضخ هادي ورفاقه التقارير بدأب إلى القنوات والصحف والإذاعات، بانتظار فرج إلهي قريب ببطولة استثنائية وهدوء عجيب وشجاعة مدهشة بريئة.

ل"سينما اقتصادية" خليجية

واهـم مـن يـربط بـين صـناعة السـينما والميزانيـات الهائلـة، والـرد علـى ذلـك سـهل وبسـيط.. فالسـينما الإيطاليـة وكـذلك التونسـية والإيرانيـة محترمـة عالميـا رغـم أن ميزانياتهـا الماليـة متواضـعة، فلخلـق سـينما يجـب خلـق موضـوعات وفـق هـامش حريـة جيـد تنـاقش بـه قضـاياك. الأفكـار هـي أصـل الأشـياء لا الأمـوال.. السـينما تشـبه الشـعر والموسـيقى. الفـن بمجملـه لـيس حكـرا علـى جماعـات بشـرية دون أخـرى، لكـن هنـاك مـن يراكمـون رؤيـتهم مـن خلالهـا ويضـيفون لهـا في كـل تجربـة، والمعادلـة هنـا بسـيطة جـدا.. نـزع الصـفة التجاريـة يحـررك مـن الأمـوال الهائلـة. دع عنـك هوليـوود فهـي أقـل مـن أن تنـال احـترام العـالم بوصـفها عاصـمة سـينمائية؛ هــي مشــروع تســويقي ضــخم بــلا مواضــيع. وفي المهرجــانات الســينمائية يأتي مهرجــان "كــان" كــأهم المهرجــانات وجائزتــه محترمــة، كــذلك لجانــه التحكيميــة، يليــه مهرجــان بــرلين.. بمعــنى آخــر العــالم الســينمائي يحتقــر هوليــوود، وشخصــيا أعجـب كـل العجـب مـن عـدم قـدرة المصـريين مـثلا علـى خلـق مهرجـان سـينمائي مميـز رغـم أن عمـر السـينما المصـرية يـوازي عمرهـا في العـالم.. أظـن أنهـم تورطـوا في الدعائيــة والاســتعراضــات، ثم إن المجــاملات طاغيــة بشــكل واضــح، لكــن هــذه مشــاكل بســيطة يمكــن تجاوزهــا بســهولة ويســر، وفي الســنوات الأخــيرة لم نعــد

نسمع عن مهرجان القاهرة السينمائي شيئا.. خفت حدة معاركه وتصريحاته، كما أنني لست متأكدا من استمرارية مهرجان الإسكندرية.

أما في الخليج فأعتقد أن المهرجانات السينمائية مسألة بروتوكولية لا أكثر وفرصة للتسويق العالمي، وهذا محزن. لا توجد مؤشرات تنبىء بإيمان حقيقي بأهمية هذا الفن ودوره الحضاري، لكن وجود الشيء أفضل من عدمه، لذلك نأمل أن يتم استثمار هذه اللحظة التاريخية لدعم وتشجيع واستيراد السينما، والعمل على الأفكار لا الشكليات، فالمسألة ليست سجادا أحمر ومؤتمرات صحفية وأخبار علاقات عامة، بل أفكار ملهمة ومميزة ونقاش عميق وإشاعة ثقافة مختلفة وجديدة في مجتمعات ناهضة وشابة تتجه بحق نحو المستقبل، مدفوعة بأحلام عريضة.غير صحيح ما يشاع عن أهمية وجود أستوديوهات وتقنيين وشركات إنتاج صالات عرض.. أي متحمس بإمكانه صنع ما يشاء، شرط أن يتحرر من وهم ما ذكرت أعلاه.

حسن نصر "الشاشة !"

يطل حسن نصر الله عبر قفص تلفزيوني منتهزا مناسباته العابرة، محركا ماكينته اللفظية لجمهور الضاحية الجنوبية، مناصرا حليفه اللائذ بخندق أسمنتي ما على الأرض السورية التي تعبرها الصواريخ والقذائف كأسراب دخانية مشيعة الموت والجثث، محاضرا في الاستراتيجية لتبرير حفلة الدم التي يخوضها مقاتلوه العائدون في توابيتهم الصفراء بشكل يومي لقرى النبطية وما حولها.

إنها المقاومة الممانعاتية التي توهمت التاريخ وخلطته بأنهار الدمع المراقة خلف رايات ثأر الحسين، "خط ماجينو" الطائفي الذي كشفته ثورة سورية مطيشة العمامة السوداء من الرأس الذي استحال قنبلة تحليلات ومضخة تبرير مقيتة، تعيد إنتاج فلسطين والأقصى شعارات في زمن عري الشعارات، ولافتات حزبية صوتية بحثا عن نافذ لمأزق دولة "حزب الله" التي تحاول تصدير أزمتها بالتمدد على الجغرافيا السورية بعد أن التهمت لبنان مؤسسات ونخبا وتعايشا ودعة تحت دعاوى مختلفة.

يظهر حسن "نصر الشاشة" في حلقة جديدة من مسلسله الطويل "أنت أو لا أحد"، "باب حارة حريك" الموصد بجماجم أبناء حمص وريفها المعاقبين على نخوتهم أثناء حرب صيف 2006، مبشرا بأسلحة نوعية يزودها به جيش

"حماة الديار" السوري الذي لا يجيد سوى هدم القرى فوق سكانها العزل، وتوزيع المجازر بالتساوي على الناس.. نظام يستجدي الطائفة، وجيش يستعير حزبا، ورئيس يلوذ بمعمم في المأساة الشامية بلياليها الطويلة نحو الحرية.

ووسط ذلك يشق "زعيم النصر اللاهي" بغبار الحكايات القديمة ودفاتر الأزمنة ملعلعا متوترا مهددا محاولا مد حبل لإنقاذ رقبة رئيس "الصمود والتصدي" الطويلة التي تتحس أوداجها كل لحظة رعبا، وحتى لحظة الحقيقة التي لن تطول سيظهر حسن نصر الله مشتملا عباءة المقاومة الفضفاضة التي ظن يوما أنها قادرة على خداع الجماهير وفي كل مناسبة من مناسباته، ليكرر ذات التفاصيل المملة ومن ذات القفص التلفزيوني لنفس مقلدي جمهورية "الولي الفقيه" اللبنانية، لكن حينها ستكون الأمور تغيرت، سيصبح نظام حليفه السياسي الطائفي حكاية ترويها الجدات وتفصيلا جزئيا في سجل السوريين شعبا وحضارة.

المقاولات.. سينما وهجاء

لولاها لماتت السينما المصرية التي تعرضت بعد منتصف السبعينات إلى قصور شديد في التمويل، دخل البلد في أزمة تحرير وتخصيص صعدت بأقطاب جديدة إلى الاقتصاد المنهك بفعل الجبهات العسكرية الساخنة.. ارتفعت التكاليف وغلت الأسعار فجاءت الثمانينات لتكون عقد سينما المقاولات.

ميزانيات أفلام محدودة وتوليفات معلبة تحشد نجوم الصف الثاني، وفق خلطة "أكشن" رخيص وكوميديا سوقية أحيانا مع استعراضات شعبية.. قصص جاهزة وبهارات مضافة.. فنانات استعراضيات متقاعدات ومستجدات خلف مطربين شعبيين، وقليل من نجوم كرة القدم.. هذا كل ما في الأمر، يكتب الفيلم ويصور ويعرض خلال أسبوعين، في زمن صعب أنتجت المئات من الأفلام ولكن النادر منها بقي في الذاكرة.

أذكر "الكيف" مثالا جليا على الموضوع والفكرة والنوعية، بإمكانات بسيطة وأهداف بعيدة حوى "لوثة" فنية ووجهة نظر متمردة، حوار مختلف ينتصر للمخدرات ويبرر لها، عمل "يشقلب" العقل، أما نجوم المرحلة فكانوا سعيد صالح ويونس شلبي وطبعا سمير غانم، إسعاد يونس نالت نصيبا لا بأس به، كذلك هياتم وأحمد عدوية.

لا يمكن نسـيان المجاميع التي حفلت بها تلك المرحلة، وحيد سـيف وسـيد زيان وعلي الشـــريف وأخرين لا أذكرهم، الجميع يريد أن يعمل لمجرد العمل حتى لا تتوقف القاطرة السينمائية المصـرية التي تحركت قبل ذلك بمئة عام.. أوضـاع محزنة لعشـاق الفن السـابع قبل أن يأتي خيري بشارة بخطة الإنقاذ من خلال فيلم "كابوريا" 1990 الذي فتح من خلاله المجال لفكرة سينما الشباب، أتبعه بفيلم "أيس كريم في جليم" 1991 ثم "أميركا شـيكا بيكا" 1994 وصـولا إلى 1996 الذي قدم خلاله محمد فؤاد وكريم ضـياء "إسماعيلية رايح جاي"، حينها توسـعت قاعدة النجاح الجماهيرية. انتعشـت السـينما المصـرية ومنحت قبلة الحياة تجاريا طبعا حتى خرج فيلم "صـعيدي في الجامعة الأميركية" 1999 الذي رفع معدلات الحضـور وزاد سـقف الأجور و"لخبط" خارطة النجوم.. وأهم من ذلك شرع الأبواب أمام الشباب الجديد فنجت السينما.

فشل "الإخوان" في الإعلام

رغم تاريخهم الطويل وتجربتهم التي أنتجت مؤسسات وهيئات سياسية ومالية ودعوية عابرة للعالم؛ إلا أن المتابع للحالة "الإخوانية" لا بد أن يسأل حائرا: كيف لم يستطع هذا التيار الفكري السياسي إنتاج تجربة نجاح إعلامية واحدة على الأقل؟ مؤسسة صحيفة، قناة، مشروع.. أي شيء!

"الجزيرة" لم تكن مشروعهم، بل تم الاستحواذ عليها في الحقبة "الخنفرية" وتحويلها لمنصة رواج، ما فعله أحمد منصور في غالب نتاجه كان محاولة إدانة الحقبة الناصرية المدانة أصلا بأخطائها، مصر بعد عامين من الثورة أحدهما "إخواني" بصلاحيات مطلقة لم تستطع تقديم مجرد خطاب يشرح وجهة "الحزب الحاكم" فيما يواجه من إدانات ونقد، كل ما في الموضوع تهم توزع محليا وإقليميا بحثا عن "مظلومية تاريخية" ما، واضح أن عدم التحرر من فكرة "التبليغية" صعب جدا، "التبليغ" المتصادم روحا مع السجالية. برنامج القرضاوي "الشريعة والحياة" مثلا بعد سنوات طويلة من الظهور التلفزيوني الأسبوعي ما زال مسبوغا بتلك الروح الدعوية التبليغية، حيث المحاور عامة والشروحات طويلة والاستشهادات شرعية، مجرد درس أسبوعي، هذا ما تنتجه

القمة الروحانية التنظيمية، فما بالك بمنتجات من هو أدنى تنظيميا وحزبيا.. لذا فالروح والرؤية "الإخوانية" المتشكلة في فضاء استحواذي كامل وسري تتعارض في جوهرها مع السجال، فالتنظيم الصارم لا يقبل الجدل، والالتزام الانضباطي لا يحترم النقاش، وما الإعلام إلا ذاك، والتجربة التي طالت لأكثر من خمسة وثمانين عاما بفضائها وبواعثها الفكرية سيكون عليها أن تعاني كثيرا لتتحرر من هذه التقييدات الهائلة وتتخلي عن قيمة أساسية في مشروعها، التي طالما سوقت عبرها كل الأفكار، وأقصد أفكار التبليغ، واستبدالها بالحوار، لكن كيف يمكن لمن هو غير مقتنع أساسا بفكرة الحوار السياسي عبر سلوكه المهيمن وأدائه الاستحواذي أن يقتنع بفكرة أكبر وأكثر عمقا! وعبر هذا الترنح السياسي والإعلامي سيكون علينا الانتظار طويلا، لأن مؤشرات التغيير السياسي والفكري لا بد أن تكون إشاراته ومبشراته إعلامية، وأظن أن ذلك بعيد.. أبعد مما نتصور جميعا.

"جنايات "الخيال العلمي

لا أتذكر فيلما نجا فيه الشرير بفعلته، المرات القليلة التي حدث بها ذلك كانت من أجل أجزاء جديدة واستثمار تجاري، كما لا أتذكر فيلما كانت أجزاؤه اللاحقة أكثر جودة من جزئه الأول، دائما ما تكون البدايات دقيقة ومتقنة ومؤثرة، والسلاسل السينمائية تقليد بدأ مع سينما الخيال العلمي.

سينما الخيال العلمي بدأ التفكير بها بعد رحلة يوري جاجارين الشهيرة لكن هبوط الإنسان على سطح القمر نهاية الستينيات أعطاها زخما هائلا، ومعها بدأ العصر الحقيقي لهذا الجنس السينمائي الممل. في الأدب كانت الانطلاقة مع الثورة الصناعية "رواية فرانكشتاين" للبريطانية ماري شيلي 1818 أشهر النماذج لكن فيلم "كوكب القردة" الرواية الفرنسية المكتوبة 1963 التي تحولت فيلما 1969 جعلت الأمر يستحق العناء، خلال الستينيات سئم الأوروبيون واقعهم وانطلقوا يبحثون عما هو غرائبي وشاطح محاولين معالجة مأزقهم النفسي بعد الحرب العالمية الثانية.

في منتصف السبعينات استطاع المخرج جورج لوكاس إتمام أول جزء من سلسلة الخيال "حرب النجوم" والتي نجحت نجاحا مدويا ثم جلبت شخصية "سوبرمان" من قصص الأطفال.. "سوبرمان" كان أيقونة سينما الخيال العلمي لكن مبدعا مثل ستيفن سبيلبيرغ استطاع إعادة الوجه الإنساني لهذا الفن عبر

فيلم "أي تي 1982" والقصة كانت بسيطة وإنسانية صداقة بين طفل وكائن فضائي، يساعد الطفل الكائن الفضائي للعودة إلى وطنه الخيالي الفضائي، تراجع الإقبال على أفلام الخيال العلمي حتى عام 1994 جاء حينها فيلم "يوم الاستقلال"، وثم "العنصر الخامس"، وكذلك "الأرماجدون" إذ تمت الاستعانة بالتقنية والحواسيب التي بدأت تمنح صناعة السينما خيارات متعددة توجت بفيلم "ماتريكس" 1999، لكن نجاح فيلم "رجال في الأسود" 2002 كان مجرد حلاوة روح عادت بعدها هوليوود إلى أرشيف الطفولة فبعثت "الرجل العنكبوت"، و"الرجل الأخضر" و"الرجل الحديدي"، وفي جميع تلك الأعمال كانت البدايات الكارتونية الأولى أكثر براءة وجمالا وحبكة، فيما التالية نزعة تجارية بحتة لمستثمرين لا مبدعين، تجار لا فنانين.

وصلة "سدح"

لوئام وهاب

(

فـتح وئام وهــاب جوفـه فانــدلعت رائحــة نتنــة كــادت تغطــي الشــرق الأوســط كسحابة نووية صفراء، وفاض فمه بأقذر الكلام كما هي عادته.

وئام وهــاب النهــاب بوجــه يشــبه رغيفــا عفنــا ورأســا مســتطيلا تابــوتي الأبعــاد، مــد لســانه ذا الحراشــف كعضــاءة اســتوائية، وفــح في الميكرفــون مــن دكانتــه الحزبيــة الــتي يقــدم فيهــا "اســتربتيزه" السياســي مثــل مــومس عجــوز تهــدلت أطرافهــا وانطلــق لحمهــا بــلا قيــد أو شــرط وفــق قــوانين الطبيعــة. هــا هــو يعــود إلى ســاحة "الدبكــة الإيديولوجيــة" ممتطيــا حصــانا شمعيــا وســيفا مــن صلصــال محــاولا مطاولــة النجــوم واختصــار الشــمس بالهمــس، معيــدا إنتــاج الرذائــل اللفظيــة والموقفيــة والتحليليــة وتفصــيل المبدئيــة في ســوق "بالــه" الحــدث الســوري, في ظــل تهــاوى كــل الزيــف السياســي "الممانعــاتي" باحثــا كمــا بقيــة صــبية حــارة "الصــمود والتصــدي" عــن معلمــين جــدد يبيعــون لهــم ولاءاتهــم اللحظيــة وضــمائرهم الغرباليــة وأرواحهــم المســخية وتاريخهــم في "نــط" الحبــل الإنســاني بالاصــطفاف مــع القاتــل والتوحــد مــع الســفاح الــذي مــلأ الــدنيا دمــا وأشــلاء وقــذائف ومهجــرين، والتخنــدق حــتى آخــر ضــحية، منطلقــين مــن هلوســات التــاريخ وهــواجس منمنمــاتهم الاجتماعيــة

والمذهبية، وأوهام الوجود وقصص الجغرافيا التي لا تحرك إلا المهووسين بكذبات تاريخية حول تطهيرات خرافية قد تطال أقليات ما, لكن ورغم كل شيء تبقى الحقيقة الشاخصة الشاهدة أن ما هو زائف ومصلحي وانتفاعي لا يمكن أن يستمر.

لذا ومن أجل ذلك كله يا أيها الوئام الوهاب؛ أبين حقيقة مواقفك، وتاريخك وضميرك القابل للسحب والطرق والتشكيل, وكل شيء يمت أو لا يمت لك بصلة, واليوم إذ تطل برقبتك الغليظة كفخذ بقرة من مجارير فضائية فإنها فرصة جيدة لتقديم درس حي عن الكائنات أحادية الخلية التي ما زال يثبت لنا الوحل السياسي العربي قدرتها على الوجود والتكيف رغم الظروف والتغيرات, لتعيدنا إلى البشرية في طورها الأول قبل الديانات والرسل والفكر، حين كان الإنسان غرائزيا حيواني النزعات مهووسا.

"الكارتون"..
شيء من التفلت

في أفلام الكارتون تستدعي خيالاتك وطفولتك البعيدة، تعيش للحظات شقيا منفلتا من لحظتك الراهنة, تركض في ذاكرتك بلا تعب, تعبر الوقت وتجتاز نفسك التي شاخت, والذين كتبوا للطفولة يدركون أنها من أشق المهام. "أولف ستارك" أحد أشهر الكتاب السويديين ذكر في محاضرة خص بها فن القص للأطفال قبل عام في الرياض "أن الكبار يتعاملون مع هذا الموضوع باستخفاف في حين أنه لا يقبل سوى الجدية الكاملة".

وحين بدأت جي كي رولينج كتابة "هاري بوتر" بدا أنها تحاول تجاوز كآبتها اليومية وإشكالات حياتها, فجأة لمعت ذاكرتها بشيء من الماضي فاقتبست منه ما جعلها تخط تلك السباعية الرائعة رغم تقاطعاتها الهائلة مع "ألف ليلة وليلة". سقف الخيال واحد وتناسل الحكايات أيضا وربما كان ذلك بفعل التأثر، فـ"رولينج" أو أي كاتب آخر لم يكن له أن يخفي شغفه بخزانة الخيال العربية. "غوته" مثلا كان يقصها على أطفال العائلة ويروي القصص مجهولة المؤلف، وهذا بظني أهم أسرار بهجتها الخفية. واليوم تدفع "والت ديزني"

---

[157] - جريدة الوطن 2013-4-7

بمنتجاتها البصرية إلى المشاهدين.. تغيرت المؤثرات, أصبحت قصص الجدات مرئية, رداء ليلى الأحمر و"أنف بينوكيو" الذي يستطيل مع الكذب إضافة لحذاء "سندريلا" السحري, الرجل الذي جسد كل تلك الحكايات "والت ديزني" صرخ مرة "إنني أستاء من حدود خيالي".

كانت صرخة "ديزني" مؤثرة وتشي بأزمتنا جميعا، كلنا نشيخ, وحين كتب غاستون غاردنر روايته الجميلة "عالم صوفي" كان يشرح ببساطة تاريخ الفلسفة لفتاة صغيرة, انطلق غاردنر من سؤال محض: "أيهما سيصاب بالذهول أكثر أمام رؤية حجر عالق في الهواء، أنت أم طفل صغير؟ طبعا أنت، لأن الطفل الصغير لا يرى في ذلك تحطيما لقوانين الطبيعة، فهو لم يعرفها بعد، بمعنى أدق لم يكن يحمل أفكارا مسبقة، لم يصبح عبدا لانتظار أمور وأفكار مسلم بها". الحل كما أراه أن نهرب جميعا إلى طفولتنا وكل ما يشبثنا بها.. شيء من "الكارتون".. شيء من الخيال المتفلت الحر.

ماركيز".. كخبر عاجل

رحل ماركيز قبل أيام، توقف العالم لتأبينه واستذكار ما أضافه من جمال للإنسانية، فحين يرحل مبدع كاتب على الأغلب تنكفئ قليلا.. قليلا غرائز الحيوانية السياسية المتحكمة في سير الكون، تتراجع عجلة أنياب الشركات "العولمية"، وتنظيرات حركة رؤوس الأموال على اتفاقيات السوق المشتركة، ومناطق التجارة الحرة. فأضواء النيون أقل بريقا بكثير من حرارة الحروف، من يد انغمست في الحبر والأخيلة، ناطحات السحاب أدنى بمراحل من فرحة روائي شاب نشر نتاجه للتو. المبدعون يؤطرون التوحش ويحجمون جشاعة الاستحواذات، جاء "فاتسلاف هافيل" من المسرح والسجن ليعيد تشكيل أوروبا المتصالحة المتسامحة، ويفكك الستار الحديدي الأحمر، ومن ثم بلده "تشيكوسلوفاكيا".

أوروبا التي ساد مزاجها الروائي الكئيب العالم، "كافكا السوداوي، كامو العدمي، كولن ويلسون الساخط"؛ حتى جاءت الواقعية اللاتينية السحرية متسلسلة من "بورخيس وجورجي أمادو"، متألقة مع ماركيز ليقطف ثمارها "كويلهو، وفارجاس يوسا، وإيزابيل الليندي"، في قارة كل ما فيها ثوري وساخط وعنيف، جاءت الموجة الروائية الفاتنة، اكتشف قراء العالم مناجم سحرية ومساحات إضافية للخيال بنفس إنساني وقوة شعورية هائلة، تفاصيل

غـير التفاصـيل، شـديدة الفردانيـة الـتي حفـل بهـا الأدب مـن قبـل، ومـع مـاركيز تحديـدا تحـول المثقـف للنجوميـة الشـعبية، المبـدع الـذي يشـبه النـاس وتتنازعـه الـدول والمجتمعـات، ويتـودد لـه الزعمـاء والساسـة، رحـل "غابريـل غارسـيا مـاركيز" بعـد أن كـوّن وعـي مرحلـة، ومـزاج جيـل، وذائقـة قرائيـة عربيـة، لمسـت في عباراتـه وخيالـه وشخوصـه ومـا يقـترب مـن تفاصـيلها ويتقـاطع معهـا في أشـياء، رحـل في خـبر عاجـل، ولسـاعات توقـف العـالم عـن تعـاطي السياسـة وتـداول الاقتصـاد، ليـؤبن الرجـل الـذي جعـل الحيـاة أوسـع قلـيلا، والـدنيا أطـرى بمراحـل، والحـروف براقـة مشـعة، لا تفـنى ولا تسـتبدل، قابلـة للطـرق والسـحب والتشـكيل، كـأبهى مـا تكون راكضة على الصفحات التي بدت كسهول بيضاء.

مخدرات شرعية

برامج تطوير الذات وإطلاق القدرات والتحفيز وعدة "النصب اللي شغاله هاليومين" في البلد، بحاجة إلى قوانين ضبط ومكافحة وردع، وإذا كانت تجارة المخدرات بيع الوهم وترويج الخيال وإشاعة الأنس المحرم، فإن هذه النوعية من البرامج على ذات الخط والنمط، غير أن كلفتها أعلى وتحظى بغطاء قانوني، تتناسل إعلاناتها في وسائل الإعلام كأجمل ما يكون دون رقابة أو مساءلة.

شاهدوا كمية وأعداد المراكز التي تقدم هذه النوعية من الدورات، راقبوا مبيعاتها، ورواج مدربيها، وحضورهم الدائم على المنابر كافة. إن انتشار هذا النمط يشير إلى أزمة ثقة عميقة، وعجز في التركيبة النفسية للأجيال الجديدة في مجتمعاتنا إذ تنفث النار على شكل ورش عمل كاذبة، تتمايل على حبل تعزيز الثقة وبناء شخصية الفرد، تحت عناوين تطوير الذات وبناء القيادات الشابة الوهمية، إن مسؤولية الإعلام بمنابره: صحف، برامج، قنوات، إذاعات، يجب أن يكون لها موقف حاد ونقدي تمحيصي من حفلة الجنون المستمرة، التي تشكل سوقا تتوسع كل يوم، ويدخل لها مزيد من "المدمنين". لنتذكر أن قرارا واحدا واضحا بمنع ظهور مفسري الأحلام قد حسم الأمر برمته، وقطع هذه التجارة التي تسببت في تزايد الإصابة بفيروس القلق والوساوس، الذي نحن في أمس الحاجة إلى محاصرته. الجنوح الفردي والجماعي لبرامج من هذا

النوع، توهم الضحية بتعزيز قدراتها الذاتية، وتسليحها في مواجهة الحياة، لكنها في الواقع تغيبه وتقصيه بشعاراتها وعناوينها وشهادات مدربيها، قضية تتوسع كل يوم على خارطة حياتنا، تتحول شيئا فشيئا لمافيا إدارية وإنسانية واجتماعية وسلوكية، دون أن يقف أحد ليسأل، لماذا ؟ وكيف؟ ومتى؟ وإلى أين؟ المشكلة أنهم يمنحون المنابر والمساحات؛ ليقولوا كلاما عاما إنشائيا يعرفه الجميع ويدركه الكل، يروجون البديهيات وينتجون الشائع ليسوقوه على الجميع، دون أن نسأل أو على الأقل نعترض.

النصر.. خارج
"حديقة الصبر"

انطوت سنوات البعد إلى غير رجعة وتنفس عشاق الجمال الكروي الفاتن أفراحا وأخيلة وأفلاكا بعودة المنصات للنصر وليس النصر للمنصات، طرح المشاهدون أسئلة التتويج التلفزيونية حول ما سيكون؟ وما الذي يمكن للكاميرا والصورة أن تخاتل توقعاتهم في أبهى ليالي "العالمي" الجديدة؟، ليلة التتويج السحرية الهائلة التي طالت دهرا واستعصت عمرا وتناءت حتى بدت محالا في لحظة ما وأبقت النصر ومحبيه في "حديقة الصبر" وموقف الترقب الطويل؟ اعتاد الناس مفاجآت في المناسبات الرياضية الكبرى، يتذكرون ما فعلته موسكو في افتتاح أولمبياد 1980 بنوافيرها البشرية ورمية النابل الإسباني حينما أوقد الشعلة عام 1992، فرنسا بموسيقى الضوء ومقطوعات ميشيل جار 1998 والمخلوقات المعدنية التي رقصت في "الشانزلزيه".

"ديانا روس" في كأس العالم 1994 بثوبها الأبيض وشعرها المنكوش وركلة البداية الضائعة، سيدني 2000 التي أشعلت النار من الماء، الحمام الأبيض الذي أطلقه الطفل من الأقفاص في افتتاح 1982 وفي الاختتاميات يتذكر الجميع نزع ملابس "كارلوس البرتو" في نهائي 1970، دموع "مارادونا"1990، "نطحة زيدان" 2006، ومئوية "كافو" 2002، ركضة

"جيرد مولر" الجنونية 1974، وقصاصات "بيونس إيرس" الملونة التي انهمرت 1978، الصورة ذاكرة واللقطة تاريخ، والنصر يستدعي التاريخ ويستعيد الأمس تتويجا وبطولات خارج "حديقة الصبر"، يريد كثيرون للقطة أن تثبت لذا يتساءلون عن التفاصيل فيظهر كل هذا السجال، أمس عرف الناس النتائج، هل كان التتويج حفلا وفعاليات مجرد تفصيل من تفاصيل "النصر"؟ هل أخذت المسألة زخمها من جماليات النصر لاعبين وإدارة وجمهورا في الملعب وما سواه لا يهم؟، الذاكرة صورة والتاريخ لقطة يثبتها المنتصر وغدا لن يسأل أحد عن التفاصيل، لكن هل كانت الكاميرا والنقل والتلفزيون والإعلام – شاشة وأستديو ومحللين ومعلقين ومصورين – على مستوى الحدث النصراوي.

شكرا لكل
من شتم "النصر"!

شكرا للنجوم اللاعبين الذين قاتلوا ونافسوا كما يليق بأبطال ورجال راكضين بشجاعة الفرسان، شكرا لهم من عبدالله العنزي وحتى محمد السهلاوي، مرورا بكل الأسماء في الملعب، وعلى "الدكة" وفي التمارين وقبل هؤلاء جميعا الجمهور العظيم الهائل بمجلسه، والبقية من مدرج أشعة الشمس فردا فردا.

عاد النصر للبطولات بعد غياب طويل، ولو كان لي من أمر إدارته شيء لوزعت "عضويات" فخرية على كل من تهكم وسخر واستنقص من النصر لاعبين وإدارة ونتائج كل هذا الزمن الطويل، ومنحت شهادات شكر وتقدير، فقد أنجزوا المهمة المستحيلة وفعلوا ما عجزت عن فعله الاستثمارات والخطط والأموال وطواقم التدريب الأجنبية، أبقى هؤلاء بلا وعي وقصد، النصرَ قضية حية متقدة مشتعلة في وجدان أجيال لم تشاهد نجومه يقفون على المنصات ويتوشحون بالذهب، كان "شاتمو النصر" بلا قصد أهم أعضاء شرفه الفاعلين، جلبوا له المحبين والمتعاطفين والجمهور والدعم في ظل هذا اليباس من البطولات، 20 عاما من الغياب لم تبرد لهم كبدا أو تطفئ غضبا، وظفوا كل

---

[158] - جريدة الوطن 2014-3-30

شـيء في سـبيل ألا يعـود، لكـنهم دون أن ينتبهـوا حولـوه لقضـية تتسـلط عليهـا الأضـواء، وتتركـز حولهـا التصـريحات والقصـص، تنسـج تفاصـيلها كـل يـوم وفي كـل صـفحة ومـع كـل تصـريح، مـا الـذي يحمـل جمهـورا علـى الانتظـار كـل هـذا الوقـت لـولا أن التحـدي كـان هـائلا؟ نعـم كـان للاعبـين والإدارة والمـدرب والجمهـور وأعضـاء الشـرف دور مهـم في كـل مـا حـدث، لكـن "شـاتمي النصـر". في بـرامج تلفزيونيـة وصـحف ومجـلات وإعلاميـين. في غيابـه كـان لهـم الأثـر والـدافع الأكـبر في رفـده كـل عـام بموجـات بشـرية تسـابقت علـى مـلء مدرجاتـه حـتى تحقـق مـا تحقق.

بين طائرتين

محليا، تابعنا تهادي طائرة عسير المجزأة عابرة الطرق والممرات والمضائق، في كل قرية أو مدينة كانت لها قصتها وحكايتها بعد أن تقاعدت عن مهمتها الأساسية متحولة لمزار سياحي، ركضت الصحافة لمتابعة الحدث اللافت بكل تبعاته وشكاوى الناس المختلفة، طائرة تتحرك على الأرض بعد أن كانت تعبر الأجواء وتملأ السماء بضجيج محركاتها، أسلمت قيادها لعدد من القاطرات الكبيرة لتقطع بها في أيام ما كانت تعبره في دقائق، لا الزمان زمانها، ولا المكان كذلك.

في الجهة الأخرى من الكرة الأرضية، انشغل أقوام آخرون بالبحث عن الطائرة الماليزية ومحاولة فك سر احتفائها، غير مدركين أن الطائرات في العادة ترحل ساحبة أسرارها معها إلى أعماق المحيطات، طائرة "إير فرانس" فعلت ذلك 2009 قبل أن تصل لشواطئ البرازيل قادمة من باريس، وكذلك فعلت الطائرة المصرية الشهيرة 2000 بضباطها المدربين وقبطانها البطوطي، قبلها بمدة وجيزة أفلس سقوط طائرة كونكورد بالمشروع البريطاني الفرنسي الشهير، وظلت أميركا تطارد نظام القذافي سنوات طويلة بتهمة "لوكيربي"، حتى بعد دفع التسويات المالية، دفعت الأموال ولم يكشف عن الفاعل. سقطت طائرة عرفات في الصحراء الأفريقية 1993 وكتبت له الحياة، بينما ذهب الأمين

---

[159] - جريدة الوطن 2014-3-24

العام للأمم المتحدة داج همرشولد ضحية في حادث مماثل أوائل السبعينات الميلادية. في قصص الطائرات لا أسرار تكشف ولا معلومات تشاع. الطائرات تأخذ معها أسرارها في رحلتها الأخيرة. الجهد البشري المتضافر ربما سيوفق في التوصل لبعض التفاصيل مع الماليزيين، وستكون صناعة الطيران العالمية مشغولة مع تحد أمني ومعلوماتي جديد وهي التي لم تسترخ أبدا منذ أحداث سبتمبر 2001. تتحول هذه القصص في العادة إلى تحد إنساني، كما في قصة عمال منجم تشيلي، أو البحث عن متسلقين مفقودين على قمة الهمالايا.

أما طائرة عسير فستتحول لمزار سياحي يضيف معلما ذا طبيعة استهلاكية، تعبر الطرق والممرات والمضائق، مجزأة على قاطرات لتقطع الكهرباء، مزاحمة العابرين، دون أن نعرف كيف فعلت هذا؟

تصدير المماحكات..
تجميع الأصداء

البرامج الرياضية السعودية تحتشد بالضيوف، محللين، خبراء، متعصبين، صحفيين. يعيشون على التفاعل الهائل للأحداث المتتالية. ذات القضايا، نفس الميول، والجدليات التي لا تنتهي، بل تتجدد مع كل لقطة تلفزيونية أو تصريح أو مقابلة أو حتى تغريدة. جمهورها شاب ومندفع ومتفجر الميول الرياضية، ضاقت الصحف بكل هذا الحراك الكبير، ترهلت الجرائد، ولم تعد قادرة على ملاحقة الأحداث، مواقع التواصل الاجتماعي ألغت ميزة الأسبقية الخبرية، فجاءت البرامج التلفزيونية والإذاعية لمهمة تجميع الأصداء، وتوسيع مساحتها. مهمة مكررة ولا جديد فيها، تتغير الوجوه والملامح، ولكن المحصلة واحدة، تتزايد الطموحات والطلبات وقبل ذلك الانتقادات، لكن داخل الميادين تتراجع المسائل والمردود أقل من الطموح. يحب السعوديون الرياضة كما كل شعوب العالم، لكنهم يحولون الأمر إلى تناحر وجدل بلا فائدة، وفي نهاية كل موسم يعودون للانكفاء، بانتظار ما تحمله بشائر الموسم القادم، وهكذا دائرة مفرغة، لكنها لا تنتهي بل تكبر مع الزمن، الشعوب لها مزاجها مع الجدل، هناك جدل تنموي وآخر سياسي وثالث اجتماعي ورابع رياضي،

---

[160] - جريدة الوطن 2014-3-16

السعوديون يختصرون ذلك كله؛ لذا تتضخم الأمور، ويظهر كل يوم برنامج رياضي بمستويات مختلفة من الحرية، لكنها في الأخير تعتمد على قدرة الضيوف في الترصد والتمحور حول فكرة محددة، تنطلق في العادة من ميول بعينها، وتُلبس عليها المواقف والآراء والأفكار، يمكن للضيف، أي ضيف عابر، أن يكون نجما وذا حضور كبير بمجرد تبنيه للعناد، هذا الأمر قد يفتح له فرصة منصب ودور إشرافي أو استشاري في موقع ما، النماذج كثيرة، وهذا ما يجعل المجال في الأعم الأغلب لا ينظر إليه بكثير من الاحترام والقيمة، تجارة الكلام وبيع اللغو وتصدير المماحكات برامج تملأ ساعات البث، ويسهر عليها الشباب؛ لأنها تأتي متأخرة في التوقيت، تشحنهم بانتظار يوم آخر، الجميع ينتقد هذا الوضع بما فيهم صناع هذا النوع من برامج الحوار، لكنهم لا يتحركون باتجاه تغيير الوضع، أفق مسدود ودائرة مفرغة، لكنها تجذب جمهورا وهذا غريب، غريب جدا.

"اليوتيوب"..
صديق السعوديين

الشاب الذي تسلق الشاحنة الخفيفة في مشهد بطولي لم يكن يدري أن ثمة من يرصد لحظته الشجاعة تلك، اندفع كما أغلب أبناء هذا الوطن العظيم غير مبال بعواقب الأشياء، مدفوعا بما حملته جيناته من جسارة وإقدام، صادق السعوديون وسائل الاتصال، ومواقع التواصل محولينها إلى حالة ارتباط حميمة مع العالم باثين فيها خفة دمهم المدهشة، وروحهم الفكاهية، يطل السعوديون من التقنية كراغبين حقيقيين بالمتعة والضحك، لكن هذا لم يمنع تدوين لحظات بطولية نادرة كتلك التي شاهدناها في مقطع "الدينا".

إن أهمية اللحظة التي تثبتها كاميرا الجوال الصغيرة نادرة، فالعالم أصبح يؤرخ بالعين لا بالكلمات، الكاميرا لا تكذب ولا تزور ولا تخاتل المتلقي، بل تتركه أمام تقييمه الذاتي للأشياء التي تتدفق من الناس.

في كل بلاد الدنيا يتعاطى الناس مع التقنيات من واقع اهتماماتهم، يأخذون منها أكثر مما يعطوها، السعوديون يزودونها بأكثر مما تتوقع لذا لم يكن مفاجئا

---

[161] - جريدة الوطن 2014-3-10

أن يقـرر "يوتيـوب" عقـد مـؤتمره في السـعودية لمـا لمسـه مـن اسـتثنائية ومغـايرة في نوعيـة مـا يضـيفه السعوديون مـن محتـوى وحجـم وتفاعـل، اليوتيـوب، مسـلة هـذا العصـر وراصـد لحظتـه "هـيردوت" الـزمن الجديـد الـذي يفاجئـه السـعوديون بمـا هـو غريب ومضحك وساخر كل يوم.

الناس أعداء ما يعرفون

لا أعـرف مـا التقنيـة أو موقـع التواصـل الاجتمـاعي الـذي اسـتخدمه "الأوكـران" في تحـركهم النـاجح ضـد "يانكـوفيتش"، قبـل ذلـك عاشـت والتهبـت أحـداث الثـورة السـورية العظيمـة وعرفتهـا الـدنيا مـن "يوتيـوب"، مـات السـوريون وعاشـت ثـورتهم في الـ"يوتيوب"، للشـعوب مزاجاتهـا المختلفـة للتعامـل مـع التقنيـة. السـعوديون لهـم مـن "تـويتر" كـل النصـيب، يغـذي لـديهم خـواص الاسـتعجال والسـرعة أولا، والنزعـة لمعرفـة كـل جزئـي وتفصـيلي، الخليجيـون كويتيـون وإمـاراتيون يحبـون "الإنسـتجرام" لمسـائل فيهـا مـن "الهيـاط" و"الطعـج" الاسـتعراضـي، العـين هـي الـتي تفعـل كـل شـيء، المصـريون يهيمـون بـ"فيس بـوك" حيـث التفاصـيل الكثـيرة والإشـعارات الهائلـة والمسـاحة لكـل شـيء، في حـين يشـهد "فيلكـر" صدى شرق آسيوي طيبا، حيث الصور الصامتة والتفاصيل عوامل جذب.

الشـعوب تنـتج وسـائلها في الاتصـال، عرفـت أوروبا تقنيـة الحمـام الزاجـل مـن السـوريين خـلال الحـروب الصـليبية فيمـا كـان يرسـل الرومـان إشـاراتهم العسـكرية بنـيران علـى رؤوس الجبـال، وحـين اشـترى الـ"فيس بـوك"، "واتـس أب" قبـل أيام وتعطـل لسـاعات، سـرت الظنـون وراجـت الشـائعات، أصـبح النـاس أعـداء مـا يعلمـون لا مـا يجهلـون، لأن مـا يعلـم عـنهم أصـبح كثـيرا ودقيقـا، الأمـر الـذي يفقـدهم غموضـهم ويكشـفهم في العـراء أمـام العـالم، العـالم الـذي تعلـم مـن

السوريين كيف يتواصل عبر المسافات، ها هو يقف على موتهم بالعشرات متفرجا في الـ"يوتيوب" متفننا في ابتكار التقنيات التي تضغطه في علبة صغيرة لا قرية كونية بينما تسور المشاعر وتفصلها بآلاف الأميال والعزلات الشعورية.

نتيجة ثابتة لاتهامات متحركة

قـرؤوا السـينما بشـكل خـاطئ، قـالوا إنها جـاءت لتلغـي المسـرح بكـل تاريخـه وضـرورته للإنسـان، وظنـوا أن اكتشـاف الأخـوين لـوميير هـو طعنـة في قلـب المسـرح منـذ الإغريـق، وبالتـالي هـو طعنـة ضـد الـوعي والثقافـة لصـالح السـطحية والتفريغ.

أيضـا قـرؤوا التلفزيـون بشـكل خـاطئ، وقـالوا إنـه جـاء لضـرب السـينما العظيمـة والفـن السـابع النبيـل المـدهش ملهـب الخيـال والمتعـة في تجلياتهـا، لرميهـا في غياهـب النسـيان ودهـاليز الحضـارة البشـرية، باعتبـار التلفزيـون سـينما صـغيرة توجـد في كـل منـزل؛ لـذا فـإن الـذهاب للمسـرح والسـينما بمسـارحها ونجومهـا وقاعاتها وصالاتها انتفت.

قـرؤوا الفيـديو خطـأ، زاعمـين فقـد السـيطرة علـى مـا يمكـن مشـاهدته، لم نعـد قـادرين علـى ضـبط مـا يـراه أبنـاؤنا، انفـرط عقـد الرقابـة العقليـة وسـاحت الأخـلاق، وفي زمـن الفيـديو هكـذا روجـوا، متهمينـه بضـرب منظومـة القـيم الضـابطة، وتفريـغ المسـرح والسـينما والتلفزيـون مـن الرسـائل الإنسـانية الإبداعيـة

---

[162] - جريدة الوطن 2014-2-23

التي نشأت الأجيال عليها، بقيادتهم إلى دروب لا تعرف نهايتها، ذاتهم كرروا ذات الشعارات مع دخول القنوات الفضائية ببثها المباشر، تمترسوا بكل شيء من أجل كل شيء.

دخل الإنترنت على خط البشرية، فروجوا فزاعاتهم، وأصبحت الحياة مخيفة بعيونهم وأذهانهم، فقالوا الآن انتهى كل شيء، المسرح والسينما والإذاعة والتلفزيون والفيديو والرقابة والصحافة والأخلاق طبعا، تناسوا أن الأشياء الجيدة والمكتسبات الإنسانية لا تلغي بعضها، بل تتراكم ويبقى لكل شيء جمهوره، ويثبت الزمن أن أصحاب مثل تلك الآراء المرعوبة النهمة بإشاعة النهايات، وشطب المراحل الحضارية بتراكماتها، سيبقون يمارسون هذه الهواية عبر الزمن، ومع كل منتج جديد، ودليل ذلك بقاء المسرح ورواج السينما وصمود التلفزيون والصحافة سواء المطبوعة أو الإلكترونية والقنوات الفضائية والإنترنت وما سيأتي لاحقا؛ لأنها سباق حضاري إنساني مستمر ومتحرك منذ فجر التاريخ وسيبقى كذلك، كل ما يحدث أن عربة تقنية تتحرك باتجاه ما لا نعرف، وهذا ما ينتج موقفا كهذا، فالناس بطبيعتها عدوة ما تجهل، وإلى أن تتآلف معه وتتعاطاه، فإن شيئا جديدا يطرأ.

عن موت "التلفزيون" السياسي

كانت لحظات عابرة وقصيرة، تلك التي تألف بها الناس مع القنوات الإخبارية، بحيث سيطرت على مساءاتهم، الـ"سي إن إن" خلال حرب تحرير الكويت 1991 هي التي فتحت الباب، ثم عاد الناس لتناولاتهم العادية ومتابعة حياتهم حتى أتت "انتفاضة الأقصى" سبتمبر 2000 التي تفجرت بعد مفاوضات "واي بلانتيشن" التي طمحت لحل نهائي لملف القضية الفلسطينية، وكانت قمتها اللقطة المؤلمة للطفل محمد الدرة، ثم عادت الأمور لطبيعتها حتى أحداث سبتمبر الشهيرة في 2001، التي توهجت بفضلها "الجزيرة" وشجعت لإطلاق العديد من القنوات الإخبارية، ثم "احتلال العراق" عام 2003، وحرب لبنان 2006، وغزة 2009، كلها كانت متابعات عابرة لأسابيع فقط، لكن منذ أحداث الربيع العربي مع بداية 2011، والناس تشحن بالمشاهد المؤلمة والأخبار المتلاحقة السريعة وفق إيقاع لاهث، الصور مؤلمة والتقارير التلفزيونية المرافقة بشعة ولا إنسانية، واليوم وعلى هذه الوتيرة نستكمل أعواما ثلاثة من هذا النمط المرئي الصعب، ولولا أن موسم كرة القدم السعودي كان استثناء بنتائجه ومبارياته.

---

[163] - جريدة الوطن 2014-2-16

الأمر الذي وفر خيارا في ظل تضاؤل الخيارات ـــــ لكانت الأمور صعبة جدا على المشاهد، مل الناس النشرات التي لا تجلب سوى الموت والقنوط واليأس، سينسحبون إلى مناطق أقل توترا وأكثر بهجة وأقرب تصالحا مع الحياة، كأس العالم 2014، ربما ستعلن طلاقا وقطيعة مع مزاج "الربيع العربي الإخباري المرئي"، خاصة وأنها ستتداخل مع شهر رمضان المبارك بمزاجه المرئي المتناقض مع المتابعات "الخبرية"، ضعفت "الجزيرة" بشكل واضح وامتد الهزال لكافة برامجها، "العربية" ومع إقفال الملف السوري ستعود لقواعدها وتناولاتها الاعتيادية، بينما ستبقى الإخباريات الأوروبية الناطقة بالعربية مرتبطة بملفات حكوماتها أولا، ولا أفق يلوح بالنجاة للاستثمارات الشخصية في هذه الصناعة التي تموت.

مرسي وسيد قطب..
البدلة والحاجز الحديدي

في لقطات محاكمة مرسي الأخيرة التلفزيونية كان حضور بزة السجن البيضاء لافتا، وشكل الحاجز المعدني مثيرا, اختفت الاحتفائية والثقة والبدلة الرسمية الأنيقة واستقبال زملاء الزنزانة رفاق السياسة بالتصفيق والترحيبات في محاكمته أول مرة, مزاجه العدواني لم يكن مهما، المهم كانت لقطة تلفزيونية صغيرة عبرت بشكل اعتيادي، مرسي سجينا ببدلة بيضاء وحيدا غاضبا ذا مزاج جنوني، يصرخ في القاضي وسط رصد الجميع، لحظة تاريخية فاصلة ثبتها خصومه عليه، هذا ما كان تلفزيونيا على الأقل، أما فوتوجرافيا فقد حاول المتعاطفون ربط صورته تلك مع أخرى جلبوها من منتصف الستينيات الميلادية لسيد قطب، أيقونة الجماعة كما يرون، عادت دعائية الإخوان لمخازن الأفكار ومتاجر التاريخ، صورة سيد قطب خلف القضبان، أشهر مانشيت ولقطة في "البروباغاندا" الإخوانية التي جلبت الكثير من الأنصار والمتعاطفين على مدى عقود الكفاح ضد الحياة، الصورة الشهيرة يتم إحياؤها واستثمارها في المعركة المستمرة، علها تنفع أو تعيد شيئا من التجربة التي وصلت إلى قمتها العمياء قبل عام وأكثر فتحولت بسبب الرداءة وغياب الخيارات والحلول والاستحواذية

---

[164] - جريدة الوطن 2014-2-9

المرضية إلى فشل مكتمل الأركان، وبدلا من نقد التجربة كاملا والوقوف على أسباب الهزيمة السياسية والأخلاقية يثبت الإخوان جفاف الفعل في إدارة الصراع حتى إعلاميا، شيء من الحلول الجاهزة إعادة إنتاج سيد قطب مع مؤثرات دستورية، في نفس الموقف وبذات البزة ومع الحاجز الحديدي عينه، خطاب التشفي كان ملاحظا خلال معظم محطات وقضايا المحاكمة المباركية، لم يتحدث أحد عن بدلة مبارك البيضاء إلا بسخرية ونكات بينما بدلة مرسي البيضاء والحاجز الحديدي استدعت أمورا أخرى ذات بعد استشهادي كاذب وتضحية على طريق الجماعة المنتنة وأفكارها وبرامجها التي تحاول إنتاج سيد قطب لكن "بنيو لوك".

التجهم" و"يوتيوب" وأشياء أخرى

نقل السعوديون شكاواهم الحياتية والتنموية إلى الشاشة فجاءت العديد من البرامج التلفزيونية التي تغازل هذا الشغف الكبير بعد أن كانت الصحف هي المكان الوحيد لمثل هذا البوح.

تحولت البرامج إلى صحف مرئية تعمل بتحقيقاتها ومقابلاتها مع الناس فاستحوذت القنوات على جاذبية الجمهور ومتابعته، لكن في المقابل فإن هذا السيل من الشكاوى لا يجد صداه المتوقع من بعض التنفيذيين فتتكرر المسائل بصيغة أو بأخرى.

التوقيت مهم في المسألة فعلى عكس المصريين الذين يحبون السهر على برامج "التوك شو"، التي تطغى عليها النقاشات السياسية في المجمل، تأتي برامج السعوديين العالية المتابعة في العشية، فيما البرامج الرياضية هي التي تتأخر في البث، وذلك لأن متابعيها من الشباب، الذين يحبون السهر ولا يواجهون مشكلة معه.

---

[165] - جريدة الوطن 2014-1-27

أما مساحات الصباح فهي مخصصة للأسرة، وهي نسوية الطابع لأن جمهورها محدد، خليط من برامج التوعية والنصائح الطبية والتقارير الخفيفة المادة.. قليلة هي البرامج الخفيفة الدم والطابع لذا يمكن ملاحظة هذا النزوح السعودي الشاب إلى "يوتيوب"، حيث يصنعون أعمالهم الشابة والجريئة التي لا تستثني قطاعا أو مسؤولين، كمية السخرية والخفة الهائلة جعلت الـ"يوتيوب" ملاذاً للشباب جمهوراً وصناعا يملؤون فضاءه بالجديد والمتفاعل.

مواد سريعة ومباغتة وذات صدى هائل.. دعا المسؤولون عن القنوات الفضائية الكثير من الشباب لمحاولة استقطابهم ومنحهم المساحة والوهج، لكن التجربة في بداياتها ولا يمكن الحكم عليها بسرعة لكنها المستقبل بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وإن كانت مشكلتها الأساسية في الحرية، وهذا نقاش مستقل لكن مع توافر البدائل، فإن الأمور تتجه لصالح البرامج الجديدة الشابة، نعم سننتظر قليلا إلى أن يحين الوقت لكن حتما سيتم ذلك، إذن ما الذي سيحل بالبرامج الحكائية، ستحافظ على بعض جمهورها حينا لكنها ستفقده خصوصا مع الإحصائيات التي تتحدث عن حجم وكم الشباب في المجتمع، وهل ستتقوقع في نهجها النقدي التنموي الطابع أم ستفتح أمامها أفقا أخرى؟ حتى ذلك الحين سنبقى ننتظر ونراقب.

صورة" "

"من داخل "العربية

زرت المقر الرئيس لقناة العربية بدبي قبل أيام برفقة صديقي وزميلي الكاتب حسن الحارثي بدعوة من صديقي وأخي مالك عبيد المسؤول في القناة, لم يكن لي طموح سوى التجول والفرجة، فيما أخي حسن كان مبيتا النية للالتقاء بنجمة القناة الأولى المذيعة جميلة الوجه والروح سهير القيسي، والتقاط صورة معها للذكرى وإثارة حسد وغيرة بعض الأصدقاء المشتركين كتابا وصحفيين وسواهم, دخلنا إلى الأستوديو الكبير، وأخذ مالك بالشرح والإفاضة والتعريف فيما كانت عيون حسن ترقب سهير التي كانت تقدم موجز الثالثة عصرا, غفل مالك عنا للحظات بعد استدعائه لأمر هام, كانت سهير انتهت من الموجز وجلست على مكتبها، فانتهز حسن الوضع واتجه ولحقته للسلام عليها والتعريف بنا, رحبت سهير بكرم روح وخفة نفس، سألتنا عن ملاحظاتنا حول نشرة الرابعة التي تقدمها، فأخذنا بالتنظير الذي لا نجيد سواه مع جملة ملاحظات سريعة فيما عيوننا شاخصة شاهرة مثبتة على ملامحها التي تعرفونها حتى يمكننا لاحقا الإجابة عن كافة الأسئلة والاستجوابات التي ستأتينا لاحقا عائليا وأصدقائيا, سألتنا عن متابعة نشرة الرابعة في السعودية وأشياء مشتركة كصدارة نادي النصر للدوري

[166] - جريدة الوطن 2014-1-20

وشخصيا لا أتذكر من كلامي الذي قلته شيئا، وطبعا ستعذرونني لجلال الموقف ورهبته, طلب حسن أن أتحول إلى مصور وألتقط له صورة مع سهير, قبلت المهمة حتى لا أخذل صاحبي، ونفحته ثلاث صور لأسلم من لومه، فشكرها بلطف وتراجع، سألتني سهير ألا تريد أن تتصور معي؟ شخصيا كنت مرتعبا من محاكمة عائلية صارمة نلتها لاحقا، لكن "لا يرد الكريمة كسهير إلا لئيم"، فقلت داخليا "عيب عليك يا ولد أن تكسفها وقد طلبتك", راقبت سهير خجلي المصطنع الذي غطى خوفي، وهدأتني بابتسامة تحول معها حسن إلى مهمة التصوير فجاءت لقطة محترفة، تركت صورة حسن وصورتي ردودا أثارت حسد وغيرة أصدقاء ومحبين استجوبوني لاحقا عن التفاصيل التي ذكرتها، ودعناها بالأمنيات فيما واجهت لاحقا محاكمة قاسية انتهت بعشرات التعهدات وأغلظ الأيمان فيما لا أعرف ما الذي ناله حسن من عقاب.

صمت "ملك مصر"

في المشهد المصري!

من يراقب المشهد المصري الإعلامي وتغطياته التي تتناول كل تفاصيل المشهد السياسي المصري ببرامجه وحواراته وضيوفه، بكل النشاط الذي يملأ الأستوديوهات ومقار الأحزاب والندوات والحراك الكبير، نقاشا بمواد الدستور وبالتصويت وبناء المؤسسات المختلفة والسجالات السياسية أثناء المرحلة الثورية من 25 يناير 2011، لا بد أن يثير انتباهه ويتساءل بدهشة حول تجاهل الإعلام المصري لحالة الصمت السكونية التي تحيط بآخر ملوك مصر أحمد فؤاد الثاني! فالرجل صامت لم يدل ببيان واحد أو حتى تصريح أو مقابلة تعلق على ما يحدث.. تنتقد أو تكشف أو تشير أو على الأقل أنه موجود وبصحة جيدة، يراقب وبين الأيادي، في الوقت الذي أمل شخص كعمرو خالد ذات يوم، أن يحكم مصر فأسس حزبا سياسيا وشرع في بناء مشروعه.

رحل مبارك وجاء المجلس العسكري.. شفيق، مرسي، صباحي، أحمد علي، خيرت، المرشد، السيسي.. أسماء كثيرة تأتي وتروح، تعبر المشهد المصري التاريخي سياسيا واجتماعيا، تمني نفسها بلحظة التتويج. كثيرون يتحدثون عن مصر ومستقبلها وأناسها وأدوارها، رجال دين، سياسون، انتهازيون، رجال أعمال، مثقفون، سوقة، سائقو تاكسي، هامشيون.. الكل يبدي رؤيته فيما يجب أن تكون عليه مصر. الدول الإقليمية لها مشاريعها بهذا الأمر، الدعاة،

المحرضون، المزايدون، "أي حد معدي" قادر على رسم خرائط الطريق إلا ملك مصر أحمد فؤاد الثاني ابن فاروق. حتى الذين عاشوا حياتهم لمدة طويلة خارج مصر كأحمد زويل والبرادعي، لم تمنعهم تلك القطيعة من الاندماج بالحدث كاملا. الجميع بحث عن دور في الفراغ الكبير إلا "ملك مصر"، فضل العزلة والابتعاد والصمت وكأن الموضوع لا يثير، وغير جدير بالعناء!

لكن إذا كان حكم مصر جعل من شخص كعمرو خالد يفكر في الأمر، فما الذي يمنع أحمد فؤاد الثاني وهو وريث السلالة وملك البلاد الذي حكمها طفلا لعام واحد، من أن يفكر بالأمر؟ سؤال محير.. والمصريون في إعلامهم وبرامجهم لا يبحثون عنه.

المهرجان المظلوم

لا أحـد يتحـدث عـن تعـديل أو إصـلاح أو تقـويم مـا يحـدث في مهرجـان "أم رقيبـة". كثـيرون منـدفعون لإلغائـه، هكـذا وبحماسـة جارفـة مفعمـة بالنصـائح والمبالغات الساخرة والبكائيات.

"أم رقيبـة" تمثيـل حقيقـي لفكـرة "اقتصـاديات الصـحراء"، تنميـة بوسـائل شـديدة الذاتيـة، لا تكلـف الدولـة شـيئا، تعيـد بعـث روح التنـافس الـتي تم اختصـارها عقـودا في كـرة القـدم. وزعـت الدولـة فكـرة الاقتصـاديات الذاتيـة علـى المنـاطق ونظمـت المهرجـانات التسـويقية، فنالـت نجـران مهرجـان الحمضـيات، ونالـت الجـوف مهرجـان الزيتـون، واختصـت بريـدة بمهرجـان التمـور، وحائـل براليهـا الشـهير، وجـازان بمهرجـان المـانجو، والنعيريـة بمهرجـان الربيـع، وكـان نصـيب حفـر البـاطن "أم رقيبـة" صـيغة مـن صـيغ التنـافس بجـودة الإنتـاج، محاطـة بجـو حماسـي لا يضر أحدا ولا ينقص حق أخر.

فكرة بسـيطة تواجه تيارا هائلا من التهم والذين يسـوقون تلك التهم لا يثبتون دليلا واحدا ولا مخالفة رغم 13 عاما من عمر المهرجان، بل توسـعة لعباءة رعب اجتماعي افتراضـي، قوم يجتمعون في مكان ناء يتنافسـون فيما بينهم، لم يقطعوا طريقا، لم يسـرقوا شـيئا، لم يعتدوا لا لفظيا ولا جسـديا ولا فكريا على أحد. يدفعون أموالهم لاقتناء

---

[167] - جريدة الوطن 2014-1-6

حيوانات دفع أسـلافهم أرواحهم ودمائهم دفاعا عنها منذ بدء الخليقة، تغنوا وتفاخروا وتكنت قبائلهم وعوائلهم بها، قد لا يجد فيه البعض ما يجذب وهذا حقه، لكن كل هذا التحشيد والسخرية والروح المستفزة ضد المهرجان غريبة.. ولو كنت في مقام نصح للجان القائمة على تنظيم مهرجان "أم رقيبة" لرجوتهم أن يركزوا على دعوة وسـائل الإعلام من دول وثقافات العالم المختلفة، تلفزيونية، صحافية، لتنقل شيئا من صورتنا كمجتمع ما قبل النفط قبل أن يطويها النسيان وتذوي في الزمن، صورتنا التي نحاول نزعها من خلفيتها الإنسانية دون نقاش حقيقي بل بقطيعة فكرية وافرة الشروط تحاول دائما ربطا عكسيا بين ما هو إنساني فطري متمظهر ثقافيا كهذا المهرجان وبين سياقات الحداثة والتطور.. وهذا ظلم كل المجتمعات الإنسانية، حتى الحضارية والمتقدمة لها "أم رقيباتها".

"شاعر المليون"

جمهورية الشعراء

عاد برنامج "شاعر المليون" لعيون مشاهديه بعد أن غاب قليلا. كان "شاعر المليون" ومازال "عكاظا تلفزيونيا"، وإن تطورت صيغته كما هي طبيعة كل الأشياء. الشعراء نجومه ورواده ومحبوه، الشعراء الذين لم يعد يأبه بهم أحد، تكفلت بهم برامج المسابقات الشعرية، فكفتهم السؤال في هذه الحياة الطويلة، الشعراء الذين هم روح الكون وأقماره المتوهجة بالحزن والدمع والأمنيات، هم الذين يجوبون فلوات الدنيا بحثا عن جمالاتها المضيئة ليعيدوا بعثها للناس شعرا وقصائد وأحاسيس.

الذين ينتقدون تحويل الشعر إلى أداة كسب تجاري أو "تسليع" هذا المنتج الوجداني الخالص، وحصره في رسائل نصية، يحق لهم أن يكون لهم موقف نقدي من الفكرة، ولكن لا يحق لهم إشاعته رعبا في مواجهة نجاح التجربة وذيوعها الحاصل؛ فمسألة دخول رأس المال لتوسيع قاعدة الاهتمام العام بقيمة كالشعر والاستفادة منه ـ وإن بشكل تجاري ـ قضية إيجابية ومبشرة، وكطبيعة كل الأشياء تحفل بالملاحظات والنقصان، إلا أن التطوير والوقت

[168] - جريدة الوطن 2013-12-30

كفيلان بتحويلها إلى مسألة مكتملة النجاح، كما أن الدعم المادي والمعنوي الرسمي وشبه الرسمي الذي تحظى به برامج مثل شاعر المليون، وأيضا إنتاجه لنجوم المرحلة كشعراء معطى في غاية الإيجابية؛ لأنه يعيد إنتاج النجم الشعري أو الشاعر النجم، بما يكفل له حياة كريمة تجعله يتفرغ لفنه الذي يجيده. لقد عاش الشعراء تاريخيا على التكسب، وهي مسألة ليست عيبا ولا أراها كذلك، ولا تتضارب مع الواقع في أي شيء. إنهم يتكسبون بفنهم وينتجون نتاجا معقولا وذا طبيعة إيجابية وإن شابته بعض التفاصيل التي لا تذكر، من مدح وقدح لا يرتقيان إلى حدود الفتنة كما يصورها المرعوبون من التجربة، كما أن هذا الاهتمام وهذا التأثير الذي يمارسونه على الأجيال الشابة له جانب إيجابي، مثل أن يهتم الشاب بهذا الفن الراقي، بدلا من أن يهدر حياته على هوايات قاتلة أو ينحو مناحي متطرفة اجتماعية ودينية وسلوكية.

"صدارة النصر"..

قراءة غير رياضية!

كل هذا التناول الإعلامي، والزخم في البرامج التلفزيونية ومواقع التواصل الاجتماعي لعودة نادي النصر للمنافسة وتصدر مسابقة الدوري يشير لجملة تغييرات في المزاج الشعبي السعودي العام؛ تغييرات طالت -بالإضافة إلى زخمها الرياضي والفني والإعلامي والاجتماعي- الاهتمام بالبعد السياسي الإقليمي. كان النقاش الشعبي متأججا بعد إزاحة الإخوان عن الحكم في مصر، كانت "الهاشتاقات" ذات الطابع التحريضي المرتبطة بمسائل حياتية وخدمية تسرح وتمرح حتى مع الحوادث البسيطة والتفاصيل الإجرائية اليومية، لكن بمجرد انطلاق مسابقة الدوري وانطلاق النصر معها تبدل الحال، عاد السعوديون لتفاصيلهم الخاصة، سادت الرياضة وتراجع الحماس شعبيا لمتابعة أحداث سورية وتفاعلات المشهد المصري، انشغل الجمهور الرياضي النصراوي الكبير بـ"متصدر لاتكلمني"، وانشغلت البقية معه وبه، الكل يريد التناغم مع هذا المد الجماهيري الرياضي الهائل، تخلى النخبويون من مثقفين وبيروقراطيين عن نخبويتهم باستعراض ميولهم الرياضة وانتصاراتهم لولاءاتهم الكروية، ابتكر الشعراء قصائد لدعم نجومهم الرياضيين، تبرع المطربون بأعمال غنائية جديدة لبث

---

[169] - جريدة الوطن 2013-12-23

الحماس أو انتزاع جزء من كعكة الجمهور الهائلة، ابتلع "هاشتاق متصدر لاتكلمني" الشهير كل الأحداث واختصر المشهد الرياضي الكروي والاجتماعي كاملا، أصبح مناخا خصبا لخفة الدم والتعليقات اللماحة وابتداع أفكار جديدة لتحميس الأنصار الذين لم ينشغلوا بـ"الهاشتاق"، بل انشغلوا بكيفية الرد عليه، والذين لم ينشغلوا لا بـ"الهاشتاق" ولا بالرد عليه، انشغلوا بمراقبة ما يحدث.

انغمس النجوم الخليجيون والعرب في هذا السجال الطريف والخفيف، رياضي النزعة، سعودي الصفة، مذيعون ومذيعات، مطربون ومطربات، صحفيون، كتاب، ممثلون. خلخلت صدارة النصر كل المزاج الرتيب وأعادت الحيوية للملاحق والصحف والبرامج الرياضية المملة. تخلى ريموت السعوديين عن ملاحقة القنوات الإخبارية بنشراتها الجالبة للموت والقنوط. تبادل الشباب مقاطع الفيديو التي تلاحق هنات حكام الكرة وهفوات مساعديهم، لا صوت يعلو على صوت المعركة الكروية التي تدور رحاها في كل بيت واستراحة ومناسبة ومقر عمل. طاش السمت وعلت الضحكات والتعليقات الساخرة، أصبحت الحياة طرية قليلا وعاد السعوديون لأنفسهم بعد أن انشغلوا بالعالم سنوات طويلة.

فهل ساءلوا

cartoon network عن صدفاتي؟

كل حالة الرعب الثقافي التي عاشـها محبو اللغة العربية منذ قرن وصـلت إلى العدم، قصـيدة حافظ المعروفة تحولت لفلكلور.. أنجزت الفضـائيات الكارتونية العربية التي تبث على مدار الساعة ما عجزت عنه كل مجامع اللغة العربية المختلفة بكل حملاتها ونداءاتها للحكومات للحفاظ على العربية من الاندثار.. أصـبح الأطفال الذين لم يلجوا المدارس بعد، يتحدثون العربية الفصـحى بسـلاسـة بحكم تأثرهم بما يشـاهدون، ولن تندهش إن فاجأك طفلك الصغير بمفردة غائرة من عمق التراث اللغوي العربي وأنت تحاول ملاطفته بأبوة.

حولت الفضـائيات الكارتونية العربية أطفالنا إلى معاجم متحركة بملامح شـديدة البراءة، طبعتهم التجربة والتأثر، لذا فمن حقنا أن نلقي بكل توصـيات مجامع اللغة العربية إلى مخازن التأريخ، وندرك أن الأمور لا تبدو دوما كما تصـور.. مشـاريع تجارية بسـيطة صـنعت الفارق وغرسـت في أذهان أطفالنا وعقولهم لغتهم الأم، بعيدا عن كل مراكز دراسـات اللغة وتوصـياتها التي لا يقرؤها أحد.. منجز ثقافي لافت وجدير بالدراسـة ونتائجه مبهرة.. مزجت تلك القنوات المتعة بالصـورة المتقنة البهيجة القريبة لروح البراءة

---

[170] - جريدة الوطن 2013-12-16

مع لغة عربية ســـليمة مبســـطة، فحققت ما يمكن لكم جميعا أن تلمســـوه في بيوتكم وخلال محادثة قصيرة مع أطفالكم في جلسة صفاء عائلية. أنقذت "العولمة" ومنتجاتها وعاء ثقافيا كاللغة العربية وأوصـــلته بســـهولة للأجيال الجديدة، العولمة التي كانت رعبا ثقافيا وغولا سيلتهم كل الخصوصيات الثقافية والاجتماعية والحضارية لشعوب العالم ووجهت لها وقتها، كل التهم الشنيعة، وانشغلت المجامع اللغوية في تعريب تفاصيلها ومنتجاتها حتى كاد يتحول "فيس بوك" إلى "وجه الكتاب"، و"تويتر" إلى "المزقزق"، و"اللاب توب" إلى "المخبر القممي"، والـــــ"كيك" إلى "الراكل"، بعد أن تحول "البنكرياس" قبله إلى "المعثكلة"، والتلفزيون لـــ"مرناة"، والفاكس لـــ"ناسوخ".. أثبتت مســـلســـلات "كارتونية" بســـيطة فعاليتها بمواجهة كل مجمعات اللغة، عفوا هل قلت "كارتونية" سهوا؟.. أعتذر، لأنني قصدت "رسوم".

الجزيرة" و"عرفات".. العودة للدفاتر القديمة!

كتاجر مفلس عادت فضائية "الجزيرة" للتفتيش في دفاترها الفلسطينية القديمة بعد أن أطاحت الموجة الارتدادية لـ"الربيع العربي" بجمهورها ومصداقيتها، وقبل ذلك زبائنها وحلفائها السياسيين الذين أسهمت في وصولهم لمواقع عليا في بلدان أهمها مصر، فنفخت نفخ المستميت لصقل وتلميع صورتها التي تضررت كثيرا، وهكذا عادت لاستراتيجيتها القديمة للتنقيب في "الملف الفلسطيني" التاريخي عاملة على استكناه أسباب موت الرمز الكبير ياسر عرفات، مستفيدة من تقنيات وخطوات تحقيق استقصائي تلفزيوني أجري 2007 بعنوان "من قتل الكسندر ليتفينينكو"؟ حول اغتيال عميل لجهاز الاستخبارات الروسي انشق ولجأ إلى لندن بمادة البولونيوم المشعة، وهي النتيجة ذاتها التي توصل لها تحقيق "الجزيرة" حول مقتل ياسر عرفات، وتحاول جاهدة وبهمة توسيع صداه عبر التفاعل مع كل ما يصدر من تقارير أو بيانات دولية ومحلية مهتمة بالحدث. تحاول "الجزيرة" التذكير بأنها ما زالت فاعلة وتحظى بالمتابعة، وأنها وريثة عرفات دما وروحا وقضية، وهي التي حاربته وتبنت وجهات نظر خصومه وشحنتهم ضده ووفرت لهم المنابرالفضائية لالتقاط هفواته وشحن الناس عليه.

---

[171] - جريدة الوطن 9-12-2013

"الجزيرة" التي أسهمت باغتيال عرفات وطنيا وإنسانيا ونضاليا إذا كانت إسرائيل قد اغتالته جسديا؛ لا يختلف دورها عمن دس السم له وحاصره في "رام الله"، طبعا هناك من سيقول وما علاقة ذلك بالمهنية؟ والجواب ومتى تخلت "الجزيرة" عن أدوارها خارج المهنية؟ التوظيف السياسي والشحن وتبني برامج سياسية لعدة أطراف كانت دوما أمورا خارج المهنية، إن القراءة التحليلية لبث تقريرها حول وفاة عرفات في هذا الوقت يثبت أن "الجزيرة" كأفكار وتناولات عادت لمرحلة ما قبل الحادي عشر من سبتمبر 2001، حيث الشأن الفلسطيني ولا غيره.

شاخت القناة وترهلت بأفكار ورؤى وخطط "عزمي بشارة" ففقدت كل شيء تقريبا، ولم يبق منها سوى وثائقي استقصائي عله يكون "قبلة الحياة" لمناضل تاريخي حاربته طويلا ووفرت كل الوسائل لتشويهه والكذب عليه حيا وميتا!

سورية.. من الشاشة

من يتابع أخبار الأزمة السورية على الفضائيات ومختلف وسائل الإعلام سيصل إلى قناعة أن الشوارع تحولت إلى توابيت تعمل بنظام التأجير اللحظي، حتى الأخشاب احتجت، لأنها لم تعد قادرة على استيعاب القتلى، ربيع الديموقراطية وجنة الحرية تحولا إلى صفيح معدني سميك وساخن محرق، والأقدام المحمية بالبسطار الغليظ، واليدين المتوترتين الضاغطتين على الزناد لدى أي اشتباه أو ريبة؛ زادت غلظتها وارتجافتها وارتعابها الكوني.

تحول الليل إلى كابوس ثقيل، والنهار خوذة لا تحمي صاحبها من رصاصة رعناء يرسلها قناص عن بعد، سار النهر والبحر بالضغينة، تأثثت النفوس بالكراهية، وغاب الوعي، وانفصل العقل فسبح الجميع بالفوضى الدموية، منتصرون بلا نصر، ومهزومون دون هزيمة، معركة أطرافها الدم وحقائب السامسونايت ذات الطبيعة الدبلوماسية.

المقاومة صارت مقاومات، والثورة تشظت لثورات تعمل وفق جغرافيا ضيقة، صارت الكيانات بقالات سياسية أو طائفية، بلد كان بلدا، ووطن انزلق في

---

[172] - جريدة الوطن 2-12-2013

التقسيم والمشاريع الضيقة، وطن بلا قالب، سياسيوه بكرفتاتهم وعباءاتهم وعمائمهم يتشكلون في مواقف قابلة للطي والطرق والسحب بحسب القاعدة الفلزية.. مواطنوه مجرد أرقام على ثلاجات المستشفيات، وطن يغرق في المجهول ويركض بحماس إلى اللا معنى، ويدخل نفق التاريخ المظلم والطويل، وطن مستقبله المستحيل، وماضيه القسوة، وواقعه الدم، يمضي بحماس للتفتت وتنجح نخبه في اللا معنى، بينما تحرث أرضه بالجنازير وتفلح حقوله بالصواريخ، سماؤه أدخنة صفراء، يجوبه الموت وتمتحنه النار، بينما يتوزع أطفاله أرقاما في قيود النازحين بانتظار خيمة أو وجبة باردة، تزايد عليه الدول في مزاد السياسة الدولية، وتأخذه إلى أجنداتها المغلقة بانتظار صفقة ما، يحتل نشرات الأخبار كأخبار عاجلة بينما يركن ضمير العالم للصمت، وحكامه القساة يوزعون الموت مثل العروض الترويجية ويستجلبون كل قتلة العالم لأخذ دورات مجانية على أرض الواقع، ويشرعون مؤسساته ومقدراته لكل لصوص العالم بحثا عن قشة البقاء الموهومة وسط هذا البحر من الدمع والدم. وطن كان وطنا، وبلاد كانت بلادا، وعباد يبحثون عن "فيزا" لجوء لهذا العالم الذي باع إنسانيته من أجل حفنة كيماوي.

الكوميديا مواضيع
وليست تهريجا

بعض السعوديين يفهمون الكوميديا على أنها استهبال وشخصيات تعاني خللاً عقلياً وسلوكياً؛ مثل: مدرسة قديمة، تعتمد على وجود شخصية وسط أسرة بسيطة غالباً ما تسكن في حارة شعبية، يتورط خلالها الأب بسبب تصرفات ابنه فيحاول معالجتها، ومن هنا تبدأ المواضيع والحكاية التي تتحول مسلسلاً.

صيغة أولية متورطة بالكثير، رغم المخزون الهائل من روح السخرية والضحك لدى السعوديين.. الكويتيون رغم تاريخهم الطويل والأجيال متعددة المواهب في الكوميديا، إلا أنهم يبدون مرتبكين بلا سبب، تحولت الكوميديا عندهم إلى شيء مختلف لاتفهمه، صياح وحركات سريعة وأزياء مهترئة ومحيط من الخبل الجنوني، طاقة المواضيع والأفكار تحولت إلى البرامج التي غالباً ما تعتمد على فكرة التقيد والمحاكاة، مدرسة داوود حسين وساهر، منذ أكثر من ربع قرن

---

[173] - جريدة الوطن 25-11-2013

تحولت مع الوقت إلى صناعة كاملة وحركة إنتاج كبيرة، لكن نوعيتها تدنت بحكم استهلاك الموضوعات.

المصريون، وهم شعب الكوميديا ومنجمها الأكبر، تحولت روحهم الضاحكة الجميلة إلى أشياء أقرب إلى "الكاميرا الخفية" بلمسات جدية، لكنها في الغالب مفتعلة ومصنوعة.السوريون، كانت لهم "اللمسة الغوارية"، وروح دريد لحام المسيطرة التي لاتغيب، إلى أن جاء أيمن زيدان في يوميات مدير عام، فوجدنا لمسة كوميديا رشيقة فاتنة خفيفة الظل والظلال، فتحت المجال لأشياء أخرى، لكنها ـوللحقيقةـ كانت روحاً مفعمة بالابتسامات والبهجة وشيئاً مختلفاً عن ما كان سائداً، تفصيلات إضافية وحشد نجوم.

المشكلة الحقيقة لهذا الفن الساحر، ليست في الإمكانات ولا في المواهب، بل في المواضيع والأفكار، الكتابة هي العامل السحري والفني القادر على خلق النجاح، الصورة والممثل مكملان مع الإخراج، والزمن أيضاً شيء مهم وإن بدا غير ذلك.الكوميديا مثل اللياقة البدنية، تحتاج جهداً وشباباً وحيويةً وتجدداً..

أما أسوأ المدارس الكوميدية: فهي الكوميديا النقدية التي تحاول النصح والإرشاد والتوجيه.. أقول: إنها سيئة لأنها ليست فناً ولا كوميديا، هي درس ممل وتافه، يتذاكى على الناس ويدَّعي تنويرهم.

"المصور الصحفي"
بطلا وضحية وموضوعا

في فيلم city of god لفرناندو موراليس المنتج 2002 تكتشف سحر الكاميرا وهي تتحرك في الفضاءات المفتوحة بحرية، مستندة على رؤية إخراجية متطرفة، حيث الصخب والضجيج والجريمة المسيطرة على كل شيء في أحياء الصفيح والتهميش على أطراف مدينة ريودي جانيرو.. هناك يتجول الأطفال المشردون بمسدساتهم، وتفرض القوة واقعها الطاحن على البؤساء الذين حوصروا بين زوايا الفقر وغياب القانون، فتفرض العصابات شروطها الصعبة على كل شيء يتنفس، لكن وسط هذا الحقل المجنون من القتل والوشايات يقرر البطل الانتصار لهوايته الغريبة، وسط مجتمع لا يعرف سوى التصفية، فيبقى وفيا للكاميرا الفوتوجرافية التي اختارها رفيقا وصاحبا في أحياء يفخر فتيانها بالأسلحة والتمرد والبطالة.

هناك تتحرك الكاميرا الفريدة لتصنع عملا شديد الإتقان، حيث التفاصيل والدقة. وبقدر ما يتعاطف العمل مع المجرمين، باعتبارهم ضحايا، فإنه يدين السلطة ويوجه إليها الاتهام، باعتبارها مسؤولة مسؤولية تامة عن كل هذا

---

[174] - جريدة الوطن 18-11-2013

الجنـون والتـوحش البشـري الـذي يغذيـه فسـاد أجهزتها ورجالهـا، لكنـه في المقابـل – وكمـا هـي مهمـة الفـن الأساسـية – يضـيء جمـالات موحيـة بالأمـل والحيـاة تظهـر في العلاقـات الإنسـانية الـتي تعـبر الأحـداث، مثلمـا يكشـف أقصـى درجـات التـوحش البشـري، حيـث رغبـات الانتقـام العارمـة الـتي لا يقـف في وجهها شيء، والقادرة على تحويل البشر إلى مجرد أدوات صماء للقتل والفناء.

الفيلم يأخذ ثلاث سـاعات من الزمن، لكنه تحفة سـينمائية حقيقية.. مفاجئة لكل باحث عن زوايا دهشـة في هذا العالم الواسـع، مؤازرة بفهم عميق لمعنى الفن السـينمائي بإمكانات وتقنيات عادية، وبالتالي أنموذج حقيقي لسـينما المهمشـين –إن جازت التسـمية– وفق وعي وتجربة لا اشـتراطات سـوق.. ومن هنا فإن نفاد الفيلم والصـدى الذي تحقق لـه دليل على أن الإبداع دائما قادر على عبور الثقافات والجغرافيا.. في الأخير ينقل بطل الفيلم للعالم ما يحدث في مدينته الهائلة التفاصيل والقسوة عبر كاميرته الفوتوجرافية وسـط صـراعات ملحمية يندفع الجميع فيها للموت، لكن موهبة البطل وارتباطه بما يحب ينقذانه ويصنعان له قصة مختلفة تشبهه وتشبه مدينته.

وتحرر الإعلام
فأنتج الكلام نفسه

لا شيء تحقق، لا منجز يذكر، دخلت التفاصيل في التفاصيل وتشابكت الأجزاء والبرامج والقنوات، اختلط كل شيء، وساحت المسائل على بعضها، والذين ملؤوا الميادين والشوارع، وتلقفوا بأجسامهم الطلقات عادوا لحياتهم المحبطة وتولت الموضوع برمته أحزاب سياسية ذات انتهازية مصلحية.. استبدلت المشاريع العامة باستحواذات خاصة، وانشغلت باقتسام الغنائم المتكدسة، فيما تضاعفت المشاكل وانهارت المؤسسات وفاضت البلاد والعباد بالفوضى.. هذا هو الوضع الآن، أما ما قد يحدث مستقبلا فبيد الله، صحيح أن قيما هائلة انبعثت من أرواح المحبطين بالقدرة على التعبير، وخلق موقف مما يحدث، لكن النتائج لا تبشر ولا تشي بما يبهج.. صحيح أن الإعلام تحرر وانفجرت وسائله وصار الجميع يتحدثون، لكن دون حياد، وتحولت القوى الثورية الهائلة إلى مجرد محركات كلامية تدير نقاشا إعصاريا في مجتمعاتها، لكن الكلام لا ينتج سوى نفسه، فيما تكرس الأحزاب الاستحواذية التي صعدت إلى هرم السلطة كل يوم مواقعها، وتعزز مكتسباتها بعيدا عن الناس اعتمادا على آليات شديدة الديموقراطية، وتتحول إلى ما يشبه الدولة داخل الدولة، وتتصومع حول مصالحها بأنانية شديدة، وتبدأ في إقصاء منافسيها مشددة أحكاما قضائية في مسائل التعبير والحريات، فيما

---

[175] - جريدة الوطن 10- 11- 2013

تطفو على السطح طبقات سياسية جديدة هزيلة التأهيل غائمة التوجهات، تنفذ برامج محدودة.. هذا على الأقل ما يظهر حتى الآن.. هل نحن نصـــادر المســـتقبل والإعلام والمصداقية وفق ما يحدث اليوم؟ ربما، لكن ماذا حصدت المجتمعات؟ وما المتحقق للفرد فيها؟ هذا هو السؤال الأهم.

كل ما يتمناه كل محب لبلاد العرب هو الاستقرار والنماء والازدهار، وأن تجني الأجيال الحالية والقادمة نتائج إيجابية تدفعها نحو المستقبل الواعد، وهذه ـ حتى الآن ـ بعيدة عن التحقق للأسف الشديد ولا تلوح بوادرها قريبا، فيما الانقسامات والتشظيات والحروب الأهلية والتغولات والديكتاتوريات المدنية وانبعاث الإثنيات هو ما نحن موعودون معه بالعذاب.. ويبقى الإعلام ضحية من ضحايا ما يحدث.

أصعب الأشياء وأكثرها بساطة

توم وجيري، صاحبا أطول مطاردة في التاريخ، امتدت عقودا، وتابعها ملايين الأطفال عبر العالم، مستمتعين مشدودين إلى كل تلك الشقاوات والمقالب والصراع الذي لم ينته إلى نتيجة حاسمة.

قبل سنوات قليلة، رحل جوزيف باربيرا، مبتكر الشخصيتين، رحل صانع الفرح الطفولي البريء، بعد ان أبهج وأمتع وترك إرثا ممتدا، رسخ في ذاكرة أجيال لطالما ضحكت وهي ترقب تقلب الحال والمواقف.

استخدم باربيرا هذا الفن الصعب الذي يحتاج خيالا واسعا، وقبل ذلك روحا لم تغادر الطفولة، فـــ"الكارتون" أصعب الفنون وأكثرها بساطة.. ابتكر هذا الفن الجميل والت ديزني، مستلهما الفكرة من قصص "الكارتون" المصورة المطبوعة التي شاعت مع بداية القرن العشرين، تناسلت الشخصيات بفضل عبقرية ديزني، لكن البداية كانت مع ميكي ماوس، الفأر الذكي الخارق القدرات، الذي أثر في باربيرا كثيرا، فقرر أن يعيده إلى طبيعته المسالمة، بعد أن حدد له خصما وحيدا هو القط توماس، واليوم تتحول صناعة أفلام "الكارتون" إلى "ماكينة" هائلة تدر ملايين الدولارات سنويا، بعد أن

[176] - جريدة الوطن 8-11-2013

اكتشفت هوليوود ــ وتحديدا منذ فيلم "من ورط الأرنب روجر" 1990 الذي مُزج فيه فن الكارتون بالسـينما ـــ جمهورا هائلا من الأطفال، فانتبهت للفكرة وكررتها، لكن بصيغة كارتونية خالصة في فيلم "الأسد الملك" الذي أنتج 1993 فكان الفيلم حدث ذلك العام المميز.. وجد الأطفال حينها ما يستدعي ذهابهم إلى السينما والفرجة، فنجحت التجربة نجاحا مذهلا، ثم انفرطت السبحة بعشرات الأعمال، وراح منقبوها يعودون إلى كل التراث الطفولي للإفادة منه، فالمسألة أصبحت "بيزنسا" خالصا مردوده ملايين، لكن شركة "مترو جولدين ماير" و"الإخوة وارنر"، لم يجربوا إنتاج عملهم الطفولي الأكثر تميزا، وأقصد "توم وجيري" وتحويله إلى سلسلة سينمائية على خطى "والت ديزني"؛ لأن أطفال العالم ما زالوا يمتلئون بهجة وهم يرون الأسد يزأر معلنا حلقة جديدة من هذة المطاردة التي لا تنتهي، حتى لو تراجعت بفعل التقنية وكثرة الأعمال؛ وذلك لأن روح الطفولة وثابة نحو الفرح والشقاوة البريئة.

دائرة تناقض

تشعر أحيانا بأن ثمة موقفا مربكا من مسألة التراث الشفهي الشعبي شعرا وحكايات وتفاصيل، موقف غير مفهوم، مزدوج وغائم، فكمية الاتهامات ضده مكررة وبنفس الشعارات والحملات وإن تغير الزمن وتبدلت الوسائل.

فحين بدأ المهتمون بالتراث الشعبي بعد منتصف القرن الفائت جمعه شعرا وقصائد وسيرا في كتب، كان الاتهام الأول الذي لاح بالأفق الضيق أن هذا الدور الثقافي يحرض على العنصرية ويحض على القبلية ويسبب الحزازات الاجتماعية ويكرس الجهويات، خصوصا وأن المنطقة سياسيا بعد الحرب العالمية الثانية بدأت في الدخول إلى نمط الدولة التي أدت إلى انحسار القوى العسكرية الاستعمارية، وحين بدأت البرامج الإذاعية التراثية في الإذاعات الخليجية بداية الستينيات مع بداية تشكل المؤسسات والدوائر الرسمية ومنها الأجهزة الإعلامية التي كانت تحرص على إيراد القصص والقصائد واستضافة الرواة والشعراء؛ شخصت الاتهامات بالعنصرية والمناطقية والقبلية مرة أخرى، وحين بدأ التلفزيون الرسمي في دول الخليج بداية السبعينيات الميلادية بث بعض البرامج الشعبية والمسلسلات البدوية عاد نفس الاتهام لينهض من جديد مثل جناية. ولما جاءت الصفحات الشعرية الشعبية في الصحف بداية الثمانينات كانت أولى الاتهامات وأقساها أنها تروج لثقافة متخلفة وقديمة تجاوزتها الدولة العصرية، ولما تحولت هذه

---

[177] - جريدة الوطن 2014-10-27

الصفحات إلى مجلات شعبية في التسعينيات ردد البعض ذات التهمة وربطها بنزعات قبلية وعنصرية، وكذلك انسحب الأمر على القنوات الفضائية ذات الطرح الشعبي. الغريب أن كل أمم الأرض وشعوب العالم تنظر بإجلال وقدسية لتراثها وموروثها وتحمية وتحافظ عليه وتنشئ له المطبوعات ومؤسسات الدراسات البحثية والفلكلورية، في حين أننا لا نجيد سوى اتهامه ومحاولة تحطيمه وحشوه بالسيئ والعنصري والقبلي والضيق من الرؤى.

إننا نتهم أنفسنا ونتهم تاريخنا وسلوكنا وممارستنا، فالذي لا ينظر إلى موروثه باحترام لا يمكنه أن ينظر إلى نفسه، والذين يجيدون توجيه الاتهامات يعجزون عن إيراد الدلائل، كأننا أمام "كليشه".. أزمة هوية عميقة وتناقضات.. أعتقد أنه كان من المفترض حسم أسئلتها منذ زمن.

عندما اكتشفت البشرية نفسها

تتحقب الأزمنة وتطوف الأعوام، مر القرن العشـــرون كأســـرع القرون على البشـــرية.. حدثت أمور هائلة وتغييرات عميقة فظيعة التفاصـــيل وهائلة النتائج، ومن جملة عقود ذاك القرن كانت الســـتينات الميلادية شـــيئا لافتا وحريا بالمتابعة، صـــحيح أن أواخره شهدت قفزات تكنولوجية وعلمية مميزة لكن تبقى للستينات نكهتها وطبيعتها الفاصلة كعقد مفصلي نقل مجتمعات العالم، ومثل خطا زمنيا حقيقيا ما بين عصرنتها وتخلفها.

أتـت الســتينات بثمـار كثيرة حضـارية وإنسـانية، وكأنمـا اسـتفاقت الإنسـانية مـن سـباتها وبـدأت للتـو في الـركض باتجـاه الحيـاة سـواء بسـواء مجتمعـات وأفـرادا، مـن هنـاك بـدأت فكـرة التواصـل الكـوني الهائـل الـذي أتاحتـه التكنولوجيـا ممـا أتاح عبـــور الأفكـــار والتقليعـــات والشـــطحات إلى جميـــع ســـكان الأرض في وقـــت متقـارب، جـاءت السـتينات بالنزعـات الفرديـة العاليـة والصـخب والثـورة والجمـال الـذي يخلـع القلـب والعقـل، حيـث "البيتلـز" و"جيفـارا" و"فيتنـام" و"كنيـدي" وسـينما الحشـود وغـزو الفضـاء، الموضـات بقصـات الشـعر القصـيرة، الـذين عاشـوا شـبابهم في الســتينات قـالوا إنهـا سـنوات مختلفـة تخلصـت فيهـا أوروبـا مـن أثار

[178] - جريدة الوطن 20-10-2014

الحرب الكونية وصعدت أميركا إلى الفضاء والعالم العربي يمور بالمتغيرات والشباب الوطني يفور حماسا ورغبة في الاستقلال. إنها الستينات "مارلين مونرو" و"بريجيت باردو" و"صوفيا لورين" و"جينا لولو بريجيدا"، "ألفيس" و"محمد علي كلاي"، أنور وجدي ومريم فخرالدين وكمال الشناوي وفؤاد المهندس، فاتن حمامة وهند رستم، إسماعيل ياسين والنابلسي عبدالسلام وقبلهم عبد الحليم وفريد ورشدي وكارم، "سارتر" و"ألن ديلون"، التلفزيون والعطاءات الفكرية الاستثنائية المتدفقة في كل المجالات، حيث بيروت مختلفة، والقاهرة عاصمة الفكر والدنيا يفد إليها الشباب من كل البلاد عربا وأفارقة طلبة وثوارا وسياسيين مبدعين، بينما تصدر المعلمون والمهندسون والأفكار والكتب.

ميز عقد الستينات القرن العشرين وصنع أهم سياسيه، كأنما اكتشفت البشرية فجأة نفسها، تدفق النفط مغذيا المصانع والطائرات والمدن العملاقة، ربطت أطراف الكرة الأرضية ببعض، شاع الاستقرار الكوني بفضل الحرب الباردة وتوازن القوى، أخذ الصراع طابعا ناعما بأدوات ثقافية، توفرت المعرفة بصيغ شعبية ورخيصة، أتاح الترانزستور تملك الراديو فطاف البسطاء العالم بأسماعهم واشتعل خيالهم بالحكايا والأمنيات البعيدة.

إنها الستينات حيث الألحان المشاغبة والقصائد المتمردة، فيروز والرحابنة، الإطلالات الشقية لشادية ومحمد فوزي ومحاولات يوسف شاهين الشابة قبل أن يتحول لكائن ممل وكئيب، فتنة الستينات المبهرة التي كلما شاهدتها مشهدا سينمائيا أو فيلما وثائقيا أو أغنية تدور في أسطوانة امتلأت بحبها، كان الشعراء والروائيون والموسيقيون والكتاب

أكثر عمقا وشغبا لمخالفة السائد والمطروق والمتداول، كانت اللهفة أعظم لما هو غريب، والمعرفة خيارا أصيلا من خيارات الحياة، الحياة التي بدأ الناس يكتشفون تفاصيل أكثر متعة عنها وانخلعوا للتو من شظفهم.

"سؤال الشعبي"

وهو سؤال يثير كل من يتابع شعر "المحكية" في الخليج بحسب التوصيفات النقدية الشامية، إذ إن سنوات الطفرة الشعرية التي بدأت من التسعينيات الميلادية، وغيرت في مفاهيم كالنجومية والتسويق، امتدت تأثيراتها للإعلام وظهرت أنماط صحفية جديدة معتمدة على الخصوصية المجتمعية البحتة، وعلى نجوم ذوي صبغة محلية خالصة.

وقادت تلك الموجة أيضا لإعادة النظر في مسائل أخرى، فأثرت على شكل الأغنية العربية إلى حد ما كما دفعت بالموسيقى الخليجية إلى واجهة الحدث، وأنتج ذلك رواجاً هائلاً.الأمر ذاته انطبق على شكل الإعلام المرئي الذي تغير بنسبة كبيرة. فتلك الموجة قادت لعملية تغيير في سياقات وشروط النجومية، معتمدة على زخمها والأعداد الهائلة من الجمهور التي تحمست لتكتب وتنشر مما خلق قوة دفع هائلة تفاجأ بها راصدو سسيولوجية المجتمعات الخليجية.

كما أن بساطة شروط الكتابة الشعرية الشعبية خلقت بريقاً لهث خلفه الكثيرون دونما تكلفة، إذ يكفي إرسال قصيدتك عبر البريد لتحصد نتائجها شهرة وحضورا.

---

[179] - جريدة الوطن 2014-10-12

أما ما يمكن أن نعده ركودا آنيا ـــ كما قد يتصور البعض الآن ـــ فلأن هذه المجاميع انسحبت لوسائل نشر أخرى أكثر جماهيرية وأسرع صدى، فالصحف لم تعد قادرة على استيعاب كل هذا الكم الهائل من النتاجات، فلجأت تلك الجموع لوسائل التواصل والفضائيات، إلا أن الزخم ما زال مستمراً وسيظل لزمن طويل، وإن تفرقت المسارب بالغاوين، وكذلك الشعراء.

شيد الهزيمة في بلدان الربيع

اعتصم في ميدان روحك. احتشد في ساحاتك. اصرخ في الزوايا والممرات. يا حكومة عمري، ارفضيني كعصيان مدني، واقبليني كانتخابات مبكرة. أنا شبيح قلبك، ومندس أيامك. فلول ذكرياتك. رهين فوضاك الخلاقة المخلوقة. تبلطجي وفضي واعتقلي وحرضي وفبركي وروجي ودسي وأشيعي. ارميني قناصا فوق بنايات تفاصيلك المدهشة. أرقب زواياك. أطلقيني كقنبلة دخانية. حاكمي عينيك في لاهاي وأقرئيني خبرا عاجلا أومض في مخيلتك. أتنحى وأتنازل وأفر وأستسلم لطغيان ثورتك المنفلتة.

لأعلامها المزركشة وأناشيدها الحماسية. لشعاراتك المخطوطة على جدران الحياة. أنت مظاهرتي الحاشدة، وهتافي الصادح وتنظيمي السري. أنت تلال التوقع وحبر التحليلات وثرثرة الاختصاصين والنشرات الحصرية. جيشيني وعسكريني. بثيني على "يوتيوب" واكتبيني بـــ"فيس بوك". خطيني دستورا واقترعي لي وعلي ومني وفي. اطرحيني مشروعا إصلاحيا. خارطة طريق. تسوية. أي شيء من أجل أي شيء.

---

[180] - جريدة الوطن 2014-9-29

أسقطيني كنظام مهووس. حاصريني. قسميني. فككي نواياي مثل دولة أمنية، واجمعيها كمؤتمر وطني. هجري وشـردي واقصـفي وطوقي وارجمي واقطعي وصـلي قراي ومدني. خطوط إمدادي تحت سـطوة حممك، وجسـارة اجتياحاتك، وحيدا ومعزولا بلا ضـمير دولي ولامنظمات إنسانية، تعبرني طائرات الــUN والــNATO فلا تلقي علي بمنشـــوراتها، ولا أطعمتها المجففة. أعزل إلا من جراح. وحيدا إلإ من أنين. تفصـــيلا وتنظيما. مؤتمرا ووسطاء. ضحية وقتيلا بكل كيماوياتك ونووياتك التي لا تبقي ولا تذر حجرا، ولا شجرا، ولا أرضا ولا سماء ولا بحرا.

قصة البناء

مناسـبة مهمة كاليوم الوطني تجعلنا نعيد اكتشـاف ذواتنا. تحيلنا للثوابت الأسـاسـية في قصـة الكفاح الطويلة، تذكرنا بمنجزات الإنسـان على هذه البقعة من العالم، وكيف غير الواقع وأنجز الصعب.

إن معجـزة البنـاء السـعودية، تسـتحق أن تُقـرأ بتقـدير كبـير، مؤسسـا وأحـداثا وتفاصـيل وسـيرة، وتنتقـل كاملـة عبرالتـاريخ لـتروي كيـف كـان التحـدي وكيـف كانت الهمة والأمل، من هنا وحتى آخر الدنيا، حتى حافة الحياة.

أيها الوطن العظيم وأنت أبهى وأشـــهى وأعز وأقدر وأكثر اســـتقراراً، متلاحماً مترابطاً يذوب فيك الكل قادة عظاما وشـعبا نبيل، أغنى وأعلى وأهنأ وأدل، صـحراء وسماء، سـهلا وجبل، بحرا وبرا، من أقصى جنوبك وحتى أبعد شمالك، يحيطك القلب وتحتويك الروح.. تتغنى بك الأجيال، معجزة في البناء والنماء منذ التأسـيس على يد المؤســس العظيم الذي وحّد الجميع وأذاب الفوارق بين الناس، وتبعه أبناؤه فســاروا على ذات الطريق والمنهج، فتحققت قصـة الصـحراء المذهلة الهائلة التي تحولت إلى سـيرة ومسـيرة وســفر في اجتراح المســتحيل في يومِك. حماك الله أيها الوطن الرائع، وعزز وحدتك، ورســخ المبادئ العظيمة التي نهضـــت عليها، أقوى وأشمخ وأثبت وأهم وأجلّ، نافذاً

[181] - جريدة الوطن 23-9-2014

ومستديماً بالرخاء، مظلة للعرب وسنداً للإسلام والمسلمين، يلوذ بك الخائف فيأمن مقصداً وموئلاً وواحة للخير مؤزراً منصوراً، يقودك الملك العادل والقلب الكبير عبدالله بن عبدالعزيز إلى موانئ السعة وشواطئ الاستقرار، ينجزك وعداً ويجسد تحدّياتك حقيقة، وفي كل يوم من أيامك الزاهية المديدة، شمسا للخير وسماء للعطاء، ثابت المواقف، صلب المبادئ، في كل القضايا وعلى كل المنابر، تغيث الملهوف وتأخذ على يد الظالم، تعين الأخ وتنتصر للمظلوم، في يومك الوطني وحتى آخر الحياة شعبك وقادتك، رجالك ونساؤك، نجدك وعسيرك، حمادك وحجازك، خليجك من خير وإلى خير، من عز حتى عز، من مجد في مجد، أقوى وأبهى، أدهى وأعلى، أغنى وأسمى، أعدل وأحب، أثبت وأرسخ، أقرب لكل خير، أبعد عن كل شر، متسعاً شاهقاً متسامياً، حاوياً محباً، قادة وأناساً، مسؤولين ومواطنين، تقتفي خطاك الدنيا وتستتبعك الأمم، أثيراً كثيراً وثيراً تحفك الدعوات وترعاك يد الله، في يومك الوطني وحتى آخر الحياة فياضاً بالمحبة والألفة، فضاؤك وأرضك أجمل، أناسك وشعبك أسعد، قدرك السيادة واقعك التقدم، متحدا قادرا، تجتاز المحن وتعبر التحديات، أرسخ وأثبت وأغنى وأعز، قائدا وشعبا ومقدسات، ترابا وماء وهواء.

في مديح النفط

أدام الله بقاء النفط، وزاد من تدفقه بالقدر الذي يحفظ سعره معقولا بين العرض والطلب في الأسواق العالمية.

حين أسمع قصصا حول حياة ما قبل النفط أشعر بحالة هجينة الشعور بين الألم والرعب، الألم لحال أهلنا وشقائهم الأسطوري إن بحرا أو برا أو سهلا أو جبلا، والرعب من أن يلاقي أبناؤنا وأحفادنا مصير أسلافهم، بعد أن يجد العالم بديلا لوقودنا الأحفوري الرخيص والسهل، إما بآخر عضوي أو صخري أو شمسي أو قمري، وللنفط حق ودين في رقبة كل أبناء جيلي نحن الذين ولدنا في مرحلة "حوار الربيع" حين كان "النفط" "واهب الدر والمحار صدقا"، في عصره الأسطوري خلال السبعينيات الميلادية فتمتعنا من "هباته الكثار"، والنفط وسام فخر حضاري واجتماعي في المجتمعات الخليجية ويجب معاملته هكذا، تماما كما ينظر المصريون لنهر النيل واليابانيون للترانسستور، والهنود للذهب صانعا للحياة مانحا للنماء والازدهار لا مصدر عار كما أشاعت التوصيفات اليسارية التي شوهت علاقتنا به وسيجته بحالة نكران غريبة، "البترودولار"، "الإمبريالية"، وشتائم أخرى، تراجعت وذوت، لا لتفكك الاتحاد السوفيتي وانهيار المنظومة الشيوعية، بل لأن الدول العربية جميعها تقريبا أصبحت

---

[182] - جريدة الوطن 2014-9-15

مصدرة للنفط بمستويات متباينة. في حين ـ وللمفارقة ـ أن أكبر مصدر للنفط في العالم هو روسيا، النفط عصا موسى السحرية التي حولت الصحارى إلى واحات عصرية تدب بالحياة والفرص، خاتم سليمان الذي شق الجبال وعبد الطرق، مصباح علاءالدين الذي طار بنا في عوالم خيالية بانيا الإنسان والمؤسسات والحجر والشجر، بساط الريح الحياتي وألف ليلة وليلة التنموية التي ربطتنا بالدنيا وربطت الدنيا بنا بعد قرون ضوئية من العزلة الصحراوية والإنسانية والحضارية الهائلة، النفط أهم مكتسباتنا وميزتنا وذخيرتنا للمستقبل ووديعة العالم الاقتصادية التي ائتمننا عليها فحق لنا الفخر بها وبكل منجزاتها وإنجازاتنا بها.

إن الخجل الذي طوق المثقف الخليجي يجب أن يتحول، أنجزنا بالنفط الكثير وسننجز الأكثر حكومات ومجتمعات وأفرادا، لا أتذكر حالة فصام كالتي عاشها المثقف الخليجي وهو يخجل من علاقته بهذه الثروة الوطنية, أفهم أن هذا الموقف كان شرطا للقبول في النوافذ الثقافية العربية التي سيطر عليها مزاج ثوري قومي في السبعينيات والثمانينيات، لكن هذا كان "زمانا وجبر" تحولت النوافذ والمنابر الخليجية الثقافية والإعلامية إلى صانعة نجوم بشروطها المختلفة كليا، لكن في الغالب بقيت حالة النكران للنفط قائمة، أنجزت الأفكار والعقليات الوطنية في الخليج ما لم تنجزه مجتمعات وشعوب أخرى، البشر هم الذين طوعوا النفط وصاغوه بالصيغ التنموية التي نشاهدها اليوم، النفط لم يعد تهمة ولا عار، النفط هبة إلهية ككل الهبات نشكر ونحمد رب العالمين على أن أفاء بها علينا

الثقافة كمشروع مواجهة

لن تحاصر الأفكار المتطرفة إلا بالكشف والنقاش والمواجهة. موجات العنف والتطرف والتكفير التي تتوالى وتتناسل في المنطقة منتجة بين فترة وأخرى أنماطا فكرية وسلوكية تزيد عما سبقها بشاعة وتفوقها غرابة، وهي لا تقلق من شيء قدر قلقها من الثقافة والتنوير وإشاعة المعرفة، ليس المقصود هنا قصور الوسائل وحصرية المصادر المعرفية، ولكن وجود مشروع ثقافي شامل تتبناه جهات قادرة على تنفيذه ومراكمته يمكن أن يختصر الكثير ويكفي عناء الدمع والدم المهدور. فالتطرف والتوحش أفكار قبل أن تكون مواقف، ولكي تفكك موقفا يجب تفكيك فكرته المؤسسة قبلا، فالعلاجات الجزئية والمرحلية تجيء عادة بنتائج جزئية ومرحلية في الغالب؛ لكن بناء استراتيجية ثقافية شاملة تجعل المواجهة أنجع وأعمق وأكثر شمولية.

لا أقصد هنا توزيع فعاليات عبر منبر أو معرض أو نادٍ، محاضرة، أو ندوة، لكن فكرة أن تتحول الثقافة لتصدر مشهد المواجهة مع استمرار فاعلية الأجهزة الأخرى بتخصصاتها. ولمواجهة الأخطار الكبيرة فإن الدول تلجأ لبناء تحالفات واسعة حتى تتمكن من تحقيق أهدافها بعزم وقوة، ولذلك فإن تحالفات ثقافية عريضة يجب بناؤها

---

[183] - جريدة الوطن 2014-9-7

قبل التحالفات السياسية والعسكرية، جربنا من قبل أن يترك العالم المنطقة تواجه غيلان التطرف والإرهاب وحيدة وعزلاء، العالم الذي لا يعرف إلا مصالحه تركنا سنوات، وها هو يفعل ذلك الآن، وسيفعل ذلك مستقبلا ما لم تمس مصالحه، تركت المنطقة تواجه مصيرها بيأس حتى فاضت البشاعات وانفلت جن التاريخ.

إن بناء تحالف ثقافي داخلي واسع عبر مؤسسات وأجهزة محلية داخلية مطلب ضروري وملح لإعادة صياغة الأفكار الأساسية للمواجهة مع قوى التطرف، ومن ثم تقييم المراحل بعد تنفيذها، خطة عمل وطنية كهذه تكون الصحافة والإعلام والوزارات ومؤسسات المجتمع الأخرى فاعلة بها كفيلة بإعطاء نتائج جيدة تكون ظهيرا وسندا لأداء وزارة الداخلية المنخرطة بكافة طواقمها في المواجهة الأمنية، وهذا ما تكشف عنه بين فترة وأخرى حملات الداخلية وبياناتها، بغية تحالف وطني ثقافي عريض لمواجهة التطرف والإرهاب حتى يمكن حماية مجتمعنا وأمنه واستقراره ودعم جهود وزارة الداخلية نحو مزيد من النجاحات، وكذلك استثمار فاعلية وحيوية أجهزة ومؤسسات وطاقات فردية وجماعية في مشروع مكافحة التطرف وحصار أفكاره المميتة التي تتناسل وتتكيف وتستغل كل الظروف السياسية الإقليمية في المنطقة التي ربما لن تعرف الاستقرار في المنظور القريب، وهذا ما يستدعي ويلح في الفكرة دافعا باتجاهها، الفكرة التي تبدأ عادة بدعوة عامة شاملة لوضع الأفكار ومن ثم رسم خارطة طريق للتنفيذ مع التقييم المرحلي المستمر.

كتابة ما بعد التوحش

تنتج المأساة آدابها المختلفة، تتشرب الكتابة صورها المؤلمة وحكاياتها التي لا تموت، وفي كل مجتمع عبرته الحرب تركت بصمتها التي تناقلتها الأجيال "سيفونير" للألم وللعظة.

منذ سنوات والحرب تطحن المنطقة بجنون، أمسياتنا غشتها القنابل والبيانات المتلاحقة، أيبستنا قسوة القصص عن التعاطف مع مزيد منها، طشنا في الأخبار وغرقنا في التحليلات، لم نعد نحفل بالضحايا ولا أعدادهم ولا أسباب موتهم، نتناقل مقاطع جز الرؤوس وحز الرقاب باعتياد حجري. هل يحق لي هنا أن أبحث عن انعكاسات ذلك وأسأل بتخمة عما يمكن إنتاجه أو أنتج كتابة شعرا ورواية في ظل هذا الجنون؟ هل السؤال أصلا قابل للطرح؟ هل الكتابة كما سواها تعيش وضعا خانقا بعد أن سقطت أوهام العيش المشترك وذوت الدول والمؤسسات وأصبحت المجتمعات شظايا جغرافية وديموغرافية وكانتونات حزبية وطائفية مغلقة؟ ما الذي يمكن أن تنجزه الكتابة؟ وهل هي قادرة على نقل المأساة كاملة بكل التفاصيل؟

إن موجة التوحش التي أخرجت إنسان هذه المنطقة من مجاله البشري لتعيده إلى غرائزيته الأولى ستحتاج وقتا للاستيعاب ربما، مراحل أقل تأثيرا في تاريخ

---

[184] - جريدة الوطن 2014-9-1

الإنسانية تركت علامتها الفارقة على الآداب.. السبعينات العسكرية في أميركا اللاتينية. الحرب الأهلية الإسبانية نهاية الثلاثينيات. فرنسا بمزاجها الطلابي 1968، أوروبا الشرقية بعد سقوط الشيوعية، والشرق الأوسط المتخبط في اختبارات الحديد والنار والدم التي لم تتوقف بل ازداد نهمها لمزيد من الضحايا مع كل جولة عنف جديدة وراية طائفية تعلو.. منذ سنوات والشرق يغلي بالأحقاد والرؤوس المتدحرجة والجثث التي بلا هوية تحت مبررات مقدسة، ورغم هذا تنزوي الكتابة متوارية بلا عذر، فلا أحد يريد أن يصنف، أو يحسب على جهة ما، يصمت الجميع بينما تتقدم الفجيعة وتلتهم كل يوم من أرواحنا وخيالنا وأوطاننا وشعوبنا ضحايا، بينما الكتابة هي المهمة الأولى لإنهاء ذلك كله، إلا الكتابة ولا غيرها.

المثقف الطائفي

السياقات الطائفية تتصاعد ملتهبة.. المثقفون يبدون أقصر يدا وأقل حيلة وأضعف حلقة في دوائر الموت والنار هذه، كل ما يطرحونه عبارة عن توصيفات وتنظيرات ميتة حول التعايش والقبول والهويات المتعددة والموزاييك الاجتماعي السياسي والإثني، والإدانات الشكلية التي يحاولون إبرازها مجرد "برقع أخلاقي" والغنائيات الوطنية المدرسية العالية الصوت، شيء لرفع العتب وتجاوز الحرج العام فيما يبدو.

لا يحتاج الفهم الوطني والإيمان به إلى مشروع ليطرح، فكرة التشظيات والحروب الأهلية الصامتة والمشتعلة التي تعصف بالمنطقة تلزم على الجميع -والمثقفون في طليعتهم- موقفا واضحا جليا، هكذا يعلمنا التاريخ، الناس والأوطان هم من سيدفعون جنايات الطائفية وأثمانها الشوكية المرة، تركض المنطقة بحماس إلى الاحتراب والاقتتال والتشظي، ينخرط الجميع في المعركة الموعودة التي لن يحسمها أحد لأنها لو كانت ستحسم بهذه الطريقة لحسمت منذ قرون، تتجدد الأوهام وترتفع الرايات في حفلة العدم التي يوظفها السياسي ليدفع ثمنها الناس وتكون مهمة المثقف تبرير أسبابها وإكسابها عباءات منطقية، تصاغرت أحلام المثقف العربي من رؤيته القومية الشاملة المتحررة المنطلقة من واسع الحلم الإنساني بالحرية والمعرفة والانفتاح الكوني نحو العروبة كأفق هائل في بدايات

---

[185] - جريدة الوطن 2-8-2014

القرن ليتضاءل نحو التخلص من الاستعمار وفكرة الدولة القطرية الحرة المستقلة بعد الحرب العالمية الثانية، ثم لتنكمش أحلامه حتى اختصرها بالتخلص من الأنظمة الدكتاتورية ما بعد حرب الخليج 1991 ليأتي "الربيع العربي" 2011 ليتناقص الحلم بالانعتاق من مجرد دكتاتوريات الأحزاب واليوم في ظل فوضى الحواس وانفلات المبدئية يتموضع المثقف في خنادق الطائفة والهوية ليصبح التحرر من هيمنتها أمنية بعيدة.

صار المثقف مبررا للمجازر والتطهير العرقي، مشدودا إلى أصولياته وجذوره المؤسسة، موهوما بالجماهير الإلكترونية والتلفزيونية، مسننا في ماكينة الغيبيات ومحركات الوهم البعيد، أما من صمت مختارا تبريرات المراقبة والتأمل وفرز المواقف فأكمل مشاركته بهذا الجنون، أزمة أخلاق حقيقية وامتحانات قيمية نفشل بها جميعا وننكشف بوجوهنا الطائفية التي لطالما حاولنا إخفاءها دهرا.

المهمة الناقصة أبدا

كانت الروابط والهيئات والاتحادات للكُتاب والمثقفين ذات الطبيعة النقابية التجمعاتية فكرة اشتراكية محضة، اشتعلت مع الثورة الصناعية التي شهدت حضورا مؤثرا للحركات النقابية العمالية الأوروبية.

جذبت الفكرة البراقة الشيوعيين لتوظيف الدعائية الثقافية لصالح مشروعهم السياسي الفكري، حرصوا على إنشاء مثل هذه الروابط والهيئات والاتحادات في الأماكن والمدن والقرى؛ بهدف ضبط الأفكار والسيطرة على أي محاولة للتفكير والكتابة خارج الصندوق الأحمر الحديدي، لذا تحولت الهيئات والروابط واتحادات الكُتاب إلى مهمة ميكانيكية لا تتحمس للكتابة والثقافة إلا فيما يختص بالجانب الرقابي الضبطي الذي يرعب الكاتب بموهبة حقيقية والمثقف الحر.

حرصت الجمهوريات العربية الناشئة بعد الحرب العالمية الثانية بصيغتها الاشتراكية العسكرية، على استيراد الفكرة وتوظيفها والاستفادة منها لتكريم الأصدقاء وإقصاء الأعداء، مثلا اتحاد كُتاب آسيا وأفريقيا في الستينات بمظلته المصرية، واتحاد الكُتاب العرب بصيغته السورية "العرسانية"، وهكذا مع الزمن تراجعت أهمية مثل تلك الروابط والهيئات والاتحادات المشوهة للثقافة كفعل إنساني حر لصالح الفردانية الشديدة، لذا ومع كل تاريخها السيئ، فإنه مازال هناك من يرى أهمية ما في مثل الهيئات والمؤسسات

---

[186] - جريدة الوطن 2014-8-18

المتهالكة فكرة وتأثيرا، وهذا الأمر يمكن سحبه على كثير من المؤسسات المحلية، التي تتوزع في جميع الاتجاهات باختلاف اهتماماتها، لم يعد من المجدي هذه الحالة التعميمية للثقافة والكتابة، لم يعد الأمر يستحق كل هذا العناء، ذابت العناوين الكبيرة وتراجعت أدوارها مع الزمن، اضمحلت المعارك الفكرية، وأصبحت لدينا أدوات أخرى تمكننا من تقديم أنفسنا بشكل أفضل وأكثر حضارية.

لم يعد هناك ما يخيف، أصبحنا أكثر قوة وثقة، كل الكلام عن أهمية وجود روابط أو اتحادات أو هيئات، هو محاولة لإحياء ما ثبت موته، ومشاريع النوايا الطيبة التي تتمحور حول إيجاد صيغ تدعم المثقفين والكتاب إنسانيا ومعاشيا، هي مجرد نوايا لن تضيف شيئا، ولن تنجز أمرا حتى لو توافرت الجهود المتحمسة، إلا إذا كانت هناك مظلة واسعة تراهن على فكرة الصناعة الثقافية، التي تنظر لكل الأشياء بصيغتها الأشمل، ويكون الكاتب والمثقف فيها ركنان أساسيان لا مجرد ديكور عابر.

تشاطب الأقليات

تنبعث من هذه المنطقة كل شياطين التاريخ، وتستورد من ماضيها صفحات الثأر المنسية وقصص الانتقام. كل طائفة وقومية أقلية أو أكثرية تغوص عائدة إلى جذورها مستنفرة حلفاءها الأقدمين وروابطها الجغرافية والديموجرافية والدينية. كل فرضيات التعايش وترويج الدعة وقصص التآخي والعيش المشترك أفضت إلى العدم، تستعيد تفاصيل معارك الهوية ومنازلات الشطب المريرة، كل التراكم الحضاري القيمي والإنساني يصارع في حفلة الجنون السياسي المتصلة منذ أعوام بيأس.

لا عقل قادر على فرز ما يحدث. لا ضمير يكابد لوقف هذا الدم الفياض على حواف السيوف وفوهات البنادق. الغريزيات العرقية والطائفية تنفجر في الفضاء الإلكتروني الافتراضي وعلى شاشات التلفزيون. تذوب حدود الدولة القطرية لصالح شظايا وكانتونات تتغير يوميا بحسب تغير المصالح والتوجهات وامتداد الميليشيات على شرق المتوسط الذي صدر للعالم عبر تاريخه الطويل كتالوجات الألم وقواميس القسوة.

ض2

شرق المتوسط الموعود بالصراع، المجلل بأوهام القوة وخدر الاستقرار، فيه يركض الجميع نحو الفوضى بدأب وحماس ليشتعل البحر والسهل بالضغينة، وتشيع الكراهية كشمس صيفية.

---

[187] - جريدة الوطن 10-8-2014

في فوضـــى الحواس وجنون العرقيات الجميع يشـــطب الجميع، الكل يلغي الكل، فيما التصـفية والإقصـاء يمارسـان نشـاطهما بحماس في هذا الليل الطويل الذي لا يبدو أنه سينجلي قريبا، تستعاد الحرب كل مرة وكأنها قدر أبدي لا خيارا معتوها لساسة، يدفع ثمنها المساكين، ويجني ثمارها العلقمية الانتهازيون.

في حروب شـرق المتوسـط وتصـفياتها المسـتمرة منذ فجر الخليقة يتكرر المشـهد دون أن يشـــعر أحد بوخز الضـــمير، دون أن تكون هناك نتيجة حاسمة في خزان الاثنيات والبارود. يمضـــي الجميع بهمة نحو الشـــطب. يؤصـــل المثقفون لهذا ويروجون له، فيما ينخرط المهووسون به ويصفق العامة، ويجد المتطرفون فرصة. شرق المتوسط، وعبر الرحالة والفاتحين والقصـص والجنيات، "صـندوق باندورا" و"رأس ميدوزا" و"صـخرة سـيزيف"، التي يحملها العالم على ظهره لتتدحرج إلى سفح اللانهاية كل بضع سنوات.

مزاج حامض

مشحونون بسبب الأحداث، يمشي الشخص كخبر يجلس كتحليل، وإذا رأيت اثنين يتحدثان في الشارع تتخيل تناثر المذيعين والشاشات ومشاهد قصف والسياسيين من شدقيهما، منذ سنوات نتعرض لهجوم مركزي من وكالات الأنباء ومراسلي القنوات، وهؤلاء قوم لا يجلبون معهم سوى الخراب والأشلاء ومسيرات التشييع وهتافات الحشود الغاضبة والاستغاثات الهلعة، يسوقون الحقيقة عارية أمام الضمير لكن السياسة بلا قلب ولا عقل أيضاً، أصبحت سهرات الناس على التحليلات التي لا تنتهي، عرفوا مندوبي الدول الدائمة العضوية واحداً واحداً، صادقوهم بالنظرات، التصقوا بكل خط أحمر حمل خبراً عاجلاً، وما أكثرها! حتى فاض الدم من الشاشات مجتاحاً الأرائك و"الأرضيات"، تحولت الصحف إلى تلال من التوقع وكثبان من القراءات، شخص الساسة والإعلاميون في وجوهنا مثل نُصُبٍ تذكارية تحولنا إلى كائنات سمعية ومخلوقات أذنية، لذا نحتاج مصحاً نفسياً هائلاً وجيشاً من الاختصاصيين، نحتاج استيراد كل البرامج والأبحاث والأفكار التي توصلت إليها البشرية في مجال القراءات السلوكية والنفسية حتى يفك العالم شفرتنا الوراثية، كل ما حولنا يشي بالفجيعة ويعمم الدموع ويفضي إلى الجنون. أصبحنا مثقفين بمدى القذائف ونوعية المضادات، نميز التشكيلات العسكرية من ألوان "الأردِية"، لمحة واحدة تكفي لتحديد منشأ المدرعة العسكرية التي مرت للتو فوق جثة المقاتل، حفلة جنون بشري وكوكتيل من الفجور المبدئي في حفل عرس الأمم المتحدة وقبّعات مفتشيها الزرق التي طارت من هول ما حدث, تتكرر علينا

الأحداث بدأب وعناد, تعبأت رؤوســـنا بالكلام والمتكلمين وومضـــات الطلقات ومذنبات الصواريخ الضـوئية, احتشـدنا باللامعنى وانتصـب الخواء في الأرواح, نتألم كي نتألم ونبكي دمعا جافا بدم ملحي, استغرقنا الماضي واستنفذنا مستقبلنا فيما حاضرنا حجري التفاصـيل, ندور في كل الحلقات ونسـتعيد عذابا أبديا كلما ظننا أننا تجاوزناه, من ينقذنا من هذه الكوابيس التي لا تنقطع عن سـكان هذه المنطقة البائسـة من العالم, التي تحجز نفســها على خشــبة مســرح الدنيا "كأبأس" ما تكون في حفلة الضــجيج والصــواريخ والتصــريحات ومشــاهد البشــاعات التي تنتجها مخيلات الرعب, وحقول الفوضى التي تؤثث أيامنا.

القصيدة الثابتة

الشعر هو المنجز الفني المكتمل والوحيد في الثقافة العربية الصحراوية المتقشفة قبل انبثاق نور الإسلام، لذا فإن تأثيرات محدودة مسته فحافظ على شكله وشروطه وفنياته الجاهلية كاملة، فانتقل ككتلة واحدة من ثقافته الصحراوية الخالصة دون إعادة إنتاج أو تشذيب أو اشتراط. ثمة شروط نقدية جديدة خصوصا مع تثبيت الحالتين الأشهر لكعب بن زهير وحسان بن ثابت للوضع الذي كان قائما حينها، فيما انشغلت مرحلة صدر الإسلام في بناء الدولة الجديدة والتي تطلبت جهدا كبيرا انحسر على إثره حضور الشعر لصالح أشياء أخرى، وهذه بالمناسبة من الومضات النادرة في تاريخ الثقافة العربية والإسلامية.

وفي التجارب القليلة الناجحة التي حضرت خلالها الشعرية والديني في تجارب قليلة في الثقافة العربية والإسلامية كان مأزق الشاعر دوما في تحوله لسهم مدبب في كنانة السلطة السياسية ترمي به خصومها ومناكفيها، هذا من جانب، فيما كان الصوفيون هم النموذج الأكثر جلاء لتقاطع الشعرية والدينية، وأنتج في ذلك قصائد مهمة، ولكن السؤال المهم هنا هل يمكن فعلا اعتبارهم كجزء من المشروعية الدينية؟، أم أن ذلك كان حالة فنية وإبداعية مجردة حملت تأثيرات دينية، وهنا لا أود استحضار سجال قديم بقدر ما هو توصيف حالة، وفي الشعر العامي أو الشعبي ملأ المتمردون والخارجون عن

---

[188] - جريدة الوطن 2014-7-27

النسق العام المشهد وتصدروه بتهتكهم وإباحيتهم وألعابهم اللغوية أحيانا وعدم ثباتهم النفسي والسيكولوجي وتقلبهم بين مختلف المواقف والقناعات، فيما انزوى الشعراء ذوو النزعة الدينية دوما خلف قصائد محدودة وتجارب لا تذكر وحتى في مجال تخصصهم كانوا دوما أقل قيمة إبداعية وفنية، رغم وحدة الهدف وجلاء المبتغى، والمفارقة هنا أن الشعراء المتمردين اشتهرت قصائدهم (التوبية) بقدر شهرة أعمالهم الأخرى المتمردة والمنفلتة وهذا يستوجب أسئلة ملحة منها.. هل فعلا يحتاج الإبداع والشعر إلى حالة تفلت كاملة؟ لماذا يفشل الشاعر ذو التوجه الديني؟ لماذا لم تحضر تجارب ناجحة في القصيدة الدينية حتى في عز فترات مد الإسلام السياسي؟ لماذا كان الشعر استثناء من سطوة التأثير الديني؟ هل يغذي الشعر جانبنا الشيطاني؟ هل الشعر إجمالا حالة تمرد كاملة ضد كل الأنساق والأنماط؟ أسئلة كثيرة أظن أن نقاشها يتطلب وقتا وجهدا لازما، خصوصا أن ملمحا كهذا موجود وما زال يؤثر حتى اليوم في المشهد الشعري العام.

الشعر وكرة القدم

مدهشا كان توقع "تيم كاهيل" مهاجم أستراليا للكرة المرسلة من منتصف الملعب، سددها قبل أن تلمس الأرض في مباراة هولندا، ضربت الكرة العارضة وارتدت للأرض، ضربت وارتدت للشباك بسرعة عامودية، دوخت حارس المرمى الذي كان لحظتها يكمل وصول جسده العدمي لعشب الملعب محاولا بفشل رد القذيفة الجلدية الدقيقة، كانت لحظة رائعة فيها من الخيال أكثر مما فيها من التقنية، مشهد سينمائي شديد التكامل ومستوفي الشروط والتفاصيل، الخيال الذي هو منجم الفن وساقية الإبداعات، التقنية التي هي محصلة العلم والتجارب، الخيال المغامرة، والتقنية الحقيقية وما بينهما جاء الشعر وكرة القدم، ومضة "خايمس رودريجيز" الشعرية اشتعلت حين انزلقت الكرة من صدره نازلة على قدمه فغرفها بقوة كقصيدة فيها من الإدهاش ضعف ما فيها من الفتنة قابضا عليها كصورة فريدة شردت من حجز المخيلة!.

يتحول كأس العالم لمهرجان كوني لفنون الحركة وشعرية التمرير في فراغات الفرق وهوس الجماهير التي تصدح بأناشيدها وشتائمها وزركشاتها، الكرة في الشباك هي جلجلة الأجراس وترانيم النهاية القصيرة بين نص وآخر، بين مباراة وأخرى، بين شاعر لاعب وآخر فيما الكرة الأرضية تتفرج على هذا الهوس الجنوني الجميل وترخي مسامعها لصوت كوني يتوحد عابرا اللغات والأجناس والقارات البعيدة، يتحول هذا الهاجس اللذيذ إلى حال إنساني مشترك تماما كالشعر فيه من المراوغات والصدق والفروسية،

---

[189] - جريدة الوطن 2014-7-14

وفيه من الخفة والرشاقة والبسالة كما فعل حارس المكسيك في كل منازلاته، كرة القدم كما الشعر تحتاج لجنونك وموهبتك وفروسيتك، إيمانك بقدرتك على مواجهة الكون منفردا وإبهاره، الشاعر واللاعب ينتظران من كل الناس النظر إليهما بما هو مختلف وتفصيلي، والتسمر انتظارا لما يمكن أن يظهره كلاهما من قبعته السحرية التي يخبئها أحيانا بقدمه وأحيانا برأسه، بحرفه و"حرفنته".

شوقي.. واللا شوقيون

لا أعلم ما الذي استدعى الشاعر الكبير أحمد شوقي إلى ذاكرتي. شوقي أمير الشعراء، الذي منح الشـــعر أفقا أرحب، ضـــاق به لألف عام منذ رحيل المتنبي، ورغم التكريم والتقدير اللذين حظي بهما في حياته، إلا أن ثمة تيارا في الأدب العربي حاول التقليل من شأنه، متكئا على علاقة شوقي بالبلاط الملكي، وقربه من الطبقة التي كانت تتحكم في ســير الأمور حينها. كانت دوافع أيدلوجية بحتة ومنطلقات من أجواء مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث الثورة في مصر الخمسينات والزخم الثوري الشيوعي يجتاح العالم من الصــين وحتى أميركا اللاتينية، ورغم ما حفلت به قصـائد الراحل الكبير من نزعات تحررية، ودعم للشعوب العربية وهي تصـارع الاستعمار، إضـافة إلى شـحنها بالوعي الوطني الذي كان مسـاندا لتحركات الكتل الوطنية في بلده، إلا أن الاشـتراكية النقدية ومخرجاتها كانت تراه مجرد منتج برجوازي أُخذ عليه ارتباطه بالقصـــر وبلاطه، متجاهلين عاملا مميزا في تاريخ الفنون والإبداعات البشـرية التي لولا القصـور والأسـر الملكية لما انتعشت إبداعات الفنانين والشعراء والمبدعين: موسيقى وشعر وفنون، رعت القصور كل تلك الإبداعات منذ نشأة البشرية ومنحتها الحياة، واستضافت مبدعيها في تلك القاعات الفخمة، حيث قدموا عصـــارات أفكارهم ورؤاهم، وانطبق ذلك على الشـاعر الكبير الذي أتيح له تعليمه المتقدم ووعيه العميق إضـافة لتمكنه من عدد من

[190] - جريدة الوطن 7-7-2014

اللغات العالمية اكتسبها من وجوده لسنوات في فرنسا وإسبانيا من إحداث علامة فارقة تجلت في اجتراحه لفن المسرح الشعري في الأدب العربي، الذي لم يكن موجودا قبله. أما في الموسيقى، فيكفي أن نعرف تبنيه لعبقري الموسيقى الكبير محمد عبدالوهاب، لندرك أي أثر تركه، هذا عدا طرقه فنون الشعر المتعددة، التي أبانت عمق وتأصيل موهبته الرائعة المتجاوزة لكل من سبقه من فحول الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي وشعرائه العظام.

رحم الله شوقي العظيم علامة الشعر الفارقة في القرن العشرين وسيده بلا منازع، رغم كل النزعات والمذاهب والمدارس والتجارب، عاش شوقي ومات كبيرا عابرا الزمان ذهبت حملات التشويه والاتهامات والتقليل إلى حيث ذهب أصحابها الذين لا يذكرهم أحد وأنصف الشعر شاعرا من أجمل شعرائه.

"الشللية" ليست شتيمة!

أهم التغييرات والأفكار الإبداعية في الفن والأدب قادتها تيارات وجماعات فنية أسست ورسخت لأفكارها في الفن والحياة والكتابة؛ رأى أفراد هذة الجماعات أنهم متقاربون في الأفكار، مما أثرى الحياة والفن والإبداع بكثير، لكن توظيفات مصـــطلح "الجماعات الفنية" الذي تحول في الذهنية النقدية العربية إلى ما اصــطلح عليه شــيوعا "الشــللية"، المصـــطلح المربك المرتبك الذي يوظف دوما في ســياقات تذمّه وهو الإطارالاجتماعي الإنساني، يحاول كثيرون صبغه بأحكامهم القاسية، ويسوقونه كمبرر رئيس لحالة السوء التي تسيطر على مناخات ومجالات إبداعية وإنسانية كثيرة، سواء كانت شعرا أم فنا أم رواية أم حياة أم رياضة.

ومن وجهة نظر شــخصــية أرى أن "الشــللية" من أهم دوافع الإبداع إن لم تكن أكثرها قوة، إذ تحفز أطرافها نحو مزيد من الجهد وتقودهم إلى مســـتويات متطورة من الوعي والتصــاعد التدريجي في مســتوى ونوعية نتاجاتهم، كما أن "الشــللية" توفر حالة "أمن جماعي"، وتؤثر في محيطها إعلاميا بصورة أكبر، إذ يمكن ترويج الأفكار وإيصالها بشكل أوضــح، و"الشــللية" نقيض للفردية، حيث تلغي الأنانية؛ لذا فالمجموع هو الأهم مقابل الفرد، وبالنظر إلى تاريخ الجماعات الفنية والإبداعية، نرى أنها صــنعت عبر هذا المفهوم حالة من الرواج، وقدمت نفسـها للإبداع الإنسـاني كقيمة أصـيلة مسـتديمة اسـتطاعت

---

[191] - جريدة الوطن 2014-6-29

توفير بيئة تخصها وسط محيط الأفكار، وما "الدادائية"، و"السريالية" و"الوجودية"، وما إلى ذلك من جماعات الفن والفلسفة والسياسة، وكذلك الجماعات الأدبية النقدية، مثل حلقة براغ وفرانكفورت والفن الحديث، إلا نتاج هذا المفهوم وتلك الرؤية، وإذا نقلنا ذلك مقارنين في الثقافة العربية، فإننا نرى أن أهم نتاجات الشعر والفن والأدب والإبداع انطلقت عبر جماعات كمجلة "شعر" و"الآداب"، إضافة إلى أجيال الشعر والرواية، حداثة الأربعينات وجيل الخمسينات، "جماعة كركوك الشعرية" في الخمسينات، وحرب لبنان في الثمانينات وقبل ذلك تيارات ومدارس المهجر؛ من أجل ذلك فإن "الشللية"، التي يتذمر منها كثيرون يجب ألا تثير الخوف؛ لأنها عامل شديد الإيجابية من جملة عوامل أخرى تسهم قطعا في تحريك الراكد، وتحفيز الجميع نحو الإبداع، ويبدو أن من سوق للشللية كمفهوم سلبي غاب عن باله كل هذا التراث الكبير لمفهوم الجماعيات الإبداعية، التي ربما سبقت مفهوم النقد في الظهور، لكن التغييرات العميقة التي أصابت أوروبا النهضوية ومن ثم الصناعية وما نتج عنها فكريا ونقديا وسلوكيا من إعلاء للفرديات وتراجع الجماعيات، أورث هذا الالتباس النقدي الذي تم استيراده.

طبعا لا أقصد "الشللية"، كمصطلح حرفي، لكن "فكرة الجماعات الفنية" إجمالا، وما لم تتوافر المناخات العامة شديدة الحرية وشديدة الإيمان بالفرد سلوكا وأفكارا وتجربة، فإنه لا يمكن إنجاز ما هو فردي بشكل واضح ومستوف، فالفضاءات الجماعية تقود للسلوك الجماعي قطعا.

أسماء وأوهام

أحيانا دون أن ننتبه، نتعرض إلى عمليات غسل ذوقي. نتحول لصدى إعجابي وبغائي وافي الشروط ومكتمل الأحكام، لا يناقش ولا يجادل، طيع ومهادن بما يتنافى جذريا وضديا مع مهمة المعرفة وواجبات الوعي، ويؤدي إلى خلق ترددات في الأطراف المحكومة بوهم المركز وجاذبيته، وتتعاظم الحيرات المتسائلة حينما يرتبط الأمر بما ينجز ثقافيا وكتابيا، والشائع في الصحافة الثقافية العربية أن ثمة "مافيات" وعصابات ثقافية تتحرك وتنجز بشكل قطيعي جمعي، تؤمن بالإرهاب الذوقي الثقافي و"تصنيم" الأسماء لها. كي أكون أكثر وضوحا ومباشرة أتساءل: ما الذي أنجزه د.عبدالعزيز المقالح مثلا؛ كي يحظى بكل هذا الحضور والتردد لولا مقدمته لأعمال الشاعر الراحل أمل دنقل؟! وماذا غير ذلك شعرا ونقدا؟! لا أعتقد أن شيئا يستحق التذكر والتوقف عنده.

حالة تدفق مرضية كالتي ينجزها إبراهيم نصر الله أليست أولى للمواجهة والنقد والتصديات؟، لماذا تتسامح حركة ثقافية مع هذا النمط السلوكي الكتابي المجاني، لولا أن ثمة تواطؤات ومحسوبيات وغض بصر.

غسان كنفاني هل كان سيحتاج منا وقتا كثيرا للتوقف عند منجزه الكتابي لولا ظروف رحيله اغتيالا؟! جورج حاوي، ووديع سعادة، معين بسيسو، جابر عصفور، وآخرون لديهم حصانات وفرتها ظروف. محمود درويش ومظفر النواب وأحلام مستغانمي كل هؤلاء لم يتجرأ أحد على الاقتراب منهم، مضوا في المسألة كأجمل ما تكون الرحلات

دون إزعاج ولا نقد ولا مواجهات بما يثبت أننا ضـــحايا فعليون لعملية تأثير هائلة، شـجعها ودفعها لمشـروعها استسـلامنا ووداعتنا، تسـليمنا الذوقي والثقافي، واهتراءات النقد ومجانية الصـــحافة، وحالة التوارث المحكومة بها بعض "الذهنيات الأقلوية العصبوية".

جدل البديهيات

كلما اندفعت بالتفاؤل، سحبتك الأيام إلى مناطقها الرمادية، وحين تقرر اعتزال الشائع ومصـــــادقة المبهج والزاهي المندفع للحياة والجمال, تقتحمك الأخبار وتحتلك الفجائع وتلوثك المحبطات، تقرر حذف التفاصـيل الزائدة والاهتمام بما يعنيك وتحب، تدع العالم وشأنه يرقد بسلام لترقد بسلام كائنا شديد العزلة، تتحول رغبتك إلى أمنية مستحيلة، بعيدة كنجم في مدار، تستسلم وتسلم قيادك للعام والمتداول واليومي، تطرق النشرات والأخبار رأسك بقوة، تحول روحك لجدارية هائلة لتعليق الملصقات ومنشورات الدعاية والتأجيج للأوضاع والتطورات المشيعة لليأس المسوقة لليباس، فتعتلي الضغينة وتتأثث في كل زاوية من زواياك حقول القتل وحدائق الفوضى. ينخرط العالم في ورشة هائلة للتنمية والتطور وابتكار الأفكار والوسائل، بينما . ويوما بعد آخر .

يزداد انغلاق دائرة الضـياع حول المنطقة وفيها، تنبعث من أعماق التاريخ كل الثارات وتســتدعى الجدليات التي لا تنتهي ولا تموت. كل يوم ننتج شـــكلاً مختلفاً ونادراً من الحروب والكوارث والصـــراعات غير المســبوقة، من أفغانســتان إلى المغرب ومن لبنان ففلســطين واليمن والعراق ودارفور وســورية وليبيا، نقدم للدنيا "كتالوجاً" من الحروب والصـــراعات والانتحارات، لا يُعرف فيها منتصــرٌ ولا مهزوم، لا أحد يدري مع من، وضـــد من، كرة لهب تتقاذفها الأيادي، أحزمة فقر وجيوب أزمات، وعاطلون، وأفكار

[192] - جريدة الوطن 2014-6-16

مفخخة، وتنظيمات فوضوية، متعصبون مأزومون يهجسون بأفكار سوداء، يتحدثون بأبجديات الكراهية والفرقة والتقسيم والانقسام واحتكار الحقيقة، الحقيقة التي تعيش "دياسبورا" في صحراء الشرق الأوسط الحارقة المفعمة بخرائط الإثنيات ومنمات القوميات والمذاهب، وبذور الصراع التي لا تموت، من بين كل أمم الأرض، نجتر الماضي، ونستهلك الندم، ونصوغ المستقبل باليأس والحسرة، نعيش استثناءً وهامشاً، مشغولين بالجدل، مدمني تاريخ، ومستوردي تفاصيل، همسنا صراخ، ونقاشنا عراك، ووجهات نظرنا قطعية، اختلافنا شتيمة، ظننا مدبب، ونوايانا شكية، نتحمل وزر العالم ومصالحه، عاجزون عن فك أحجية الفراغ القاتل وأقفال الموت الأبدية، نمضي للمجهول بابتسامات واثقة، تفوتنا الدنيا بينما نستجدي على رصيف الأزمنة مرغمين دون خيارات ولا بارقة أو وميض يحيي الأمل ويشيع الحلم، جامدون في عصر السرعة، متخلفون في زمن الحضارات، قمعيون نعلي القوة ونحتقر الجدية، ما حولنا إلا الموت والتقسيم والتهجير والمجازر والتناحر اللفظي والاستقطابات، قابليتنا الفطرية لشطب الكل والعودة إلى جذور الغرائز والنزعات مستفزة وهائلة، ننام على المذبحة ونستيقظ على المجزرة، نتناول نشرات الأخبار كحبوب مهدئة.

تركض شعوب الأرض في سنوات قليلة نحو الحداثات والابتكار، تتبارى في إنتاج المستحيل وملامسة المعجز والخيالي، تصعقنا بمنتجاتها اللانهائية وأفكارها الثورية في التنمية والحياة، بينما نتجادل في البديهيات معيدين اكتشاف المكتشف وحسم المحسوم. إنها دائرة الفراغ الأبدية التي تعيدنا لتلمس أنفسنا شعوبا ومجتمعات، وقبل ذلك أفكارا ومشاريع إنسانية، هل نحن استثناء من قاطرة الحياة هذه؟ هل في تكويننا ما يمنعنا من

العيش بسلام وهدوء كما شعوب الدنيا؟ هل نحن قوم يغرينا الدم وتمتحننا العصبيات؟ أحيانا أكاد أستسلم لولا الأمل وبشارات الحياة التي تومض في أطفالنا وأحبائنا وأصدقائنا وما ينجز من كتابة.

الكلمات التي
لا "يجعلكها" الوقت

في البحث عن الشعر وفهمه، ومحاولة ترويضه بالكشف عن مغامرة لذيذة أغرت الشعراء، والنقاد والقراء لعبور غابة الغموض تلك وفك رموزها وتفاصيل دهشتها، ربما يفهم الشعر على أنه حياة موازية، كون شعوري يعوضنا عن كل بشاعات الواقع، ملجأ أحياناً وملاذ من أشياء لا نحبها ولا تحبنا، رؤية أقرب إلى التفسير الكلاسيكي، صيغة ابتدائية وطفولة نقدية بفهم مستهلك وممتلئ بالمتداول والمطروح.

وربما يفهم الشعر أيضاً على أنه عراك مع الحياة واصطدام بها، علاقة ضدية بامتياز، وهذه رؤية ثورية لا يمكن تعميمها، تترافق عادة مع اندفاعات الأجيال الشعرية الشابة القادمة والجديدة، الشعر في أحيان يكون أكثر تجرداً وواقعية من الواقع نفسه.

فهو يومي ومطروق ولحظي لا يعير قيمة لما هو أبعد من الواقعي والمعاش، وهذه رؤية شديدة الظلم تنزع من الشعر أهم أدواته وتفرغه من الشعورية التي كانت جذره ومنبعه، إذاً ما الذي يمكن أن نقوله للوصول إلى الشعر؟

أظن أننا بحاجة لقول لا شيء وكل شيء، جمع كل محاولات تفسير وتعريف واستكناه الشعر ورميها في البحر والبداية من جديد، أيضاً نحن بحاجة لرصد وتدقيق وتتبع كل ما قيل من تلك التعريفات والمحاولات الجادة للوصـــول إلى الشـــعر تعريفاً وحالة، فمهمة الشـعر الأسـاسـية أن يكون محيراً وغامضـاً ومراوغاً، كذلك أن يكون واضـحاً ومتجلياً ومتجسـداً صـريحاً، الشـعر يشبه الحب تماماً. لغزان عجز الإنسـان عن حلهما فيما هما بسـيطان ومكشـوفان، عجزت النظريات والأفكار والاجتهادات البشـرية المتواصـلة عن الإمسـاك بهما رغم المحاولات المستمرة منذ بداية المعرفة، هل المهمة عسـيرة وصعبة لهذه الدرجة؟ هل ستسـتهلك الإنسـانية جهودها للوصـول إلى الشـعر والحب؟ هل سـتنتهي الحياة ولم تجب الأفكار الإنسـانية عن سؤالين بسيطين حول الشعر والحب؟ حيرة جميلة ومربكة دافعة للجمال والبهجة والحياة، وقود للأفكار الجميلة والرؤى الاســـتثنائية للوصـول إلى ما هو غير عادي وبسيط، للمس ما هو خيالي وشـديد الواقعية في الوقت ذاته، في الشعر والحب تستمر ورطة الإنسان الكبيرة ومصيدته المربكة منذ فجر الحياة.

في الشعر كتابة وقراءة أيضا عليك البحث عن الكامن لا المتاح، الذهاب إلى التفاصيل لا العموميات، إشـغال روحك بالأسـئلة وترك الإجابات المفتوحة، رمي البذور في أرض الحياة وترك الحصـــاد للتاريخ، في الفن ليس كل ما هو شـــائع فناً، المشـــترك لا يفضـــي بالضرورة إلى التميز، لا تنتظر أن تنتج ما هو مختلف باعتمادك على ما هو محدود، انتبه إلى ما لا ينتبه له واذهب إلى المجهول والنّائي والقصـــيّ والموغل، اجتز دغل الكلمات وحقل الحروف بخرائط الخيال وشعلات اللهب المتقدة في عتمة رأسـك، الآخرون ليسـوا ســـوى الوهم والتهيؤ، ذاتك هي الكون، آراؤك هي الحقيقة المطلقة، كل ما ســـواك

عادي، كل ما تقوم به استثناء، في الحياة كما في الشعر والفن، المجد للكلمات التي لا يجعلكها الوقت، الخلود للمراوغة والمخاتلة اللذيذة التي تلمع مثل نصل في ظلام الطيع من الأشياء.

الاستشراقي المنصف..

"القومي" المستجهل!

عبر المستشرقون الغربيون من الجنسيات كافة، وعلى اختلاف الأهداف وتباين الغايات، صـــحراء الجزيرة العربية، ودونوا ذلك في: رحلات، كتب، رســـائل علمية، تقارير استخبارية، فكانت الحصيلة الأساسية الضخمة كتبا ودراسات اجتماعية وإنثروبولجية، رصدوا خلالها طبائع وصفات أبناء المنطقة بتفصيلاتهم وتراثهم: حياتهم الصعبة، مزاجهم وطريقة عيشهم.

مزج المستشرقون ذلك ودونوه مع تحليلاتهم الشخصية، أو قراءاتهم الخاصة، لكنهم في الأغلب الأعم أحبوا الناس بعمق وصادقوهم بحق.يصـف "لورنس" في كتابة الشـهير: "أعمدة الحكمة السبعة"، شعوره العميق بالحزن لاضطراره إلى الكذب على أصدقائه البدو وخذلانهم في مشـروعهم. امتلأ كتابه بالإشـادة بهم، وذكر محاسـنهم فيما ظل "غلوب باشا" الضابط الشهير يشعر بالكثير من الامتنان؛ لأنهم ظلوا يحبونه ويتواصلون معه حتى بعد انقضـاء الأمور، وعودته إلى الديار متقاعدا وعجوزا، أنصـف الناس "أبو حنيـك" حتى بعـد أن اتهمـه اليهود بالتعـاطف مع العرب، واتهمـه القوميون بالخيـانـة والإسهام في نشوء إسرائيل. جيرترود بيل، بالغريف، ثيسجر. عشرات من الأسماء كتبت ما يشـبه الغزل في الصـحراء العربية وأناسـها. بعضـهم تلبس الحالة وتكنى بأسمائهم،

---

[193] - جريدة الوطن 2014-6-2

"غلوب" سمى ابنه البكر "فارس"، "بروس أنغهام" تلقب بـ"أبو حسين"، كارل رشوان، موزيل، وآخرون نالوا نصيبهم من الهوس بالبدواة والصحراء والواحات المأهولة بالنخيل والحكايات، لم تمنعهم الحواجز الفكرية والحضارية والثقافية من الكتابة والحياة بتجرد، لم يكونوا واقعين تحت سلطان أي رقيب سوى ضمائرهم؛ لذا أثر نتاجهم كثيرا في الثقافة العربية وتراث المنطقة الإنساني، إذ يُنظر إليهم بوصفهم أصحاب فضل أسهموا في رصد وتدوين مراحل مهمة، من حياة سكان الصحراء وكفاحهم وثقافتهم.

على الجانب الآخر، ارتبط البدو والبداوة، بكل صفات التخلف والقسوة والهمجية، لدى القوميين العرب، ممن تبنوا نظريات العروبة السياسية، خاصة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ونشوء الدولة القطرية، فوصموا بالتبعية والعمالة وأذناب الاستعمار والإمبريالية توصيفات ميتة، أثبتت الأيام أنها كانت مجرد شعارات. كرّس الإعلام القومي في الذهنية العربية صورة نمطية عن أهل الصحراء عبر وسائل مختلفة، إضافة إلى نتاج ثقافي روائي - في أغلبه - يصورهم بنزعات حسية غريزية، وذلك فهم جاهلي وتصور ظالم.

ينصف المستشرقون القادمون من أقاليم الدنيا، فيعدل الخصوم، ويظلم ذوو القربى. يكتب الاستشراقي بلغة آسرة أخاذة، ويتغنى واصفا اعتداد العربي الصميم بذاته وقيمه، فيما القومي القريب يمعن في كيل التهم، وتكريس الأفق الضيق والأفكار المسبقة الجاهزة. ينظر المستشرقون إلى البداوة بوصفها نمطا بشريا تحكمه الأعراف والقوانين غير المكتوبة، في سياق صارم لا يقبل الخرق، بمنظومة قيم دقيقة، تعلي من الأخلاق، وتشيد بكل ما هو إنساني، في حين يتبنى القومي المؤدلج، صورة ظاهرية قشرية منزوعة المعايير

والإنصـــاف، وهذا تناقض فارق بين صـــورتين وذهنيتين: الأولى منصـــفة وبعيدة، فيما الأخرى شديدة الظلم وقريبة.

هدنة كأس العالم

انتقد الروائي المعروف "باولو كويلو" قبل أيام حكومة بلاده وهي تخطو خطواتها الأخيرة قبل افتتاح مونديال البرازيل 2014 بعد أيام متهما إياها "بتجاهل الجو المتوتر في سبيل إنجاح المناسبة"، كويلو كان عضوا رئيسا في فريق الترويج الرسمي الذي كسب تنظيم المناسبة قبل سنوات، كانت انتقادات كويلو متعاطفة في الغالب مع مطالبات عمالية ألقت بظلالها منذ وقت مبكر على حجم الاستعداد البرازيلي ووفائه بالمتطلبات اللازمة، انتصرت مبادئية كويلو على مصلحيته كما تفعل دوما وأبدا مع كل الأخلاقيين، مبدعين وعاديين، في حين أن "البرتو مورافيا" كان أكثر حدة وسخرية وهو يعلق على ارتفاع الأسعار الجنوني خلال استضافة بلاده إيطاليا مونديال 1990، لمعت جملته الساخرة كسكين في العتمة، أن "العالم أصبح يفكر بأقدامه دون رأسه"، في حين تساءلت "نادين غورديمير الروائية الجنوب أفريقية" عما ستفعله بلادها بالملاعب التي شيدتبعد نهاية المناسبة؟، لافتة بلغة لاذعة إلى أنه "ليس بكرة القدم وحدها.. يحيا الإنسان" لكنها رأت في الوقت ذاته أن "بلادها قادمة نحو تغيير مهم في المحصلة".

قبل سنوات كان "جونتر جراس" شنبا ووجها حاضرا وبقوة في مونديال ألمانيا 2006، حرص الألمان بدقتهم المرضية على عدم إغفال البعد الثقافي وحضوره في المناسبة، نظموا محاضرات لكتاب شهيرين من أنحاء العالم، كانت الندوات إلى جانب المباريات كتفا بكتف مطلقين حملة لربط الشعر بالرياضة، ناشرين قصائد في محطات المترو وفق مشروع

---

[194] - جريدة الوطن 2014-5-26

عرف حينها بـ"هناك حيث تتدحرج كرة القدم"، كما صدرت مجلة "أنشتوس" الأدبية المتخصصة في تحليل البرنامج الثقافي المرافق للمونديال.

أما في حفل افتتاح مونديال فرنسا 1998 انتدبت عاصمة النور أكثر أبنائها جنونا وإبداعا ليقدم مقطوعاته الضوئية في الشوارع لإبهار الكرة الأرضية في ذلك الحفل، نفذ "جان ميشيل جار" المهمة في حين كانت مأمورية "نيلسون مانديلا" الرمز الإنساني العالمي لجنوب أفريقيا أصعب وأعمق بمصالحة بلاده وتاريخها الطويل من الفصل العنصري مع العالم والحياة، كان تنظيم مونديال 2010 أمنية أخيرة لرجل عجوز أنهكته الحروب الأخلاقية طويلا، إن كرة القدم قادرة على إنجاز الكثير، كأس العالم أهم من كل قمم الأمم المتحدة واجتماعات صندوق النقد الدولي، خلال كأس العالم تدخل الكرة الأرضية في اتفاق ضمني على تحييد كل الخلافات وتحول صراعاتها وحروبها إلى منافسات رياضية، فرصة للهرب من تعب اليومي ومشقة المكابدات إلى تفاصيل مشتركة تتجاوز كل الفروقات؛ حيث يتساوى الجميع ويتحدون في الاهتمامات عبر رحلات بصرية مع مهارات بشرية يدفعها الأمل ويحركها الطموح محكومة أخلاقيا وقانونيا وفق عنوان عريض هو "اللعب النظيف"، اللعب النظيف الذي حتما سيؤدي إلى صدامات سلوكية وانضباط شديد، ذلك كله حتى يتحقق لابد من عمل يتم إنجازه ومنشآت يجب تسليمها قبل الموعد حتى لو أضرب العمال مطالبين بزيادة الأجور، دافعين باولو كويلو لرفع صوته بالانتقادات ضد حكومة بلاده وشتيمة "رونالدو" الظاهرة.

مجرد أسئلة أولية

هل تنجز لنا الرواية ما عجزت عنه القصيدة؟، هل توقفت منابع الشعر عن تزويدنا بالخيالات الضرورية للمغايرة والاختلاف؟ وبالتالي جاءت الرواية لتكمل الحكاية التي يجب أن تروى عن كل شيء؟، هل للشعوب مزاجاتها الإبداعية التي تتباين وتختلف بمثل اختلاف جغرافياتها وطبائعها؟، ثم هل نحن محكومون بالشعر ولا سواه؟، أم إن المسألة إنسانية بحتة، وبالتالي ما ينطبق على الآخرين يمكن أن ينطبق علينا؟.

إذا كنت ممن يتبنون السياق الإنساني المفتوح ومسارات الشعوب المتشابهة، هل نستطيع في المسرح مثلا أن نتحرك وننجز ما سبقتنا إليه تجارب المجتمعات الأخرى؟، كيف نوصف مثلا الهمة العالية لمدرسة النقد المغاربية وإنجازاتها الجادة كمشاريع؟ هل للمصريين مثلا ملامح مميزة واستثنائية في السرد والرواية على حساب الشعرية؟، لماذا للعراقيين نفَس مختلف في الشعر بكل الزخم الذي نلحظه، فيما الشوام "سوريون ولبنانيون" قادرون دوما على الاشتغال على الترجمة بجد ملحوظ ومراكمة دون سواهم؟، هل أخلص الخليجيون مثلا في تكوين المؤسسات الثقافية التي تحرك أهم مفاصل الثقافة العربية؟ أم إنها تشتغل على مسائل كالاستقطاب وخلق أذرعة دفاع ومناطق فكرية آمنة وترويج احتفائي فيه من "المهرجانية" أكثر مما هو إخلاص ثقافي؟

---

[195] - جريدة الوطن 2014-5-18

وسط ذلك كله، مازلنا هنا نعيد طرح الأسئلة الأولية حول ما يمكن إنجازه في الكتابة، السرد أم الشعر؟، القصيدة أم الرواية؟.

قبل ذلك، هل انتهينا من الإجابة عن أسئلتنا إنسانيا وثقافيا وتنمويا، وبالتالي ما يمكن وصفه بالرفاهيات النقدية حان دوره؟، وهو ما لا أظنه على الأقل في المدى المنظور القريب، هل كانت التجارب الروائية القليلة التي اندفعت لتحكي ما هو في الأغلب حكايات منقوصة منذ عقد زمني، أضافت ما هو حقيقي وفعلي وإبداعي، أم إنه زخم ضروري؛ كي تختمر التجربة ويجري بشأنها فرز إبداعي ربما ينتج عنه ما هو إيجابي وحقيقي؟.

هل استهلكت موجة الشعر العامي التي نشطت في التسعينات الميلادية من القرن الفائت مثلا الحماس الجماعي للشعر إجمالا، وخلقت رد فعل سلبي نفر كل موهبة واعدة من المغامرة؟ وبالتالي كانت الرواية فكرة وأسلوبا وقالبا، الأكثر قربا وصدقا وجاذبية؟ ثم إلى أي مدى جاءت الكتب التي تناولت بشكل تحليلي قراءة الملامح والتغييرات الاجتماعية والسياسية والفكرية في السعودية في تراجع الحماس الذي ارتفع للرواية، وحمس كثيرين لكتابة ما ظنوه جريئا وطموحا ومختلفا؟.

ما يمكن ملاحظته بشكل رئيس أمام مشهد الكتابة الذي نحن بصدده هو أن ثمة ما هو جماعي وأحيانا قطيعي، فيه من "الموضة" أكثر مما فيه من المحفزات، كانت موجة الثمانينات الكتابة الشعرية الحديثة تحورت لاحقا بسبب الظروف لحركة نقدية نشطة، سرعان ما تحولت إلى موجة شعر عامي جارف، سيطر على كل شيء، فيما جاءت

الرواية بعد المرحلة السبتمبرية وموجة الإرهاب، حتى تراجعت أمام سلسلة إصدارات تحليلية تناولت بالرصد والتوثيق أهم ملامح وتغيرات المجتمع، لكن ثم ماذا؟، هل ستستطيع التقنية في الدفع لإنجاز شيء ما؟ سننتظر؛ لأننا حكما في مرحلة التجريب والتفاعل.

تشخيص التوهم

يحتاج المشـهد الثقافي السعودي لقنبلة نووية حتى يمكنه إنجاز كتابة مختلفة وحراك حيوي يرقى لمستوى اسـتحقاقاتنا الحضـارية وتحدياتنا الإنسـانية الأخرى. هذا على افتراض أن ثمة أملاً يمكن العمل عليه أو مراكمته ببصـيص كتابة أو قراءة مغايرة تبهج أو تشـحن بالغد. قسما لا أحاول إشاعة جنائزيات نقدية ولا نواحات الثقافة المعتادة.

كما لا أنطلق من موقف ضـدي حاد لا يرى فيما يرى أشـياء إيجابية، لكن ما يحدث كلياً مؤسـف وباعث على اللا جدوى، فالكتابة تحولت لـــ"نزهة شـاي" على النمط الإنجليزي بقليل من "البسـكويتات المعرفية". أهلا بك في أكثر المجتمعات فقراً في التشـجيع على الكتابة وإنتاج المواهب، وسـطه الثقافي يخوض حفلة كوكتيل وتبادل "بيزنس كارد" ضخمة. دور النشر تحولت إلى مشـاريع لـــ"تسليم المفتاح" الإبداعي، وشـعارات السـوق "الاسـم عليك والباقي علينا"، "اتصـل نصـل" في الكتابة والنشـر والتوزيع والترويج، "كيف تصـبح كاتبا مهماً في ثانيتين؟". نقاد بلا نقد، وإن كتبوا غرقوا في تجريديات الهلاوس أو مشاحنة منافسين في الأغلب هم أصدقاؤهم القدامى.

شـعراء بلا شـعر. روائيون بلا رواية. "كاردينالات الوهم" تحاول إعطاء مباركاتها التافهة لكل شطية موهبية عابرة. نخب مشغولة بتجميع "الفلوورز". كاتبات مهووسات بمعارك "الاسـتحواذات المنفعية" وتبريكات منظمات كارتونية. مراكز بحث لا تبحث، مكتبات

196

لا تكتب ولا تتبنى من يكتب، محاضـرون لا يحاضـرون وبرامج ثقافية وعظية مباشـرة بعناوين ميتة يقترحها مستشـارون يجمعون ضـيوفهم من مشـاهداتهم التلفزيونية. مجلات جامعية لا يقرؤها أحد، أقسام بلا خريجين، وأساتذة بلا مشاريع، مؤسسات بيروقراطية مترهلة، أندية أدبية يتجادل أعضاؤها في المحاكم أكثر من سجالاتهم في قاعات أنديتهم ومنصـاتها، والذين يكتبوا بشـيء من الموهبة يقضـون نهاراتهم الإلكترونية بتقبيل أقدام المؤسـسـات الثقافية المجاورة والمهرجانات الإبداعية الرديئة، أملاً في انتزاع دعوة أو لعق شهادة مدائحية من أسماء وجهات أقل شأنا وقيمة.

مزاج عام مهيمن شـديد الأبوية، مناخ مشـدود للماضـي يجيد النواح ويتبارى في إشـاعة العموميات. مهـادن طيع شـخصـاني مـأزوم مهزوم تتحكم به غرائزيات المنـاطقيـة والجهويات، يعيش فصـاما انتشـائيا غروريا يعيد إنتاج المنتج، وتكرير المكرر وتصـدير المعروف واستيراد الهزيل الشكلي، يشيد بالناقص ويمتدح العزلات الموتية، ينطق بالمتوقع ويجادل في البديهي، يشـاكل المشـاكس، يتألف مع المزيف، يمجد المأسـاة، اسـتبدل الأسـئلة بالإجابات، توقف عن الكتابة والقراءة والنقاش، لاذت صـفحاته بالنشـرات الصـحفية الجاهزة ومكاتب المراسـلات مسبقة الدفع التحريري وأخبار أقسـام العلاقات العامة، يتوهم النخبوية، يغازل الشـعبوية، فيما ملاحقه تعاني موتا إكلينيكا شـديد التحقق منذ سـنوات وتكافح مطبوعاته القليلة على أجهزة التنفس الاصـطناعي وفي انتظار تغير هذا الوضـع سـيكون علينا الانتظار طويلا والترقب بلهفة كبيرة، وقبل هذا كله الكتابة بشـكل مختلف بدافع المواهب الأصيلة وطاقة المشـاغبة الحقيقية التي تكتب كما تفكر، وتفكر دون خوف الوصايات ومحاجر الأفكار الجاهزة.

عن غضب "رضوان السيد" وصدمته

كتب رضوان السيد المفكر المعروف بعنف ضد من وصفهم ساخرا "بالعقلانيين" و"التنويريين" العرب سلسلة مقالات حملت روحا غاضبة واضح أنها تحملت كثيرا وصبرت قبل أن تفيض بكل هذا الألم والإحباط والعتاب الثقيل، محاولا في نقديته الإشارة إلى تحكم باعثات طائفية ودينية ومذهبية ومصلحية في مقاربتهم وتوصيفهم للأحداث السياسية، وتحديدا في موقفهم الناعم المتصالح المتطابق بصمت مع إنجازات نظام الأسد الدموية بعباءته الإيرانية المالكية "الحزبلاتية"، وفق مشروع طائفي بغطاء مقاوم ممانعاتي، ويشير السيد بشكل واضح إلى موقف هؤلاء الذين يمثلون ما كان يظن قيما فكرية وفلسفية ومشاريع تنوير حقيقية، وهي في الأساس مواقف ضدية للإسلام بصيغته الأعم والأشمل والأكثر اتساعا أي "السنة"، والحقيقة أن هذا السجال الذي بدأه السيد في مقال "الحملة على الإسلام.. الحملة على العرب" ثم أتبعه وإن كان بشكل غير مباشر بمقال "النواح على صدام والاشتغال عند إيران" ثم أكمله بـ"لماذا حملت على العقلانيين العرب؟" أنتج ردات اهتزازية دفعت بكثير ممن وردت أسماؤهم في المقال إلى محاولة نفي التهم وتفكيك نقديات السيد ورصده للمواقف الفكرية التي صمتت متواطئة مع المشروع شديد الطائفية، الذي مثلت الثورة السورية محكاته الأهم

---

[197] - جريدة الوطن 2014-5-5

والأكثر جلاء خصوصا ممن كانوا يمارسون المواربات الفكرية تحت عناوين العقلانية والتنوير والنقدية العلمانية المتجردة من كل ارتباط إثني أو عقائدي أو مذهبي.

قسوة السيد التي جاءت في وقت مهم وحساس وبعد ركود سنوات من السجالات العامة تطرح علينا جملة من الأسئلة الكبيرة وتهيئ الوضع لفتح النقاشات حول كل الوهم الذي عشناه فكريا وتنويريا وقيميا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، هل كنا عميانا نساق إلى مناطق قناعات معدة مسبقة؟ وفخاخ فكرية تم نصبها بدقة؟ هل استطاع من كنا نظنهم نخبا وأسماء انشغلنا بها وبنتاجها جرنا نحو مسلمات تقنعت بالطائفة والمذهب والهوس من "الأمة" بتوصيفها المذهبي السني؟ هل اكتشف رضوان السيد مفكرا وكاتبا وعاملا فكريا تنويريا أنه تعرض للخديعة وأن ما ظنه مشاريع نقدية متجردة هي شعارات وأقنعة بشعة مذهبية وطائفية وعنصرية تنطلق من موقف حاد وعدواني ضد "السنة" أمة ومذهبا وأفكارا وتاريخا وحيوية فكرية، وقبل ذلك سماء ضبطت هذه المنطقة من العالم، يقف رضوان السيد شبه وحيد في المعركة التي ستطول حتما بينما ينشغل الآخرون من "مفكري السنة" بالبحث عن المكاسب وسط طوفان الفوضى إن مع حزب أو تيار أو سلطة، والوقوف مع أطراف الاستقطاب، بينما الحقيقة أن المعركة في أصلها بعيدة ومع آخرين كشفتهم الثورة السورية مواقف وأسماء ومشاريع، ويجب إعادة التعامل مع كامل نتاجهم الفكري والنقدي بالتصفية والتقليب والقراءة.

فتح رضـــوان الســـيد الباب الكبير لمحاكمة زمن فكري كامل وأسماء وإنجازات وامتحانهم بالمواقف والأفكار مرة أخرى، وهو ما نحتاجه بقوة بعد أن ســقطت الأقنعة وتكشــفت الأوجه القبيحة وأصبح كل شيء مكشوفا وعلنيا.

قانون "ZDF" على خطى "بوسمان"

القرار الذي أصــــدرته محكمة ألمانية بالســـــماح لقناة محلية ببث مباريات كأس العام 2014 على قناتها العامة المفتوحة، كاسرة الحالة الاحتكارية باعتبار مشاهدة مباريات المونديال البرازيلي من حق الفقراء، شكل صدمة لمن اعتاد التعامل مع الأشياء بصيغها المادية المجردة، وأن المال قادر على التحكم بكل شــــيء بما في ذلك كرة القدم. قبلها بسنوات حاول المتمرد الكبير "مارادونا" بمشاركة عدد من نجوم كرة القدم تأسيس رابطة للاعبي كرة القدم المحترفين؛ للوقوف بوجه قوانين الفيفا الاحتكارية، التي تعد اللاعبين مجرد وسيلة للمنفعة لا صناعا للفرح والبهجة.

اللعبة الشــعبية الأولى في العالم، التي ابتكرت من رحم معاناة عمال المصـــانع في إنجلترا، ورغبتهم في البحث عما يســـليهم وســـط ســـاعات العذاب الطويلة في حمأة النهضـــة الصناعية وتوسع الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس في زهوها الفيكتوري، تتحول بفضل "رجل لم تركل قدماه الكرة أبدا" ـــ كما وصف مارادونا "بلاتر" ـــ إلى صناعة

[198] - جريدة الوطن 2014-4-27

بقوانين مشددة حاسمة، تنصاع لها أعتى القوى السياسية، والأمم التي لم تعتد النظر بجدية إلى تنظيمات المؤسسات الدولية.

دعم محمد بن همام بلاتر في انتخابات 1998 على أمل أن يرد له الجميل، ولكنه كافأه بفتح الملفات التي دفناها سويا، ذهب ابن همام ضحية للتسوية، قبل القطريون التخلص من ابنهم الفذ مقابل كأس العام 2022، وحينما رفع "لينارت يوهانسون" أنفه بوجه بلاتر منافسا قبل أعوام، دعم بلاتر "بلاتيني" منافسا لـ"يوهانسون" كرئيس للاتحاد الأوروبي.

اليوم تحاول أوروبا قليلا كسر الحالة الاحتكارية المادية لكأس العالم؛ أملا في إضعاف الفيفا، فقد جربوا ذلك في "قانون بوسمان" الشهير 1993، الذي حرر اللاعبين، ومنحهم الحرية في الانتقال، وبعد تحرير اللاعبين جاء الدور على المشاهدين، فالفقراء الذين صنعوا كرة القدم يجب أن يشاهدوها مجانا.

عقل التطرف

يفكر العقل المتطرف بآلية واحدة، لا تحتاج إلى كثير جهد لتثبت ذلك. الأمثلة العابرة للتاريخ من مختلف الثقافات، الديانات، الأفكار والمجتمعات تقول إن المتطرفين يتطابقون في كل شيء. وأن ألوانهم، وجذورهم، وجغرافيتهم، وتنوعهم وتمايزهم، لا تلغي حقيقتهم الأصيلة في تجربة الإنسان الطويلة مع التطرف سلوكا وتفكيرا وتنظيرا، يظن المتطرف أنه قادر على اختطاف المجتمعات وفرض ما يراه حقيقة مطلقة عبر وسائل قاتلة، لكن الحقيقة الأزلية أن الإنسان بطبيعته الاجتماعية وغريزته في حب الحياة أميل إلى التعايش والتآلف.

أعرف أنه كلام نظري، لكن من الضروري التشديد عليه في كل تحد يواجهنا، في كل منعطف وطني نمر به مجتمعا وشعبا، دولة ومؤسسات، أرضا وتاريخا وأناسا. يظن المتطرف أن تمايزنا واختلافنا وتنوعنا الإنساني والثقافي والحياتي باب يمكن النفاذ منه إلى الصدام مع الجميع واقتناص لحظة تناقض واهمة في خياله المرضي.

اليوم نرى التوحد الكبير والاصطفاف الوطني خلف مكتسبات وطنية وإنسانية كبيرة، هذا الشعور العارم وطوفان الغضب الوطني أمر لا يمكن لعقل المتطرف استيعابه، يرى العالم من منظار الصراع والتصادم، يقرأ التاريخ من فصول التقاتل العدمي وصفحات

[199] - جريدة الوطن 2014-6-1

الدماء المســـالة، أفكار كالإعمار والتآلف والقبول لا يمكن له فهمها في خيار الموت الذي يحمله في عقله وقلبه.

لذا ومع كل حادثة عابرة نجتاز اختبارا لخيارنا الوطني الذي لا يستثني أحدا بنجاح، مع كل عمل إرهابي نكتشــف أننا أقرب لبعضــنا، مع انكشــاف كل مخطط نوقن ويزداد إيماننا رسوخا بكل التفاصيل التي تشكلنا على هذه الأرض، لن يستطيع أحد اقتلاع ثوابت، الدين والوطن والأرض والقيادة. المحاولات التي تأتي في ســـياق عبثي تدرك أنها عبثية، ولكن لأنها موظفة توظيفا إجراميا تقف خلفه دول ومنظمات ومشـــاريع، فإنها تؤدي هذا الدور كمخلب قط وكعب أخيل إجرامي يرد عليه الناس والمجتمع والمؤسسات والقيادة في كل مرة أقوى وأشد. ولكن لأن عقل المتطرف لا يستوعب لأنه يفكر بآلية واحدة ثابتة فهو يكرر أخطاءه الدموية منذ فجر التاريخ وحتى اليوم.

سيمر التطرف ويصبح ذكرى

يحاول التطرف أن يختطفنا من أوطاننا وأنفسنا، حاول سابقا وسيحاول لاحقا، مع الزمن تغيرت صيغه وتعددت وجوهه، لكن في كل لحظة وموقف كنا حكومة وشعبا، قيادة ومواطنين أقرب لبعضنا البعض، أمنع صفا، وأقوى شكيمة ومواجهة، يعيد الإرهاب تموضعه محاولا الاختراق في كل مرة، يغير الأسلوب بينما الهدف واحد.

فيما مضى حاول وضع الدولة في مواجهة المجتمع الدولي عبر عمليات عابرة للقارات، وحين مني بالفشل حاول داخليا الصدام مع مؤسسات الدولة المتعددة لهز ثقة المواطن بها، ثم بعد ذلك إيذاء المقيمين والمستأمنين من الأجانب لإحراج الحكومة.. والآن يحاول بعث الطائفية عبر استهداف طيف من أطياف مجتمعنا المحترمة، وحكما سيفشل هذا المشروع لأن الوعي الوطني أثبت في مرات كثيرة أنه أكثر حكمة وأعمق فهما لألعاب ومصالح سياسية، تحاول قوى إقليمية معادية وذات مشاريع مضادة لنا وطنا ومجتمعا أن تمررها، ويعكس التفاعل الشعبي والتعاطف الكبير.. هذه الحقيقة.. سيمر التطرف ويصبح ذكرى، سنتذكر مرحلته كما كثيرا من المراحل السابقة عشنا فيها ومعها

---

[200] - جريدة الوطن 2014-5-25

تحديات كبيرة، ســـنعبر جميعا هذا الامتحان أقوى وأكثر إيمانا بوطننا ووطنيتنا، وإن ما حدث سبق أن مرت به شعوب ومجتمعات، اليوم نتوحد جميعا، مؤمنين بمشروع وطن عظيم قاده ملك عظيم يرســـخ في كل يوم ومع كل تحدّ، أن هذا الوطن وجد ليبقى ويستمر أبناؤه في حمايته وتحصينه حتى وإن تعددت التحديات وزادت، اليوم كان حزننا في القطيف، وقبله كان في نجران وجازان والدالوه، في الرياض وجدة والقصـــيم، شمالا وجنوبا، لكن هذا الانصهار الكبير يثبت أننا واحد حتى وإن تمايزنا قليلا واختلفنا، وأن من أضمر شرا لهذه البلاد العظيمة وشعبها الكريم لم يكن ليفهم الرسائل التي يرسلها وأرســـلها الســـعوديون جيلا بعد آخر، ومنطقة إثر أخرى في كل محك وطني واختبار مواطنة وولاء.

اليوم وقبل أن نطوي حزننا على ضحايا الجريمة فإن تكريمهم الحقيقي والكبير أن يتحمل المجرم جزاء جريمته، وأن نمضـــي جميعا للمســـتقبل أعمق إيمانا بوطننا وأكثر تآخيا كمواطنين.

نصائح غير مهمة لشاعر شاب

إن كنت شاعرا فلا تصادق النقاد ولا تتودد لهم، دعهم يتبعونك إلى غاباتك الكثيفة وجبالك الوعرة، ضللهم وورطهم بالوهم، رأيهم لا يجب أن يهمك، لا تعول عليهم في إنصافك، شتيمتك لهم وشتيمتهم لك ارفع الأوسمة وأسمى الإشادات، الناقد والشاعر أعداء حقيقيان وبينهما يجب أن تبقى الحرب مستعرة إلى مالا نهاية، أي تواطؤ هو في غير صالح الشعر والناس، هذا ما يجب أن يرسخ في بالك ويتوطن في لاوعيك، كل ما يقوله النقد منذ الخليقة هو مشروع دمار شعري، كل ما تكتبه هو إعادة إنشاء للحياة والفرق واضح وشاسع، لا تقف كثيرا عند مدائحهم وشتائمهم، لو كانوا يستطيعون إنجاز غير هذا لفعلوا، وإذا كان الشاعر طاووسا فإن الناقد هو الشيطان، الناس لا تعرف النقاد ولكنها تعرف الشعراء، أتفه شطر شعري لأتفه شاعر مبتدئ أهم وأرسخ وأروع وأبقى من كل منجزات نقديات العالم.

النقد كائن طفيلي يعيش على الشعر ويظن واهما أنه لولاه لساء وضعف وأصبح حالة مشاعية للجميع، لا تتوهم أن النقد مهمته اختبار النص وامتحانه وإبراز تفاصيل جمالية مختبئة بين ثناياه! هذه محض خرافات تسوق من أجل إبقاء المهنة مزدهرة ورائجة، تعامل مع كل من يحاول نقد نصك على أنه سيقتلك، لا تتوهم الحياد في نظريات "موت

[201] - جريدة الوطن 18-5-2015

المؤلف"، المؤلف لا يموت، النص لا يفنى، هما المتن وما سواهما الحواشي، هما الأهم وما عداهما تفاصيل لاتهم، لن يقرأ الناس ما قيل حولك، سيقرأ الناس ما قلت وكتبت وعشت، تذكر أن الشاعر أعلى قامة وأخلد سيرة وأبدع خيالا، استدع أي شاعر في بالك من أي حقبة من أحقاب التاريخ وقارنه بمن نقدوه، سترى الفرق، هذا ما أعنيه تحديدا، لا تكن لطيفا ومجاملا ورخوا حول نصك بل شرسا غاضبا مستفزا لأن الشعر حياة ووجود وكيان وقبل هذا إخلاص وصدق ولا أظن في كل ذلك ما يستدعي المهادنة، من يمتدحك شعرا ونصا وتجربة يمنحك شيئا من حقك فلا تتواضع له وهو يؤدي واجبا، اكتب كخالد، واشطب كمبتدئ وتعلم كل يوم حيلة جديدة وكن إنسانا قبل هذا وذاك.

أفكار الأفكار

تساوت الأمور بشكل واضح، لم يعد المثقفون قادرين على قيادة أنفسهم، حتى النظرة الرومانسية للمثقف والنخبة الطليعية للمجتمعات التي مثلتها الثورة الفرنسية ومن ثم الثورة البلشفية تحولت لمجرد "أنتيك" في متحف البشرية، مخزونك وتراكمك المعرفي لا يؤهلك لأي شيء، القدرة على التعبير وتفكيك الأفكار والمواقف بناء على رؤية ما ليست ميزة في هذا الزمن.

الصراحة والحرية بوسائلها أصبحت مشاعا إنسانيا وفرته التقنية التي هي نتاج عولمي، ساد الشعبي وتفوق الحسي الانفعالي اللحظي. الأجيال الشابة لم تعد تأبه بأوهام الانقياد، قدرتها على التعبير عن نفسها أوضح وأعمق وأكثر جرأة، التقنية هي صاحبة الفضل الأكبر لا التنظيرات أو الأفكار، التقنية هي التي ساوت بين الناس وربطتهم ببعض عابرة كل الحواجز.. التقنية هي المفكر الذي يدير الكرة الأرضية ويترك لأفكاره حرية تحديد ما هو صالح وجيد! التقنية التي هي نتيجة زواج التنافسية التجارية والتطور العلمي توحد الجميع وتساوي بينهم وتمنحهم فرصا متعادلة، جيل جديد من منتج يدشن من قبل "أبل" أو "سامسونغ" وغيرها قادر على أحداث صدى أهم من محاضرات الدنيا منذ بدء الحياة وحتى اللحظة، الطوابير الطويلة التي تنتظر لأيام للحصول على جهاز "بلاي ستايشن" أو "اكس بوكس" قبل أعياد رأس السنة أطول من كل الأسطر التي كتبت في شروح وتفسيرات كل النظريات.

عاش داروين في جزيرة منقطعة لينجز فكرة، اليوم يعيش الجميع في جزرهم وينجزون ملايين الأفكار، لم يعد الناس بحاجة لمنفى ماركس ولا هلاوس فرويد، وإذا كانت العولمة قد "جعلت العالم قرية صغيرة" فإن التقنية حولته لمسطح حيث الكل متشابه، إنها لحظة إنسانية مهمة وغير مسبوقة تخلى فيها البشر عن استلهام الرموز في كل المجالات، غدا المراهقون يقودون العالم بإنجازاتهم التي تخرج من مرآب منازلهم المتواضعة لتتحول بعد أشهر قليلة إلى قيم سوقية وأسهم بالمليارات تحرك اقتصادا كونيا هائلا يربط بين أمم شتى، ما دور المفكر في هذا كله؟

شارح النظريات الكبرى وناقد الأفكار، لا شيء، تحول لمتفرج يجلس على المقاعد ويعبر عن ذلك بوسائل ابتكرها مراهقون في عمر أبنائه وربما أحفاده وهكذا الأمر.

الثورة الناقدة

إنها لحظة فارقة لكل مشروع التنوير والنهضة العربي بصيغته الشامية وتنظيرات مفكريه منذ حملة نابليون على مصر والشام 1801، جاءت الثورة السورية 2011 لتقول إن كل ما طرح عن صيغ توافقية في فضاء قومي أحيانا علماني أحيانا أخرى لبناء الدول والمجتمعات استنادا على أفكار التنوير الأوروبي واستجلابا لها في المشرق العربي كان وهما حقيقيا، وإن ما استهلك من نقاشات منذ أكثر من قرنين من الزمن وحتى الآن بتجاربه وصيغه السياسية والفكرية كان هراء محضا ومحاولة للالتفاف على الحقيقة الإسلامية الراسخة في تشكيل وتكوين إرث تلك المجتمعات، لا أحاول قول كلام شعبوي يدغدغ جهة أو طرفا، لكن امتحان الثورة السورية الرهيب منذ مارس 2011 م للأفكار والقناعات والأحزاب والمثقفين يعطينا تلك المحصلة الصادمة التي تحتاج من كل مثقف حقيقي الوقوف أمامها والتساؤل بصدق وصراحة، كيف كنت غبيا إلى هذه الدرجة؟

غضب جورج طرابيشي من الجابري بعد معركة "نقد العقل العربي" الطويلة لأنه ألمح إلى انتمائه الديني في مقال شهير في جريدة الحياة، اليوم يتماهى طرابيشي مع نظام القتل بصمته وحياده لدوافع منها انتماؤه، غير طرابيشي كثيرون، ساسة وفنانون ومثقفون، مطربون تخلوا عن مصالحهم الحياتية وروابطهم المنفعية لدوافع لا تفسير لها، حتى بعد سنوات الصراع الخمسة الطويلة وانكشاف كل القبح واللاإنسانية والسلوكيات التي تتضاد وكل مبادئ الأديان والمذاهب والطوائف إلا أن ذلك التواطؤ غريب، فجأة تخلى

العلمانيون واللادينيون واليساريون عن كل ذلك من أجل الاصطفاف الطائفي في خندق النظام الإجرامي، تكشف لنا التجربة أننا كنا ضحايا لتمويهات فكرية من ذلك الوقت البعيد والنقاش الضبابي حول النهضة بصيغها القومية العلمانية الاشتراكية ومنتجاتها السياسية في المنطقة بعد ذلك، كان الدرس قاسيا وكانت الخديعة مرة ومتقنة استهلكتنا طويلا لكن لحظة فارقة كالثورة السورية وجهت بمشروعها أقوى مشروع نقدي لكل ما طرح وكتب ونظر له شاميا حول أفكار النهضة والتنوير والحداثة.

محاولة وفاء

القصائد فارغة الروح منزوعة المعنى خافتة التوهج، موضوعاتها واحدة بلا إبداع، مفتعلة، مصطنعة، حجرية، قلبها قالبها أولها كآخرها، ذات صبغة واحدة باهتة، في أدنى السلم الإبداعي، شعراؤها على مدى الشعر في آخر الترتيب وذيل القائمة يترنمون بصورة واحدة، يستنهضون قريحتهم في موضوع ميت بصريا، جاف خياليا، هزيل اللحظة، فاتر الحماس، شعراء في اللاشعر، موهومون باللاوهم يكتبون اللاكتابة، ويحجزون أماكن في حيز الفراغ الهائل، لا تغنيهم التجارب ولا ترفدهم القراءات، ولا تدفعهم غيرة الإبداع ومنافسة النجومية إلا لمزيد من التبرم والقنوط، لا يقولون رأيا ولا يكتبون سطرا، مشغولون بمكتسبات اللحظة وغنائم الفتات، يذهبون إلى النسيان بكل أريحية دون أثر ودون تأثير، عابرون في كلام عابر، راحلون في قصيدة رحلت، مسافرون في قافلة اتجهت عامدة إلى المجهول الشعري ورغم ذلك يصرون على ضرب فجوجها المهلكة وصحاريها المليئة باليباس واليأس، رغم أن كلفة المغامرة أقل ونتائجها أعمق أثرا وخلودا، لكن الدعة والطيعية والانقياد تلقي بظلالها فتنتصر الاستكانة وهذا ما لا يليق بالشعر ولا الشاعر ولا القصيدة. الشعر مشروع المغامرة الكبير ورحلة التجربة التي لا تنقطع، سفينة الخيالات وبساط ريح الأحلام السحري، لا يفنيه الوقت ولا يذبله الزمن، ولا تستبدله الفنون، وكلما امتحنته الظروف وتحدته التجديدات بقي شامخا أثيرا أقرب إلى

---

[202] - جريدة الوطن 27-4-2015

الروح وأعمق تعبيرا وأخلد لصـــاحبه. الشـــعر الذي نحاول التخلي عنه فلا يتخلى عنا لكننا نحتاج فقط إن نكون أوفياء ونكتبه بشكل جيد ونقرأه بما هو جميل ولائق.

حرب بدوافع ثقافية

إنها ليست حربا بمفهومها التقليدي، بل حرب هوية وقومية وثقافة.. صراع وجود قبل أن يكون صراع حدود.

جاءت عاصفة الحزم لتبعث نار الأمل في النفوس من جديد، وتوقظ ماردا طال به الغياب، لم نكن أقوى لا عسكريا ولا إعلاميا خلال حرب تحرير الكويت 1991 لكن ذلك لم يؤثر أبدا، تحررت الكويت وحمت المملكة حدودها من تحد خطير. واليوم نحن أقوى عسكريا وسياسيا وإعلاميا ألف مرة، وحتما سننتصر بدوافعنا الأخلاقية وقوتنا العسكرية والمجتمعية المتوحدة خلف قيادتنا. لا يهم ما يتفوه به منبر تافه هنا أو مسؤول حزبي هناك في مسننات دعاية المشروع الإيراني في المنطقة.. لم يسكتوا أساسا ولو كانوا يملكون من التأثير شيئا لما وفروه خلال دخول قوات درع الجزيرة لدولة البحرين 2011. هم اليوم في موقف أضعف ووضع أقل لذا يجيء هذا الصراخ المتصاعد ليعطي مؤشرا على حجم الأزمة، أزمة الانهيار والتداعي ونهاية الحلم الإمبراطوري المدفوع بخيالات التاريخ وهذيانات السير. الذين خبروا حرب تحرير الكويت يتذكرون كيف كانت غالبية الإعلام العربي والأحزاب والفعاليات السياسية والفكرية والاجتماعية تصطف ضد قرار المملكة التاريخي حينها، كانت الهجمة شرسة وترتدي رداء أخلاقيا، كان الناس يتابعون في الأعم منابر محددة إذاعية وصحفية، كانوا أكثر براءة لكن في نهاية ذلك كله كانت هناك تجربة حقيقية محصت الجميع.

تعلم مجتمعنا الدرس جيدا ولم تعد تنطلي عليه التخريجات اللفظية والشقلبات الكلامية، اليوم غالبية الأحزاب والفعاليات السياسية والفكرية والاجتماعية العربية بشكل أساسي من أقصى اليسار وحتى أقصى اليمين هي في أغلبها تدعم قرار الملك سلمان بدعم الشرعية في اليمن عبر عاصفة الحزم، وترى فيه إنقاذا لمهددات كثيرة للهوية العربية والإسلامية، للمنطقة والعالم من امتداد توسعي محكوم بوهم التاريخ وتراكمات الثأر وهوس القومية، كلها منطلقات ثقافية كانت وما زالت، وستبقى.

صناعة السياحة الثقافية

افتتح خادم الحرمين مشروع تطوير حي البجيري في الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى الأسبوع الفائت. كانت اللفتة واضحة والرسالة مباشرة في دفع فكرة السياحة الثقافية نحو مستوى مختلف من التعاطي والاهتمام.

السياحة الثقافية التي هي -حتما- منجم الاستثمارات القادمة، إذا يمكن القول إن السعودية من البلدان السياحية البكر التي تكاد تكون مجهولة لمراكز الجذب في معظم دول العالم، رغم أن المنطقة العربية والشرق الأوسط تحديدا منطقة مثيرة وملهبة للخيال والقصص الدينية والتاريخية.

إضافة إلى الميثولوجيا الهائلة التي تستوطن في بقاع ومناطق لها عمقها في الزمن، فإننا لو استطعنا إقناع شركات متخصصة في الجذب السياحي والترويج الترفيهي مع استثمارات مهمة، أظن أنه في الإمكان تحقيق اختراق حضاري كبير، يقدمنا إلى العالم بصورة معقولة ومنطقية وعادلة أيضا، تغني عن حملات الدعاية وخطط العلاقات العامة، كما أن التفكير في أنماط سياحية ثقافية -بمعنى رحلات أو حياة غابرة معاشة مستلهمة من تاريخ الشخصيات العربية والإسلامية- سيكون شيئا لافتا وفيه رسائل كثيرة حضارية وإنسانية.

---

[203] - جريدة الوطن 13-4-2015

إن التركيز على الفعاليات ذات الطابع الاستهلاكي العولمي يفقدنا مميزاتنا وهويتنا، فضلا عن أنه يكشف عجزنا عن مجاراة دول ومجتمعات لها تميزها في الأمر تسويقا واحتفاء وتمويلا.

الثقافة هي جوهر فكرة السياحة. مكتسباتها هي ما تجعلك شخصا مختلفا ومميزا، لا يبحث الناس في الأغلب عما هو حسي، بل عما هو روحي يضيف ويقوي ويشحذ ويشحن في مواجهة الحياة. لذا فإن هذا التوق الهائل لارتياد عوالم مجهولة وغرائبية هو ما يحفز الناس للبحث والمغامرة في بقاع شتى من العالم.

نعم، نملك أشياء كثيرة مميزة وتاريخا حافلا، لكن استثمارها بشكل جيد هو ما ينقصنا والخبرة التي يجب أن نحصل عليها سريعا، وأجزم أنه إذا ما تم هذا الأمر فإننا سنصبح من المناطق الجاذبة سياحيا. نبيع الشمس والصحارى الشاسعة والحكايات والتاريخ، والشواطئ النظيفة لمن يريدها. نبيع الثقافة المختلفة والقصص الاستثنائية مع الاسترخاء والبعد عن القلق والاعتزال عن الضغوط لمن رغب. فالذي حوَّل السعودية إلى قطب اقتصادي وسياسي ورياضي مهم، قادر على تحويلها إلى قطب سياحي كذلك.

حرب احتواء الفوضى

لا يمكن أن ننظر إلى "عاصفة الحزم" إلا كونها خيارا أخيرا ضد كل من يهدد وجودنا أمة ووطنا بعد استنفاد وسائل الدبلوماسية وسجالات الحوار. لا أحد يحب الحرب لكنها ليست خيارا سيئا بالمطلق ربما يفهم منها الآخرون بشكل صائب ما غفلوا عنه بشكل خاطئ، ومن مدلولات التسمية والمسمى تفهم الرسالة الواضحة والمباشرة أنه لا تهاون مع من يريد العبث بأمن البلاد واستقرارها عن طريق زعزعة أمن اليمن.

رسالة الحزم والحسم المباشرة بوجه العبث والفوضى واستقواء أطراف على أخرى لكن في كل الأحوال فإن من يريد تجربة السعوديين وغضبهم عليه أن يتحمل التبعات، لينظر لدرس التاريخ وسيرة الجغرافيا الطويلة حتما ستنبئه بأمور كثيرة، فالتاريخ حالة تكرار وقصة معادة، هذا ما حدث مع الذين قرأوا المسألة بشكل خاطئ.

نعم لا يحبذ السعوديون العنف لكن لا يعني هذا مطلقا أنهم طيعون واليوم تنفذ أسراب مقاتلات التحالف على الأرض ما رفض الآخرون تنفيذه على طاولات الحوار ورحلات الدبلوماسية، لكن في كل الأحوال نسأل الله أن يحفظ وطننا ويرد كيد الكائدين وتستقر حال اليمن الشقيق في ظل قيادته الشرعية، بعيدا عن مغامرات السياسة وشقلبات السياسيين الذين دفعوا اليمن إلى هذا الموقف الحرج. حرب فرضتها الظروف علينا

---

[204] - جريدة الوطن 5-4-2015

وعليهم، حرب بدوافع أخلاقية وهذا ما لم يحدث من زمن طويل، حيث الحروب للمصلحة الخالصة والأطماع التي لا تنتهي، لكن هذه الحرب من أجل المبادئية وقيم الإنسانية وروابط الجغرافيا وردع العبث واحتواء الفوضى.

معرض لكل مدينة

معرض في جدة، ومعرض في الرياض، ومعرض في الدمام، ومعرض لكل مدينة سعودية. يكاد السعوديون يكونون القوة الشرائية المؤثرة الوحيدة الباقية في سوق الكتاب، عربيا على الأقل.

ما تبقى من دور النشر العربية تنازع، لولا بقايا دعم مالي يوفرها معرض الرياض، تضاءلت سوق النشر العربية وتقلصت لأسباب عدة، بينها ما هو سياسي واجتماعي، هذا فيما بقي من الدول العربية. دور النشر التي تنشر عناوين مثيرة ولها قابلية تتناغم عادة مع ما هو محلي، لذا فمن الطبيعي أن تقود دور النشر السعودية رأسمالا ونتاجا نجومية معرض الكتاب السنوي إيرادات وإثارة.

طيب لنرى الفكرة من منظار آخر تجاري بحت، لماذا لا تتولى جهة ما، حكومية أو شبه حكومية أو قطاعا خاصا فكرة معرض للكتاب يتحرك في كل المناطق، المسألة مشروع تجاري بحت. دع عنكم شعارات التنوير وضرورة الثقافة. تخيلوا أن يتكرر هذا في أكثر من مدينة، تقوم الجهة المنظمة بدعوة الجميع مع سلسلة نشاطات مصاحبة، ستتحقق مكاسب عدة، يخف هذا الزخم البشري، تتحقق فرصة أكبر لعدد أكبر في مناطق أبعد، المسألة صناعة والفعاليات صناعة وفن ومال وتنمية أيضا. أعرف أن هناك مواصفات واشتراطات ذات طبيعة دولية لإسباغ شعار المظلة الدولية المنظمة للحدث، لكن هذا لا يهم وغير مؤثر أو يمكن أن يبقى معرض الرياض هو الحدث الرسمي فيما المعارض الأخرى

---

[205] - جريدة الوطن 23-3-2015

لها صفة مختلفة، لا أظن هنا التوصيف والصبغة شيئين مهمين، لكن في كل الأحوال قلة هي الشعوب التي تتفاعل مع معارض الكتب، وتتفاعل معها على أنها حياة وحدث استثنائي.

الحرج من الحضارة

الاصطدام مع التاريخ مشكلة كبيرة، تحطيم الإرث الإنساني مشكلة أكبر. في عصور التاريخ المختلفة تكررت كثيرا محاولات من هنا وهناك، محلية وخارجية، لشطب وتدمير الآثار الإنسانية الحضارية، في العراق واليمن وسورية ومصر، لكن لا أحد يتذكرها أو يورد ها إلا في سبيل الإشارة لنماذج كانت دائما على غير سياق التطور والارتقاءات الحضارية، لا أحد يتذكر أولئك الذين حاولوا مسح حضارة البشر إلا بكثير من الازدراء والسخرية.

نابليون الإصلاحي الكبير لا ينسى له العالم جدع أنف أبا الهول وتدمير أسوار عكا التاريخية.. إن التراث الإنساني وشواهده الموجودة في كل أرجاء العالم هي ميراث مشترك.. المكان في حقيقته لا يعني شيئا لاسيما في لحظة تكاد توحد الجميع، لكننا نكاد نكون الأمة الوحيدة التي تمر بمرحلة صعبة ودقيقة يمكن تسميها بـــ"حرج الوجود" الحضاري.. يمسح إرثنا الإنساني وشواهدنا الحضارية ونكتفي بالصمت: العراق، سورية، واليمن، بواكير الظهور الإنساني وبشارة التطور، تتعرض كل تلك البلاد بشجرها وحجرها وإنسانها إلى محاولة شطب وإلغاء غريبة، مجهولة الأسباب والمصادر، يتنافس أبنائها في كيفية سحقها وشطبها، يبتكرون أساليب جهنمية في قتل كل ما كانت تمثله من رمزيات في الثقافة الإنسانية، من الثيران المجنحة وحتى ليالي ألف ليلة مرورا بزنوبيا

[206] - جريدة الوطن 15-3-2015

وتل العمارنة.. كل شيء يسرق وينهب، يدمر بصواريخ ومعاول، وتباع الآثار في مزاد مافيات التهريب لتشتريها متاحف العالم. حرج الوجود الحضاري والإنساني يزداد يوما عن يوم بانتظار الفرج والانفراج.

عن رجل خدع الجميع

الذين قرأوا أمين معلوف بشـــكل جيد، يعرفون أن الرجل يقدم تقريرا صــــحفيا من التاريخ. هذا التجول عبر الأزمنة بدأه منذ كتابه الأول: "الحروب الصـــليبية كما رآها العرب". كان كتابا للفرنسيين الذين قادوا تلك الحملات الدموية المجنونة لمئتي عام.

قدم لهم الرجل الذي جاء من لبنان هاربا بعد اندلاع الحرب الأهلية قصــــة خبرية عما فعله أجدادهم قبل ألف عام في الشـرق السـحري، حكايات ألف ليلة ومصـباح علاء الدين وحريم السلطان وسلالات الخيول الأصيلة، ذكاء صحفي بسيط لا موهبة روائية، "ليون الأفريقي" ثم "سمرقند"، جائزة هنا وتكريم هناك، حملة رواج يجيدها اللبنانيون، خلطة موارنة على فرانكفونيين وهكذا ســارت الأمور. حاول الرجل دفع الأمر قليلا. صـخرة طانيوس ورحلة بلدســار وســلالم الشـرق والهويات القاتلة، ذات المهمة بذات الرجل، إعادة بيع الشـــرق على الغرب، الغرب المهووس بحكايات التســلط والنزعات السادية والرغبات الحسية ولذاتها اللانهائية. قصة بسيطة وتركيبة أبسط قادرة على ضبط الأمور وتثبيت الحالة وتكريس الاسم.

لكن هل أمين معلوف روائي حقيقي؟ هل يملك تلك الموهبة الصادقة؟ هل قرأ أمين معلوف رواية أصلا؟ هل كتب رواية أصلا؟ كيف انعكست الأمور على واقع الرواية

---

[207] - جريدة الوطن 2-3-2015

إجمالا؟ هل قادت إلى وجود تيار جديد، كما رواية "اسم الوردة" مثلا وانعكاساتها على "دان براون" مثلا؟ يوسف زيدان ما علاقته بأمين معلوف؟. أسئلة أراها مهمة وضرورية ولافتة.

خطوة تلد أخرى

تناقش المجتمعات تاريخها من خلال الأعمال الدرامية. بدأ المصـــريون الأمر وتبعهم السوريون ثم الكويتيون. فتجربة تقليب الماضي وعكس النقلات الاجتماعية والسياسية والفكرية التي مرت بها مصر، أطلقها أسامة أنور عكاشة في "ليالي الحلمية" وكررها في أكثر من عمل. طرح الســـوريون وجهتهم في "أخوة التراب" وأعمال أخرى أقل أهمية. الكويتيون تناولوا المسألة في ثلاثية "ساهر الليل" من الستينات وحتى غزو التسعينات العراقي.

تستحق المرحلة تأملا عميقا وأكثر من قراءة، لا سيما أن تفاعلاتها مستمرة والذاكرة ما زالت طرية بكثير من القصص والمواقف والشهود الأحياء، فنقاش الماضي مهم جدا، لكن الأكثر أهمية هو تحديد موقف نقدي منه لا نسخه بتفاصيله، لأننا إن فعلنا فكأننا ننشط ذاكرتنا فقط لا نستعيد حدثا تاريخيا وفارقا.

سعوديا، توجد مراحل تاريخية من المهم الوقوف أمامها ونقلها لمن لم يعايشوها، وحتى نصل إلى تلك الخطوة سنحتاج قليلا من الوقت وكثيرا من التجارب المشابهة التي تشجعنا على هذه الخطوة.

فالدراما الآن هي الذاكرة التي تفتح الأسئلة وتوجِد عملية إنعاش لوعي المجتمع قبل أن يطوي التاريخ تلك الفصول. ورغم الملاحظات الكثيرة على "ليالي الحلمية" و"أخوة

[208] - جريدة الوطن 23-2-2015

التراب" و"ساهر الليل" إلا أنها حركت مياها راكدة في الأفكار التي من الممكن تجسيدها تلفزيونيا، بالضبط كما تفعل الأعمال التاريخية التي تقدم وجهة نظر وموقفا مما حدث لا أن تعيد إنتاج ما كتبه متتبعو السير.

فموقف الكاتب والمخرج وتحليلهما مهم جدا وإلا فما فائدة التجربة، وأظن أن هذه المرحلة قادمة للدراما السعودية.

وبلا شك أن مستوى الحرية في التناولات يرتفع من عام لآخر، والأفكار تزيد جرأتها مع الزمن، كما أن هناك نشـــاطا إنتاجيا مشـــجعا يعيش محيطا شـــديد التنافســـية، ومهيأ وجاهزا، لكنه في انتظار من يعلق الجرس ويخطو نحو التجربة الأولى، وحينها ســــتنفتح الدراما الســـعودية على مناخ خصـــب وهائل، مليء بالمواضـــيع والأفكار التي أظن أنها أكثر غنى وتنوعا وقدرة على جذب الجمهور.

المهرجان الذي لا يمهرج!

انتفت الحاجة إلى المهرجانات الثقافية. الدعوات التي توزع أصبحت تتراكم لدى أصحابها، ولا تجد من يستجيب. المثقفون عشاق "الكعب الداير" الثقافي الذين يبيعون ذات الكلام في كل حدث بعد أن يغيروا المانشيت والمواقع انقرضوا مثل أشياء كثيرة.

كان المهرجان مرحلة في تطور وحراك الثقافة، بات الآن مظهر إدانة وعلامة استفهام وشبهات كثيرة متعددة، كانت المهرجانات غطاء لكسب الولاءات السياسية المتناثرة، وحشد الأنصار والمؤيدين وحملات الدعاية. الآن انفجرت وسائل الإعلام بساعات البث المفتوحة والتحديثات اللحظية، صار كل شيء مكشوفا وواضحا، حتى التناقضات وحبال المواقف التي كان يلعب عليها المثقفون بين معسكر وآخر انكشفت، صار المهرجان عبئا حقيقيا وفكرة من زمن قديم تماما كاتحادات الكتاب والروابط القارية والإقليمية للمبدعين، صارت الثقافة أكثر حرية وانفلاتا، والمؤسسات التي عادة تتبنى مثل هذه الأفكار غير قادرة على مطاردة هذا الإيقاع السريع لأسباب كثيرة منها بناها البيروقراطية، ماتت فكرة "الجماعية" في الفعل الثقافي، الفردية هي المشروع الحقيقي والمنجز الذي يبقى ويخلد، سنوات قليلة ربما على أصابع اليد وبعدها ربما تتحول فكرة المهرجان الثقافي إلى متحف الحياة، تصبح "سيفونير" لطيفا عن التطور الإنساني، لا أحد يقبل التوصيات التي يتركها خلفهم عشرات ممن يحتشدون في ردهات الفنادق

---

[209] - جريدة الوطن 16-2-2015

الفخمة في عواصــم الخليج بشــكل ســنوي، حملات التعارف والتواصــل بين الضــيوف انتفت من الدورة الأولى، لأنهم يتكررون كل عام، ويمكن وبضمير مرتاح القول: إن هذا ينســـحب على التجمعات ذات الطابع الفكري النقدي، وورش الأفكار ذات العناوين الرنانة التي ترقب تحديات المســتقبل وخلافه ســواء بفاتريناتها الســياســية أو الفكرية أو الدينية أو الإبداعية.

سلمان ملكا ومثقفا

لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز اهتماماته الثقافية المتنوعة، بين ما هو تاريخي وإعلامي وسجالي، كردوده المتفاعلة عبر الصحف أو المنابر المختلفة، مئات المثقفين سعوديين وعربا قادرون على سرد مئات المواقف التي حدثت لهم أو حضروها أو سمعوا عنها، فالرجل الذي تبنى مشروع الرياض كعاصمة للثقافة العربية عام 2000، ودعم تأسيسا وإنشاء دارة الملك عبدالعزيز بمطبوعاتها وندواتها، ومؤسسة الشيخ حمد الجاسر، وقائد مشروع تطوير الدرعية التاريخية بكل ما تحمله المدينة والاسم من رمزية ودلالات، ومبتكر معرض "الرياض بين الأمس واليوم"، وعشرات المشاريع المماثلة، وأيضا طبعته تجربة الحاكم الإداري بصفات عدة ولافتة كانت المؤسسات الثقافية والإعلامية بكل ما تزخر به من أسماء ومثقفين وإشكالات قريبة منه وقريبا منها صديقا وناصحا وداعما يوجه ويوضح ويصحح. يتدخل فيما يستوجب ومحايدا حين يستلزم الحياد، لم يرتب يوما من مثقف، لم يبن علاقته معهم على اتجاه إملائي واحد بل على تناظر حقيقي محوره الدقة والصدقية.

إن إيمان الملك سلمان الحقيقي بالثقافة كمشروع إنساني قادر على تقديم أوجه البلاد الحضارية والإنسانية المتعددة والثرية، جسدته إشارات لافتة في التعيينات الملكية التي حملت أسماء لها حضورها وتأثيرها في المشهد الثقافي، وستسهم في بلورة الأفكار

[210] - جريدة الوطن 9-2-2015

والمشـــاريع المســـتقبلية التي حتما لن تتجاوزها الرؤية "الســـلمانية" التي دعمت طويلا مشاريع وأفكارا كثيرة في الماضي.

إن قيمـــة الملـــك ســـلمان كمثقـــف حقيقـــي ومحـــاور لـــه حضـــوره وســـجالاته لم يـــنقص منهـــا يومـــا شـــكل وحجـــم ولا نوعيـــة المســـؤوليات، بـــل كانـــت علـــى الـــدوام صـــفته كمثقـــف ومحـــاور ومهـــتم حقيقـــي بالنقـــاش ملازمـــة لـــه في كـــل مراحل حياته الإدارية والإنسانية.

محاولة للجهل

الثقافة ليست إخوانيات شعرية وشعورية ولا بكائيات وليست شعرا ورواية وقصة وتنظيرات، ليست صفحات تجيد الرثاء ولا محاضرات لا يحضرها أحد، ليست مقالات تجريدية لأشباه متعلمين ولا مشاريع فكرية في الخيال، ليست معارك ولا مهادنات، ليست مديحا ولا هجاء، ليست فعاليات ومهرجانات فلكلورية، ليست نقدا ولا سجالا، ليست أسابيع ثقافية ولا دعوات رسمية، ليست قنوات بلا روح ومقابلات بلا فائدة، ليست رموزا احتفائية وأهرامات ورقية، لا تتحرك من عقد وتنطلق لأوهام، ليست دوريات ومطبوعات وإصدارات ودور نشر، ليست مراكز شباب ونقابات واتحادات وأندية ولا إشادات وتبادل منافع وحفلات توقيع ومعارض كتب، ليست تراكما وبواكير نهضة ومطابع وأوائل المتعلمين، ليست مؤسسات وليست أفرادا ولا ظواهر ولا انكسارات مجتمع ولا خيبات مثقفين، ليست صدمات مفاجئة ولا زلازل فكرية، ليست كتابة وليست محوا، وليست كشفا ولا تمويها، ليست معرفة ولا جهلا، رغم تعريفاتها الكثيرة إلا أنها مازالت غامضة ومستترة، مربكة ومرتبكة، وعاء ولغة وطريقة تفكير وكتابة وتناولا، إنها الحيرة الجميلة اللذيذة التي استهلكت منا كثيرا، حاولنا حصرها وتأطيرها وربطها، لكننا في كل مرة نفشل بشكل ذريع، نفشل ويسهم فشلنا في كل مرة في زيادة شغفنا، ليست الثقافة تنويرا وليست تجهيلا ولا بين بين، ليست

[211] - جريدة الوطن 19-1-2015

الثقافة برستيجا وليست ضرورة، ليست شيئا ثانويا وليست أساسا، ليست يقينا وليست وهما، ليست قراءات ولا كتابة، ليست تنميطا وإذابة، ليست توحيدا أو اختلافا، ليست تباينا أو اتفاقا، هي شيء من كل شيء، خليط من أوهام كثيرة وجميلة.

اللارمز

إنه زمن الفردانية الشديدة، انتفت الحاجة للرموز على كل الجهات والأصعدة، لم يعد هناك آباء ثقافيون للمجتمعات، أصبحت الأفكار تتحرك بشكل أفقي ومسطح بعد أن كانت تأخذ تسلسلا رأسيا، تحول الفرد إلى حالة متكاملة متحركة تؤثر وتتأثر وتتفاعل بشكل لحظي سريع وعشوائي، متجاوزة كل الفواصل والحواجز الثقافية والاجتماعية والجغرافية، انقضى ذلك الوقت الذي كان يستهلكه المفكرون لإنتاج نظرياتهم وتحليلاتهم وصياغاتهم حول كل شيء، النمط العالمي وصل الآن ذروة مشروعه الكامل في مختلف الاتجاهات، تغريدة مختصرة تجول أطراف الأرض في اللحظة ذاتها والتأثير.

اكتشف الناس أنهم أكثر قدرة وتواصلا وعمقا من كثير من المثقفين، لم يعودوا بحاجة إلى أوهام المثقف وتنظيراته القاصرة المعزولة التي يمكن لمس فشلها ولا جدواها، محليا يمكن قراءة هذا في ملمح "التهافت" الكبير ومغازلة الشعبي طرحا وأفكارا وقضايا، وتبنيات بعض الذين لازالوا يحاولون الإبقاء على شيء من احترام تؤكد وتثبت هذا الموضوع يوما بعد آخر، انهارت أبراج المثقفين العاجية وتساوت حجارتها المفترضة على الأرض، شاعت حالة المساواة الفكرية والثقافية كأجمل ما يكون، ألغيت جبرا الفواصل الافتراضية بين الجميع، حالة السجال اليومي واللحظي كشفت الكل ووضعتهم على

---

[212] - جريدة الوطن 11-1-2015

المحك، إنها مرحلة "اللارمز" الجديدة، حيث تشطب البشرية وتسقط وهما سيطر عليها مبكرا وحبس أفكارها طويلا، أصبح الرمز شيئا من الماضي، والمجد للفردي من الأفكار والبشر والممارسات، فيما الانكفاء والانحسار والتقهقر للجماعيات بكافة تفصيلاتها، صاغت التكنولوجيا مشروعها الإنساني الفكري الجديد، و"المثقفون البطريركيون" ينضمون إلى قائمة الضحايا الطويلة، أصبحوا يسقطون في اختبارات أخلاقية أولية، ينهارون مع قضايا يومية بسيطة تمس صميم ما نظروا له طويلا، تماهوا مع تناقضاتهم وتألفوا مع المتوحش والبدائي واللاحضاري واللاإنساني، وكل يوم تنكشف نماذج، صار الناس سواء في كل شيء وتحققت حرية المعرفة والتعبير بالتكنولوجيا ولا غيرها، وفي كل يوم تتحقق وسيلة وأداة تعزز ذلك وتعمق مكتسبا بشريا جديدا.

في حيرة القارئ

أقل ما في الرواية اللغة. أعلى ما فيها الحبكة. أقل ما في الشعر المباشرة. أعلى ما فيه الغموض. أقل ما في النقد الإيغال. أعلى ما فيه الكشف. أغنى ما في الرواية التفاصيل. أفقر ما بها النهايات. أغنى ما في الشعر الخيال. أفقر ما به الشعراء. أغنى ما في النقد صراحته. أفقر ما به الاحتفائية. النقد صدى لا ضرورة.

القصيدة ضرورة لا أنتيك" شعوري. الرواية ما بينهما. الشاعر مشروع ناقص. الروائي حالة اكتمال. الناقد لا هذا ولا ذاك. الشعر إكمال نقص الواقع. الرواية تفترضه. النقد يلهث خلف الثلاثة. للشاعر حبره ودخانه وخياله، للروائي شخوصه ومساراته وحدوتته التي يباغت بها، للناقد مسطرة جامدة وعين ومنهج، القصيدة نص موارب، الرواية سردية تحتمل فيما القراءة النقدية مكشوفة دون أسوار أو أسلحة.

يتوارى الروائي عبر شخوصه وينكشف الشاعر عبر نصه فيما الناقد حائر في منتصف النص والنص الرديف وحيدا. الرواية فعل والشعر فعالية والنقد بانتظارهما حتى يتحركان. يكتب الناقد شعرا أقل ورأيا دقيقا. يكتب الشاعر نصا للتأويل بآراء أقل. يموه الروائي ويكشف الناقد وما بينهما يحتار الشاعر ويتحرك. كان الشعر أولا وظفته لاحقا الرواية وجاء النقد يلهث بعد أزمنة

[213] - جريدة الوطن 4-1-2015

بتنظيرات وردود أفعال. النقد صديق الرواية خصم الروائي. الناقد خصم للنص والشاعر. الروائي والشاعر يريانه مجرد محاولة. المحاولة تغوي الشاعر.

يستريب منها الروائي ويتجاهلها الناقد. الناقد شرس في نصه. الروائي أكثر تسامحا. الشاعر يتخلى عنه. القصيدة تجربة. الرواية مشروع. النقد إضافة. يتأثر الشاعر ويغار. يستلهم الروائي ويقلد. يبغض الناقد ويتجاهل.

الشاعر نرجسي انفعالي. الروائي صبور هادئ. الناقد دؤوب وجامد. القارئ يربكه الشاعر. يتعاطف مع الروائي ويتجاهل الناقد. القارئ غنيمة الكاتب الأبدية شاعرا وروائيا وناقدا مع كل نص منجز ومشروع جديد سواء كان قصيدة أو رواية أو قراءة نقدية.

طاقة المشافهة

لم يعد مهما أن تكتب أو تقرأ أو تتخصص أو تتبنى مشروعا فكريا إبداعيا ثقافيا ما، ذلك يستهلك زمنا، والزمن لم يعد يملك حتى نفسه من سرعة إيقاع الحياة وتغييراتها.

كانت فكرة النضوج والاختمار والخبرة مهمة في كل مشروع إنساني فكري حياتي سلوكي، حيث تؤثر الخلاصات المعرفية والمكتسبات الحياتية في الآخرين وتكسبهم تقنيات إضافية في منازلة الحياة والصمود بوجه انعطافاتها، واليوم يشطب هذا الشرط المهم في ما يخص الكتابة. صارت الاندفاعة البكر المحاطة في الأغلب بجهالات البدايات ما يجذب أكثر. أصبح الخبرة والتراكم يستهلكان وقتا وجلدا ويخلقان رتابة لا تغري، إضافة إلى ما يمكن تسميته بجاذبية المشافهة التي حولت الجميع إلى مشاريع صوتية، تكتب وتدون وتتفاعل بأصواتها لا غير. استنفدت طاقة المشافهة الجميع فيما جاءت المنابر الكثيرة إن تلفزيونية أو إذاعية أو إلكترونية وغيرها إلى استيعاب كل ما ينتج شفاهيا قبل أن يتحول إلى بذرة مباشرة.

يؤ تراجعت الكتابة الحقيقية إلى مراحل متأخرة وحلت دونها إغراءات كثيرة لحظية الحصد وهذا ما أنتج كثيرا من مشاريع المشافهة المتحركة يمكن ملاحظتها بقوة في جولة يومية سريعة على الشاشات وسواها أو حتى في حياتنا اليومية بدوائرها الضيقة، كالعمل ومنزل وأصدقاء، إضافة لما تم لا يمكن إهمال العوامل السياسية إطلاقا في إشغال الجميع

---

[214] - جريدة الوطن 22-12-2014

في الورشة الحكائية الهائلة التي تدور في المنطقة منذ سبتمبر 2001، والتي أنتجت اسماء ومواقف منحت أضـــعاف قيمتها الحقيقية ووســـعت دائرة تأثيراتها وخلق منها نجوم وهميون، استسهلت عملية صناعة النجومية الفكرية ما جعلنا اليوم محاطين بهذا الكم الكبير من المحللين والقراء والمفكرين والنخب الوهمية، نتاج مرحلة ما بعد سبتمبر والطاقة الهائلة المفرغة في الهواء بصـوتها المرتفع المزعج وغير ذي جدوى والذي جاء لملء فراغ ما قبله.

عن حق الكتابة

الهجوم الكبير ضد نوعيات ومستويات النتاجات والإصدارات الجديدة لشباب ونجوم مواقع التواصل وآخرين في مجالات أخرى، التي تعالت ساخرة وبروح استهزائية تكشف وجود وصايات أدبية وشرطة كتابية تحاول أن تقول للآخرين ماهية ما يكتب وما لا يكتب، وأن هناك نماذج جاهزة قالبية يجب اتباعها للنشر والكتابة.. محاولات التتفيه وروح الاستعلاء والمقارنات والشتائم أحيانا تقول إن الكتابة التي هي الفضاء الحر للإنسان، كما الأفكار، يجب أن تدخل إلى حظائر خيالية حتى يمكن التعامل معها وأخذها على محمل الجد. صحيح أن منطلقات أخلاقية ودوافع صادقة خلف حملات النقد الساخرة ضد النتاجات الجديدة وهذا ما افترض، لكن هذا لا يعطي الحق كاملا بأن يمارس هذا القصف الثقيل والمكثف لكل من حاول طرح أفكاره وإشاعتها والتعبير عنها. السذاجة نسبية والسطحية نسبية، والإبداع نسبي، وما تراه أنت جميلا ربما يراه آخرون غير ذلك، وبالتالي ما تراه إبداعيا ربما له وجه آخر وقصص وآراء أخرى تعيدنا إلى أول مبادئ النقد.

لا أحاول هنا إطلاقا رفع مستوى تلك النتاجات وتبجيلها وبالتالي مقارنتها بأعمال أخرى من مراحل سابقة وحالية، وبالتالي تطبيق مسطرة نقدية دقيقة على كل النتاجات

[215] - جريدة الوطن 15-12-2014

والتعامل معها بجدية أكثر.. لكن أن تتحول الكتابة إلى خيار أجيال شابة جديدة فهذا شيء إيجابي ومبهج، بعيدا عن المستويات التي هي حتما متباينة وشديدة الاختلاف، مبشر كثيرا أن تكون الطباعة والنشر وقبلهما الكتابة حتى لو كانت ذات أبعاد بوحية ومباشرة وحسية وساذجة إلى منقذ ومنفذ لأجيال جديدة طالما انتقدنا انشغالها بالماديات وعوالم التقنيات واهتمامات أخرى نظنها غير جادة وأصيلة، كما لا يظن ظان أن هناك فصلا وانعزالا بين مستويات ما يقدم عربيا في كل الدول وما بين ما يقدم هنا. أغلب النتاجات الشابة هناك في الدول العربية كما هنا على هذه المستويات وما حولها. هم يعانون كما نعاني من ذات الإشكالية. إنها مرحلة واحدة وموجة مترابطة تأثرت بمؤثرات متشابهة فبالتالي كانت نتيجتها متشابهة على الأرجح. لا أحد ينوح أو يبكي، لا أبوات نقدية في الكتابة كما في الخيال كما في الأفكار جميعنا متساوون ولنا ذات الحقوق، والكتابة حق يشترطها ويطرحها وينفذها ويفلسفها وينجزها صاحبها.

عام فقير وممل

بجهد حاولت تذكر ملامح تساعد على تمييز عامنا الراحل هذا، وبصراحة فشلت باستثناء ومض أسماء لراحلين لم يكونوا كثرا على مشهدينا المحلي والعربي.

عام محايد الشكل والصفات انطوت أيامه المملة بسرعة على غير عادة الملل، لا معارك ولا سجالات ولا كتب مثيرة ولا فضائح ولا شتائم ولا مفاجآت ولا إصدارات، مضت شهوره لا تحمل سوى تطورات "داعش".

المقالات التجريدية استمرت في تأدية دورها وحضورها المستمر منذ عقود رغم أن أحدا لا يأبه. الإخوانيات الشعرية كما هي وستظل منبئة عن طفولات ذائقية وفهم منقوص للشعر والحياة. القراءات النقدية لا تزال تجامل نفايات نصية هنا وهناك بين مطبوعة وأخرى، البرامج التلفزيونية التي لا يشاهدها أحد لا تزال تلهث بحماس حتى لا يشاهدها أحد. المهرجانات عينها في المنطقة تتضاءل وتتقلص وتفقد في كل دورة عددا من وجوهها المزمنة. تلتهم العزلة بأنياب الإحباط واليأس كل يوم فنانا ومبدعا لتقصيه في متاهتها. حاولت بقوة وحماس تذكر ما يمكن تذكره وعجزت باستسلام بارد، لا أسماء ركزت في الذاكرة كمسامير، لا كتب أدهشت، لا مشاريع مبشرة، والمعارك ذاتها من نصف قرن والحجج عينها والأطراف هم هم، لا قضايا جدلية، لا أصداء جاذبة..

---

[216] - جريدة الوطن 7-12-2014

انغلقت منابر الثقافة العربية كل على قضـــاياه اليومية واشـــتبكوا ما بين الســـياســـي والســـياســـة والديني والمتدين واليومي والحياتي في معركة وجود، وفي معارك الوجود من الصــعب أن تســأل عن العقل والمنطق. التهمت الســياســة بتطوراتها كل شــيء، ترك المثقفون صــفحاتهم ومقاهيهم وكتبهم وصــحفهم وتفرغوا للتحليل الســياســي الذي لا يتوقف ومطاردة أخطاء الأحزاب والشــخصــيات والمواقف الدولية، قبلوا بأدوار أقل في مشهد الحياة والفاعلية، حلموا بمستقبل أجمل وحرية أعرض وأشمل.

اختصــرت الأحداث الســياســية وصــراعاتها التي يبدو أنها لن تنتهي كل شــيء ونمطت الأيام والأشــهر حتى عبرنا عاما كاملا دون أن نلتقط منه ما يجعله مختلفا وبالتالي يجعلنا مختلفين. عبرتنا الأيام بمباغتة وتركتنا ذاهلين نحاول أن نتذكر شــيئا واحدا، حدثا واحدا، مناسبة، كتاب، شائعة، معركة، سجال، تفاهة عابرة.. ولا نجد.

لتلويحة الأخيرة

من أي جبال الكلام أنحت ما يليق بوداعك يا أبي؟ هبْ لي من أبجديتك الفاتنة ما يسعفني في موقف الدمع وناصية البكاء هذه، يمر عجزي بحقولك الوادعة فلا يجد إلى تقصيره عذرا، كيف لي أن أعبُر صحاريك الشاسعة الوعرة؟

وأنت الهائل المربك الوديع، توقفت تفاصيل اللغة ومناجم الخيال الأبدية التي أشعلتها شعرا وحكايات أسطورية، فيلبسني رحيلك عباءة وبرية كتلك التي اشتملتها في لياليك الطويلة وانتجاعاتك الهائلة أبد العمر. أنتظم في سطر الصمت وصفحة الفقد يابس الروح وحيدا إلا منك، خاليا إلا من وصاياك، معزولا إلا من ملامحك. تعبرني قوافلك الضاعنة من طرف الكون حتى أقصى حدود الحياة لحظة لحظة. تشحنني بالصبر وتشيعني بالأمل والأمنيات، لكني حزين، تتجول عيناي ذاهلة تستجلب بهاءك وضجتك الجميلة، توزعني صباحاتك الأبوية على الزمن بسمة بسمة، فأشخص كلما هبت بسيرتك دمعة صديق ومهاتفة محب وسؤال مفتقد ومواساة عابر، تمتحنني في رحيلك، فدلني يا أبي على قارة الصبر تلك كلما عدت لنفسي وحيدا مغمورا بشلالات تفاصيلك وحكاياتك المبهرة ومواقفك الثابتة.

---

[217] - جريدة الوطن 30-11-2014

خذني لمحيطات التجلد وأنا أتصفح أشياءك المشتعلة حرائق في روحي، يا أبي كيف لي أن أكتبك رحيلا ووداعا؟ وأنت ساقية حرفي وبئر كلماتي ونافذة خيالي وسماء كل وعي وموقف، من أين لي يا أبي ما يليق بموكبك الأليق إلى السماء محفوفا بالدعاء والدمع؟

أسألك الآن في أقصى ارتباكاتي وأقسى مواجهاتي وأعرف ما ستقول، فما تعودت منك إلا الخير والنصيحة والأبوة الحانية. يا أبي في قلبي وستظل، مكللا مجللا لك شساعته، تطل منه هانئا بكل ما أنجزت.

أقل من الشعر..
أعلى من الكلام

الأغنية العربية الآن فقيرة شـــعريا بشـــكل محزن. كل هذا التاريخ الطويل والممتد من القصـائد أضـحى لا شـيء، كل قصـص الحب المبكية التي تداولناها قرونا انتهت إلى الدموع لا غير. الخواطر التي تحتشـد بها دفاتر المراهقات والقصـائد المخبأة في صـدور الشـباب العربي المراهق وحلمهم أن يتحولوا إلى شـعراء أفضـى إلى العدم، ذهب إلى اليباب. الأغنية مرحلة أقل من الشـعر وفوق الكلام، ورغم ذلك نراقب هذا الفقر المريع في الكلمات صامتين دون أن نسأل كيف أصبنا بهذا الجفاف؟ كيف أصبحت الأغنية حالة نواح وبكائيات على الأغلب؟ غابت اللمسة الساحرة بين التخيل والوجد فكانت المباشـرة الحل الأمثل مخلوطة بشـيء من الغريزية. السـوق يتحمل جزءا من المسـؤولية، طغيان شـــروطه حول الجميع إلى مجرد قوائم مالية، الآن يتقاعد نجوم الغناء ليتحولوا لمذيعين، بينما يندفع إلى السـاحة كل يوم عشـرات المواهب تفرخهم برامج معولمة منسوخة من أخرى عالمية، فينطفئون قبل أن تكتمل الدورة البرامجية التي أطلقتهم بانتظار قادمين جدد ورسـائل تصـويت أكثر حدة. الموسـيقيون تحولوا إلى نمط "تكنو"، حيث

---

[218] - جريدة الوطن 2014-24-11

الخيارات التكنولوجية هي الحل، هذا إذا لم يكن النقل الحرفي جاهزا من موسيقى الأتراك واليونان والروس وكل شعوب الأرض!

شيء محزن، محزن بعمق، فالأغنية وجدان الشعوب وهمسها الحضاري الإنساني الذي ينقل مشاعرها وأحزانها وأفراحها، والشعر روح العربي ورفيقه الوحيد في الحب، سفير لياليه الصحراوية الطويلة وصندوق أسراره العميق، وحين يكون الشعر أعلى تتورط الموسيقى، تبدو ثقيلة ومملة، وحين تكون الموسيقى رشيقة فاتنة ونابضة بالحياة يصبح الشعر كلاما منزوع الخيال مباشرا، معادلة فيها من البساطة بقدر ما فيها من التعقيد، لكن يبدو أنها فقدت ولن تعود، وهذا ظن أتمنى أن يكون إثما.

مديح متأخر

تتجلى عبقرية سيد درويش عبر الأزمنة. وفي كل عودة للتاريخ تثبت أعماله رؤية عميقة وموهبة هائلة تثير البهجة والجمال والأمل، ففي كل لحن قصة، وفي كل أغنية تفاصيل مرحلة، حياته القصيرة التي تجاوزت ثلاثين عاما تركت هذا الإرث الإبداعي الخالد، ولو كان عمره أكثر بقليل فماذا تراه صنع؟

لقد غير سيد درويش شكل ومسار الموسيقى العربية، بمعنى أدق أوجدها من عدم، منحها للفقراء والعاملين وبسطاء الناس، وذلك كان فعلا ثوريا بحق، خلع عنها رداءها الأرستقراطي، وأشاعها كما يشاع الهواء والشمس والماء، لتشارك الجميع أحزانهم وأفراحهم وأشجانهم ولوعتهم، تشحنهم بالقوة والصبر لمجابهة الواقع الذي يضغط بشدة على حياتهم، كان درويش يشبه أعماله وموسيقاه، وطنيا صميما ذا موقف صلب، يراقب ويتابع فيما تحمل أعماله مواقفه ليرددها الطلبة والمثقفون في مسيراتهم وتظاهراتهم، التي كانت تغلي بها مصر مطلع القرن العشرين احتجاجا على الاحتلال وسياساته، وبعيدا عن السياسة أسهم درويش في صياغة شكل جديد للمسرح عبر "المونولوجات" التي أوجدها، وكانت غالبا ما تتسم بالظرافة وخفة الدم مشبعة بالكوميديا، عبر من خلالها كثير من نجوم الكوميديا والمسرح إلى الناس.

---

[219] - جريدة الوطن 14-11-2014

أما في الشعر فأسهمت موسيقاه في رواج شكل شعري رائع بسيط وساخر وعميق ومشاغب. كان بديع خيري أولا ومن ثم بيرم التونسي ولاحقا صلاح جاهين نجومه ومدارسه. إنها العبقرية الحقيقية والموهبة الصادقة التي تغير شكل الحياة، وتجعل الكون أفضل حالا وتخلد في الوجدان البشري، ويستذكرها الناس في لحظة حب أو حزن، القيمة التي لا تفنى برحيل صاحبها.

السر الذي يزداد غموضه وانكشافه مع الأيام، الموسيقى التي تسحر الروح، وتجبرك بعد قرن على استعادة عبقري عظيم كسيد درويش في ذكراه الجميلة المجلجلة، التي تعيدنا إليه كلما حانت اللحظة السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية، ومتطرفا بصدق يمكن القول بضمير مرتاح، إن الموسيقى العربية لم تكن لتوجد لولا هذا الرجل الذي أنقذها من الانزواء في ظل مؤثرات أخرى هيمنت عليها، كما أن مزج الموقف السياسي من الموهبة والوعي بكل ما يحدث شكل شخصية استثنائية للرجل الموهوب، الذي لم تمهله الأيام كثيرا، وقصرت حتى الآن عن تعويضنا بمن يماثله.

تخريجات ترويجية

تتورط السينما بالدعاية لتنتقص منها مهما كان حجم الإنفاق والميزانيات، قص فيلم "المدمرة بوتمكين" الذي أنتج سوفيتيا عام 1926 شريط الأعمال الدعائية للأنظمة السياسية، كانت السينما -وستبقى- وسيلة مهمة في التأثير استخدمت بشكل قاس لتصفية الخصوم.

عربيا كان النموذج الأقسى لبشاعة نقد الخصوم وأحيانا "تمسيخهم" ما فعلته السينما المصرية في الملك فاروق في مرحلة ما بعد يوليو 1952، حيث قدمته في الأعم بصيغة كاريكاتيرية غريزية النزعة وردات فعل طفولية، كما أن التاريخ لم ينج من اشتغالات الأيديولوجيا مع توظيفات سياسية لحظية مثل ما حدث في فيلم "وا إسلاماه" 1962 لشادي عبدالسلام و"الناصر صلاح الدين" 1963 ليوسف شاهين حيث تم استدراج الأحداث التي جرت في القرون الوسطى لإدخالها في قلب صراع سياسي عسكري منتصف القرن العشرين.

أعجبت اللعبة السياسيين، وهكذا قرر صدام حسين إنتاج فيلم عن حياته فكان "الأيام الطويلة"، الذي أخرجه توفيق صالح 1980، ثم ألحقه بفيلم "القادسية" لصلاح أبو سيف 1981، الذي جاء لتبرير حربه على إيران 1980، غير أن مصطفى العقاد

---

[220] - جريدة الوطن 2014-11-10

كان أكثر ذكاء لتمرير أفكار القذافي حول حتمية وتاريخية الصــراع وهو يصــنع فيلم "أسد الصحراء" 1981.. رؤية العقاد وبشكل أقل من صلاح أبو سيف التفت على العناوين الرئيسـية للأعمال المسبقة الدفع، -حينها – حاولت إضـافة شـيء ما لبلدان بالكاد تنهض اقتصاديا وحضاريا، لكنها تورطت في المضامين الدعائية ولمسات الترويج المبطنة، وهذا ما ســيواجهه فيلم أنتج قريبا بشــكل مكلف، وأعني بالتأكيد "الذهب الأسود" آخر الوافدين لهذه السلسلة.

حتى "هوليوود" بكل إمكاناتها تعجز عن إنتاج أعمال دعائية متقنة، أصـــلا لا توجد أعمال دعائية متقنة، لأن الدعائية فكرة ينتجها النقص فيما المطلوب ترويج الكمال، النقيض القائم على الخيال المحض وما بينهما يحار صناع الفن السـابع بحثا عن تخريجات وفي الأغلب يتورطون، لأن المســألة برمتها قائمة على النقد والكشــف، وما ســلســلة أوليفر ستون عن رؤساء الولايات المتحدة إلا مثال حي لنا.

سر الشعر سر الحب

لا أظن أن الشعر سيخفت بريقه أو جاذبيته. كل الفنون التي تعبر كومضات وأحيانا كموضات سريعة، لم تستطع إبعاد الشعر وإزاحته عن مكانه المتصدر الأثير. كل الحماسات التي تغيب وتحضر مع صعود تيارات وأفكار وموجات فنية وإبداعية، سريعا ما تعود إلى حجمها الحقيقي. مسرح وسينما ورواية وقصة وقصة قصيرة ونص مفتوح وصحافة والقراءات الموازية، وموت المؤلف والقارئ ووسائل التواصل وكل الأوعية الأخرى: فنية إبداعية تقنية، عبرت وبقي الشعر وحيدا أثيرا وخيارا في مواجهة الحياة وقسوتها، وسره بسيط وعميق، واضح وغامض في آن واحد. التوصيفات النقدية المشغولة بضبط كل كلمة وتشذيبها وفق مقاييس نظرية عجزت في مهمتها أمام الشعر، لا أحد قادر على توصيف الشعر أو حكره في رداء لفظي أو وجداني، لكن وفي الوقت ذاته كل فرد شاعر أو متذوق أو ناقد يمكن أن يعطيك فهمه ووعيه للشعر وهذا شيء كبير وسحري.

الشعر كالحب تماما، دَوّنا عن كل أشياء الحياة ومفاهيمها. إذا استطعت أن تمسك الحب فإنك في الوقت ذاته تكون قد لمست الشعر، وإذا كتبت الشعر بصدق فإنك أقرب ما تكون إلى الحب. الحب والشعر مقترنان ببعضهما إلى حد كبير، ما ينطبق على الأول يمكن قياسه على الثاني، هما تقريبا السران الشعوريان اللذان ما زالا يشغلان

[221] - جريدة الوطن 19-5-2016

البشرية، كل الأزمنة بفلاسفتها ومحبيها ومجانينها وعشاقها وسفلتها. حاولوا مقاربة فهم ما تجاه الحب والشعر، لا أحد نجح ولا أحد فشل، تمضى سفينة الحياة تعبر محيط الأزمنة، وهي تحمل الحب والشعر، مهمة مضنية ودائمة تغري المغامرين والمجانين والعشاق والفلاسفة بمحاولة التصدي للمهمة المستحيلة والتافهة التي لم يخفت بريقها منذ الأزل ولن يكون. أسرار الحياة التي تفاجئنا ببساطتها وتعقيداتها، وضوحها وغموضها، فإن أردت أن تصف الشعر أو تعرّفه، فعرّف الحب وصفه، الشعر حب والحب شعر، وما بينهما تجري بحار من الحبر والمحاولات الشجاعة لمجرد وصف الأمر وبيانه.

من تلويحة وداع

حين يرحل قريب أو صـــديق تتقلص الدنيا قليلاً، يأخذ الفراغ شـــيئا من كل شـــيء، تتحول ذاكرتك لشريط سينمائي يتحرك بمواقف وضحكات لم تكن تعيرها انتباها قبلا، تتفاجأ بأنها بقيت في مكان ما من روحك، لا شـــيء يعود كما كان، حكماً ثمة من رحل ولن يأتي.

بشـــكل شـــخصـــي لا أحب المراثي ولا جوها البكائي، وأراها اســـتهلاكا لزخم العاطفة الكبير المفترض، وخزين الشعور الجميل تجاه الراحلين أهلا وأصدقاء وزملاء، لكن أحب اســـتذكار اللحظات أكثر، حين نفعل ذلك نثبت الزمن وحين نثبته نجعله مطواعاً قابلاً للتشـــكيل، نملأه بصـــور الأحبة الغائبين وملامحهم الجميلة، حواراتهم الأجمل، نعيدهم أحياء للحظات بلا إزعاج أو مشاعر مزيفة.

حين يرحل قريب تكون بحاجة لدمع أغزر، لكن حين يرحل صديق تكون بحاجة لهدوء وصـــفاء أعمق، يتحول لصـــورة حية على جدار غير مرئي، لو تذكر أيٌ منا محاولاته لكتابة رثاء ما، شعراً، مقالاً، خاطرة، لتفطن أنه استنزف فيض مشاعره الصادقة والحارة في الإطار لا الصورة الجميلة. قبل أيام فقدت صديقا جميلا ووديعاً، نسائمي الحضور، هبة من هبات الحياة الجميلة، رجل يشـبه نفســه صـفاءً ووداً، لا أحاول أن أبكي ولا أريد، فمثله يليق بالابتسـامات الضـوئية وحماسـاته الفجائية لأشـياء لا علاقة بينهما،

[222] - جريدة الوطن 22-4-2016

غاب عن كل ما يستحق الغياب، عن كل ما هو زائف، وحضر في كل ما يستحق الحضور من مواقف وذاكرة وقيم. ليست هذه الكلمات محاولة لقول شيء عن رجل وصديق مختلف ومميز، لأنه لا كلمات أو توصيفات أو جمل تستطيع المعاونة على الإحاطة بتفصيل الفقد وشرح الرحيل ومقاربة الحزن.

لكن تلويحة تحاول أن تليق بالراحلين وجمالهم، ومن حزن لآخر نحاول أن نرتب أنفسنا بتطويعها على الاعتياد أو على التوقع، لكننا من فقد لآخر نكتشف أننا أصبحنا أكثر رهافة وتدنت قدرتنا على المقاومة والتماسك. من رحيل لآخر يستمر الدمع في الجريان كنهر جبلي مجهول المصدر، متدفق كثيف ومستمر، وداعاً بدر السالم.

برامج أم نوافير ثرثرة؟

الحوارات الثقافية ذات الطابع التجريدي التهويمي التي تحمل أسئلة مفتوحة وإجابات قابلة لكل شيء، كانت موضة زمن ما ارتبطت بقصور الوعي والبحث عن إجابة لكل الاستفهامات الكبيرة في أمة أغلبها لا يقرأ ولا يكتب، وطابعا ثقافيا محضا لأنظمة شديدة القسوة والارتياب لكل ما هو ثقافي ومثقف، "أسئلة من نوعية "كيف يمكن قراءة اللحظة الكونية الراهنة وتحدياتها؟ كنت أظنها انقرضت، لكنها للأسف ما زالت حاضرة وإن أخذت أشكالا وألوانا، التعميم الذي لا يشير إلى شيء والتجهيل ذو الصبغة التنويرية وسوق الثقافة الذي يبور ويكسد يوما بعد آخر، المشروعات الفكرية التي تحاول عبور الشاشة بين برنامج وآخر لا تجلب إعلانا ولا تقيم سوقا ولا تفرض احتراما هي عبارة عن حملة علاقات عامة وتشابكات ارتباطية يتم تجديدها بين أحايين وأخرى، حتى التجارب الحياتية المختلفة والمميزة وسير الناس التي لا تتشابه لا يتم التطرق إليها، ينخرط الجميع في ماكينة كلام وتنظير ورؤى عابرة لا أحد يريد تحديد الأشياء والإشارة لها بدقة، والذين مهنتهم الكلام والكتابة يعجزون عن إيجاد صيغ جاذبة لصنعتهم، ما زلت أذكر مذيعا اسمه "مروان صواف" أستاذ في التجريدات اللفظية قادرا أن يسأل سؤالا لربع ساعة، ورياض نعسان آغا من ذات المدرسة وآخرون لا أذكرهم هنا وهناك ما زالوا امتدادا لنهج نافورة الثرثرة، لذا وبكل بساطة لا يشاهد أحد هذه النوعية من البرامج والحوارات ولا تجلب إعلانات وهي أعباء على قنواتها بلا متعة

---

[223] - جريدة الوطن 25-3-2016

ولا جاذبية، لكن الثقافة صناعة والصناعة قادرة على النجاح، ستطلب أمثلة على ذلك وأقول إن القنوات الوثائقية المتخصصة بمختلف مصادرها تجارب ناجحة في القيمة والنوعية وجاذبية البرامج، المسألة سهلة "أعط المشاهد متعة وارمه في البحر".

بين يوسف زيدان وأمبرتو إيكو

يوســف زيدان الروائي والمفكر المصــري، أحد أبرز نجوم المشــهد الثقافي وأكثرهم إثارة ونتاجا خلال الأعوام العشــرة الأخيرة، واضــح أنه اقتفى أثر "أمبرتو إيكو" الفيلســوف اللاهوتي الإيطالي حكما، المسافة التي يصطنعها زيدان بعدم الإشارة لا من قريب، ولا من بعيد تعزز هذا الرأي أكثر

---

[224] – جريدة الوطن 8-2-2016

[225] – رد يوسف زيدان على المقال (و أين هي التهمة يا ''سامى الفليح'' ! هل السير على درب إمبرتو إكو ، العظيم ، تهمة ! طيب ، ســوف أُريحك من هذا القلق . . لم أقرأ لإمبرتو إكو أي كتاب ، للأســف ، و لم أكمل روايته ''اسم الوردة'' و توقفت فى أولها حين وجدته يضع اقتباساً باللغة اللاتينية ، مما عاقنى عن استكمال القراءة . و رواية اســم الوردة مكتوبة بالإيطالية ، فكيف تتشــابه معها ''عزازيل'' فى الأســلوب و البلاغة ! وكل رواية منها تختص بفترة زمنية مختلفة عن الأخرى، فأين التشــابه ! و روايتى مترجمة للإيطالية ، و من أعلى الكتب توزيعاً هناك (و تُرجمت إيطالية أيضــاً من رواياتى : النبطى ، محال ، جونتنامو) و قد امتدح إمبرتو إكو رواية عزازيل ، و لم يعقد أى ناقد إيطالى مقارنة بينها وبين رواية اســم الوردة ، على كثرة ما كُتب عن عزازيل بالإيطالية . . و أما اللقاء الشخصى مع إمبرتو إكو، فقد وقع مرة واحدة ، و لم أكن فى البداية أعرفه لكننى وجدته ينظر باهتممخطوطة فلكية معروضة فى مدخل المكتبة ، فتكلمت معه و فى نهاية اللقاء السريع سألته عن اسمه فقال بتواضع شديد : إمبرتو إكو . . فضــحكتُ ، و ضــحك . . و لم نلتق بعدها قط ، و إن كنت أحب أن يتكرر اللقاء مع قامةٍ مثله .ما الذى جرى لنا ، و لماذا نحرص على تشويه كل شئ فى حاضرنا ، حتى مع اعتراف العالم بقيمته . . فيا سامى الفليح ، كن سامياً و فالحاً ، و لا تقع فريسة الشعور العام بالتضاؤل و الخزى ، فليس كل ما فى واقعنا ضئيلاً و مخزياً . و لولا الحرج الذاتى ، لأوضحت لك ما الذى قمتُ به فى تراثنا العربى ، حتى لا تقيسنى على أحد ولا تقيس أحداً علىّ ،

محاولته في كتابه "متاهات التوهم" في أولى السباعيات لتوسيع تهمة ارتباطه بـ"دان براون" وعمله الشهير "شيفرة دافينشي" وسهولة نقض التهمة برده على الأنبا بيشوي يؤكد الأمر. فاللغة والأجواء، والأبعاد الروحية، وتفاصيل أخرى لا يمكن أن تدل إلا لجادة واحدة، حيث يتضح أن قراءة "زيدان" لـ"إيكو" واستيعابه أخذا زمنا.

الرجل اشتغل على المشروع عمرا، الاثنان يكادان يعملان في الحقول ذاتها ويهتمان بالأمور عينها.عرب زيدان إيكو بطريقة ما وأبهر به القراء مع فوارق تقنية وفنية. الاشتغال بحقول فكرية متخصصة لا يمكن أن يكون الصدفة وحدها من قاد الاثنين لذات الطريق، فالأفكار لافتة ومغرية، كتفكيك الأديان والمذاهب والعمل على تفاصيلها التاريخية وتغييراتها الكبيرة، كان هذا منهج "إيكو" المتشعب والعميق، مشروع حياته الأثير بوصفه فيلسوفا لاهوتيا بالأساس ومعلقا سياسيا وروائيا ومزيجا من ذلك كله.

لم يشر يوسف زيدان في أي كتاب من كتبه لـــ"إيكو"، لم يهجه أو يمتدحه، تجاهله وكأنه غير موجود، ومسألة أن تتجاهل نموذجا أعلى يشتغل في ذات حقول اشتغالاتك الفكرية والإبداعية، وهو غير نكرة إطلاقا دليل إدانة، وسؤال يشتعل بانتظار شافي الإجابات.

لكن الله تعالى قال : و لا تُزَكّوا أنفسكم . . الآية .و الآن ، ستقال لى العبارة المعتادة : و لماذا تهتم بمثل هذا الكلام يا دكتور ؟ . . و سأقول : لأن ظاهرة الحطّ من كل شئ ، و من كل شخص ، زادت جداً مؤخراً و عمّت واقعنا و طمّت . و هى دليلٌ على مرض ثقافى أصاب العقل الجمعى ، و لابد لعلاجه من مراجعة = شاملة لأفكارنا الأساسية ، يعنى لابد من القيام بثورة ثقافية . . وإلا استفحل فينا المرض ، و صار علاجه مستحيلاً .

فـإذا لم يكن زيـدان قرأ "إيكو" أو تأثر بـه، أليس من الأولى أن يكون التقـاه بحكم الاهتمامات المشتركة والمؤتمرات الكثيرة؟. اسم الوردة" الرواية قارنوها بــ"عزازيل"، قواسم مشـتركة ولغة بالكاد تفترق، واهتمامات تثير الشـك وتؤكد التهمة حتى يثبت ما ينفيها في زمن يصدمنا كل يوم.

واسعة يا دكتور يوسف زيدان

كتب الدكتور يوسف زيدان عبر صفحته في "فيسبوك" ردا على ما كتبت قبل أسبوعين في هذه الزاوية. رد الدكتور زيدان تأرجح بين النفي الغاضب والتعالي والمطالبة، نفى أولا عدم قراءته إيكو مطلقا، ثم قال إنه لم يستطع إكمال قراءة اسم الوردة.

لاحقا، قال إنه لم يلتق إيكو إلا مرة، وهو ينظر إلى مخطوطة ما، تماما كقصة لقائه ألبرتو مانغويل وآخرين. بالتفاصيل ذاتها، والجمل الوصفية ذاتها، رأيته يقف أمام مخطوطة، سألته عن اسمه، ابتسم، لم نلتق لاحقا، طبعا كل هذا يمكن تمريره، لكن ما لا يمكن تمريره أبدا قوله، إنه لم يقرأ إيكو مطلقا، وهذه تهمة عليه لا له، فكيف يحدث هذا ؟ إنها واسعة جدا يا دكتور! أوسع من تناولاتك المعرفية وأعرض.

وفي سياق غضبه من محاولتي الربط بين روايتي "عزازيل" و"اسم الوردة" رد الدكتور زيدان بأن "عزازيل" ترجمت إلى الإيطالية، ولو كان هناك رابط بينها وبين رواية إيكو لأشار إليه النقاد الطليان قبلا.

---

[226] - جريدة الوطن 26-2-2016

طبعا، أنا لست مسؤولا عن الحركة النقدية الإيطالية، ولا بتوجيه نقادها لما يشيرون إليه، أنا معنيّ بما أكتب وأهتم، كما لم يخل رد الدكتور زيدان من نبرة تعالٍ، أفهمها كسياق فكري ونفسي لرجل مثله أنجز ما أنجز، ويرى أن محاولة نقده هي انتقاص ومحاولة لتدمير الرموز، حسبما وصف، ثم يطلب مني "عدم الوقوع فريسة للشعور العام بالتضاؤل"، وهذه تهمة لا تستحق حتى الالتفات إليها، إذ ليس هناك ما يجعل الإنسان يتضاءل، أو يتدنى في صنعة ومهنة ومناخ قائم على النقاش والجدل والمماحكة التاريخية والفكرية، وهذا ذاته جوهر مشروع الدكتور زيدان الفكري والإبداعي، القائم على إعادة نقاش وتفسير كل شيء، وفي النهاية يبرر الدكتور زيدان اضطراره إلى كتابة الرد، بأنه بسبب ازدياد ظاهرة "الحط من قدر كل شيء ومن كل شخص"، داعيا إلى "ثورة ثقافية شاملة". وعموما لا أحد يريد الحط من قدر أحد، لكن في الوقت عينه، لا يحق لأحد أن "يتصنم" أو يدعو إلى "تصنيم" ثقافي أو فكري لأيّ كان، وهذا أول شرط في أي ثورة ثقافية شاملة يفترضها ويدعو إليها الدكتور يوسف زيدان، مع كل محبتي وتقديري واعترافي بفضله.

ابنة السهر وصديقة الظلام

الأغنية الريفية تشـــويه كبير للأحاســـيس وطغيان البكائيات وشـــعر أقل فضـــلا عن مباشـــرتها التي لا تليق بفكرة الفن نتجت عن انعدامات المخيلة وضـــآلة روحها التي أوجبتها محدودية المكان التي وفرتها الأودية وضـــفاف الأنهار ورقرقات الجداول المنســـابة بدعة سـكونية، فضـلا عن أن باعثاتها كانت حاجات تقنية مكملة للنشـاط الجسـدي بهدف شـحذه لإنجاز ما يجب إنجازه من أعمال حقلية. كما أنها في الأسـاس نابعة من أصـوات وأرواح كبار السـن التي تنحو باتجاه الوصـايا والحكم والعظات الحياتية المملة والمكررة بأعطيات المواســـم، على عكس أغنية الســـواحل التي عادة ما تكون مليئة بالبهجات والفرح، أهم الموســيقيين كانوا نتاجا للســواحل والموانئ ورحلات الســفر، فالأغنية صــديقة البحر الأزلية فيها صــخب وتقلبات أمواجه ومفاجآته الكثر وأناســه الغرباء، على عكس الشـــعر الذي هو منتج صـــحراوي خالص. الصـــحراء مبنى الفراغ الهائل وكون الوحدة اللانهائي، لذا كانت الحاجة ماسـة لملئه بالخيال وعمرانه بالتهيؤات، ومن هنا كان الشعر الذي شكله البدو وأنتجوه بكثافة لتعويض وحدتهم الخانقة. الشعر لا يحتاج ســوى مخيلة وروح، بينما الموســيقي تحتاج أكثر. لم ينتج البدو موســيقى لأنها تحتاج اسـتقرارا وتراكما، والبدو لحظيون انفعاليون لديهم خيارات الرحيل الواسـعة، كما أن علاقتهم بالليل حدية يطغى عليها الخوف لا الألفة، في حين أن الريفيين بلا ليل صامتون كالأشجار وصبورون كحصاد الحقول، في الوقت عينه السواحليون يدركون أن الموسيقى هي ابنة السهر وصديقة الظلمة والقمر وهم سماره الأثيرون.

انقراض فن أدبي

تحول فن أدبي كالخيال العلمي إلى مجرد ملحق في صناعة السينما معزولا بشكل تام عن مظلته الأم فتحولت الكتابة فيه وله وعنه في أيامنا كحالة ترف أو فراغ زائد عن الحد أو فكرة فيها من الجنون أكثر ما فيها من الفن.

كان القرن العشرون ازدهار فنون الخيال العلمي التي عوضت عجز الإنسان ومحدودية قدراته ورغبته الكبيرة في تجاوز محيطه البيئي والإنساني والسفر بعيدا عبر الخيال، هبط نيل آرمسترونغ على سطح القمر 1969 ففجر كل أحلام البشر ودفع بسقف خيالاتهم لمداه القصي وجاء هذا الانهيال الكبير لأعمال سينمائية جلبت الناس لصالات العروض وانتعشت السينما بعد أن كادت تموت، لكن اليوم لا يبدو أن أحدا يأبه بالأمر، يذوي هذا الفن الطفولي وينسحب كتبته إلى الزوايا المنسية فلا أحد متحمس لمزيد من الخيال، والشباب مأخوذون رواية بروح المباشرة والتعبيرات المستقيمة والشهرة.

تخلت الثقافة العربية عن أحد منجزاتها الأثيرة التي ألهبت خيال أطفال العالم عبر قرون وأسهمت في جذب مئات من الكتاب إلى حقول الكتابة الفاتنة، مدفوعين بما قرئ لهم وهم أطفال من مغامرات وحكايات لا تنتهي. اليوم يفقد الأدب والثقافة العربية عاملا مهما أسهم في شيوعها وترجمة منجزاتها

والتعريـف بهـا، يضـمحل ويـذوي دون أن يحـاول أحـد إنقـاذه أو علـى الأقـل الإشارة للأمر، مرتحلا إلى متحف الفنون أو مقتنيات الوقت المهملة.

تضاؤلات الناشر

الأحوال في صناعة النشر لا تبشر بخير، الحماس الذي أغرى الجميع بالكتابة والنشر يبدو في تراجع كبير، دور نشر وناشرون محليون وعرب يبدون في حال أصعب مما كانوا عليه قبل سنوات، دخلت لدائرة النشر وصناعة الطباعة معارض جديدة وفعاليات أكثر، خفت الرقابة كثيرا وشاعت الخيارات بين الناس، ارتفع سقف المناخات الاجتماعية والسياسية لمستويات رائعة، وتعاظمت الحرية كتابة وقراءة.

لكن هذا كله لم ينقذ النشر والطباعة كصناعة متكاملة ونشيطة قبل أعوام قليلة، ما الذي حدث وتغير؟ كان للتقنية دور كبير في الأمر، ألغت الرقابة وسمحت بعبور الأفكار، لا أحاول الاستعراض كثيرا في شرح ما هو مشروح أصلا، ألغت التقنية حاجز اللهفة وجدار الممنوع، فبالتالي انعدم حاجز التسويق، تضاءلت اللهفة وتقلص التشويق، اتفاقيات حماية الملكية الفكرية وقوانين الحصرية والترجمة لها دورها في المسألة.

إضافة إلى عوامل تقنية بحتة كارتفاع أسعار الورق، لا أحد يمكن له التنبؤ بما سيحدث قريبا، لكن قراءة الواقع ومراقبة النشاط ستضعنا في إطار الصورة، من يطبع لا يدفع، ومن يطبع ويدفع لا يشارك في المعارض، ومن يطبع ويدفع ويشارك مهتم بارتباطاته بجهات رسمية أو شبه رسمية تضمن له البقاء والكلفة، والآن نحن في وضع التحسر على الفرصة المهدرة، كان القارئ السعودي القوة الشرائية الأولى، وكان بالإمكان أن تكون صناعة النشر السعودية القوة الأولى عربيا بعد أن انسحب الجميع، وهذا له تأثيراته

الكبيرة، ثقافيا وأدبيا وسـياسـيا في مراحل ما، واليوم يبدو الأمر محبطا ولا إشـارات لحماس جهة ما لتشجيع وإحياء الصناعة التي هي حتما مهمة، وكان لها أن تكون أكثر أهمية لو استثمرت ودعمت بشكل تستحقه.

التصوير يا أهل الفنون

الذي يراقب اندفاع مئات الشباب لهواية التصوير والتعلق بها والقدرة على هذا الإثراء والحماس والمسابقات والفعاليات وكل النشاط الكبير لهذا الحقل الفني الثقافي عليه ألا يفقد الأمل أو على الأقل تتقلص مساحات التشاؤم لديه في أن تلحق الفنون الأخرى يوما بما وصل إليه التصوير كفن ومجال من جاذبية لدى الأجيال الشابة، التصوير الفن الذي كان الاقتراب منه حفيظة وريبة مكتملتين لم يعد كذلك، بهدوء تجاوز كل العوائق والموانع وعبر لمنطقة الشيوع الاجتماعي الكاسح، في مجمع تجاري، فعالية، معرض، مباراة كرة قدم.

لا بد أن تعبر بجوارك فتاة أو شاب بحقائب وعدسات منتهزا اللحظة والمكان، ورغم ذلك صامتون ومتفاعلون، فعالياتهم ومسابقاتهم ونشاطاتهم الأكثر تنوعا وثراء طوال الموسم، الصورة التي كانت مشكلة يوما تحولت لميزة ومناخ جاذب ونشط رغم كونها نشاطا شديد الكلفة المالية على مريديه. قدرة الشباب على التسويق لفنهم الجميل دفعت بعشرات من المؤسسات والشركات ذات الطابع الحكومي والخاص لتبني وتنظيم فعاليات ومسابقات خاصة أملا في الاستفادة من هذا الزخم وهذا ذكاء تسويقي، لذا على محبي وهواة الحقول الأخرى الإبداعية ذات البعد الثقافي ألا ييأسوا فربما تصلهم موجة الشغف العابرة يوما، ومزاج الهوايات الذي لا يتحكم به شيء، لم توجد أساسا معاهد لتعليم التصوير، لم يكن هناك مزاج اجتماعي قابل للأمر، لا هيئات ولا منظمات ولا روابط لأي شيء، كل ما يمكن أن تقوله عن فنون كالشعر والمسرح والنقد

والسـينما يمكن أن تقوله عن التصـوير، كل الظروف والتفاصـيل متشـابهة، كل الوقائع متطابقة، لكن النتائج مختلفة، إذاً على الآخرين التحلي بالأمل ومواصـلة الأمر والعمل على جذب الأجيال الجديدة لا الانشـغال بتفاهات الاصـطراع والتقاتل العدمي، يوما ما كان الشـعر الفصـيح مزاجا شـعبيا واجتماعيا وزخما كبيرا، وخلفه الشـعبي ثم الرواية ببعدها الفضائحي، وبعدها كتب التحليل الاجتماعي والسياسي، واليوم التصوير، ومن يدري فالمجتمعات لها مزاجاتها.

ماجد وافتح ياسمسم

رجعت "ماجد" المجلة لكن بصيغة بصرية، تحولت إلى قناة فضائية تبث مواد قريبة مما كانت تنشره في ذلك الزمن، طفولة الثمانينيات تحفظ تفاصيل وذكريات كثيرة حول الاسم والفكرة والأبطال، رحلة سفر أسبوعية وتطواف فكري في فضاء العالم العربي الثقافي والإنساني، لم تكن ماجد المجلة في أساسها فكرة تجارية، كما أنها لم تعمد إلى تمرير أفكار من أي نوع سوى ما كان إنسانيا وتربويا مبشرا وواعدا، واليوم أشاهد القناة لاستدعاء طفولة مفقودة والسفر في ذاكرة الأيام ومحاولة تشجيع ودعم أطفالي خصوصا وسط هذا الهجوم التجاري الاستهلاكي الشرس، ومحاولة ربط كارتونية بين جيلين لا رابط بينهما بمحاولة مستترة للمفاخرة بنوعية وفرق وجودة منتجات عصر على آخر.

عاد "ماجد" شابا لطيفا أنيقا بذات البهجة والتيقظ الذي يلمع في عينيه ليقول أشياء كثيرة توارت بعده، صحيح أن الظروف السياسية والاجتماعية اختلفت، وتراجع حجم واتساع الآمال والطموحات التي كان يفترضها، لكن العودة بحد ذاتها مشروع أمل وبادرة تفاؤل، ومن التصادفات اللافتة أن تترافق تلك العودة مع إعادة بث البرنامج التربوي الشهير "افتح يا سمسم"، بعد أن توقف إنتاج النسخة العربية بتراجع دور ومخصصات مؤسسة الإنتاج البرامجي المشترك لدول الخليج منذ 25 عاما.

تعود الثمانينيات لتقول بصراحة إن ما حدث بعدها كان خطرا، المنتجات ذات النزعات التجارية طغت على المبادئ والمفاهيم الأساسية للطفولة والتربية، أصبح الصخب والألوان الفاقعة والشخصيات المضطربة نماذج والأطفال مجرد مستهلكين، أرقاما في سوق المبيعات وقوائم الشركات السنوية، اليوم تعيد مؤسساتنا في الخليج الانتباه إلى الأمر فتتشجع لإعادة إنتاج هذه النوعية من الأعمال التلفزيونية، وهذا أمر جيد يغرس أمورا إيجابية عدة في نفسية الطفل وذاكرته وتكوينه الثقافي والإنساني، ويخلق تواصلا عابرا للأجيال يعيد التأكيد على أن ما هو جيد وعميق وهادف لا يمكن لظروف الزمن أن تتجاوزه مهما تصاعدت نزعات التسويق وشاعت قوى الترويج واشتبكت المصالح ومضت السنوات.

المدن متاحف

المتاحف كائنات صـــامتة أليفة لكنها تحوي تاريخ المدن والناس وحضـــارات البلدان، تختصرها وتعرضها دون شروط، والمدن دون متاحف تبقى ناقصة التكوين والهوية وفاقدة لوجهها.

باريس رغم كل ما فيها من معالم وأماكن وحكايات يبقى اللوفر سـرا من أسـرار فتنتها. مدن عالمية كثيرة صـغيرة وكبيرة كما باريس، فلكل مدينة تاريخها المختصـر الذي تضـمه جنبات متاحفها، لا يحتاج باحث إلا إلى جولة لدقائق ليقرأ هوية شـــعب ما، من هنا تأتي أهمية وجود المتاحف ونشرها في كل المناطق والمدن محليا.

سعي هيئة الآثار والسياحة في هذا الجانب ملموس ويتصاعد وهناك نشاط واضح في هذا المجال، المتاحف ليست بالضرورة ضخمة وكبيرة وواسعة، لكن مهم جدا أن تحقق الإثراء والإغناء المعرفي والثقافي، كما أن المتاحف ليســـت محصـــورة في الآثار، هناك متاحف فنية وهناك حرفية، متاحف لكل شـــيء للأزياء والأطعمة ولعيش الناس ومهنهم. نشـر المتاحف وإشـاعتها تدفع بتوفير عناصـر جذب وسياحة وتشـويق، ليس بالضــرورة أن تكون جميعها تحت مظلة رسمية بل تشـــجيع المهتمين والحريصـــين أفرادا ومؤسسات لإنشاء متاحفهم الخاصة، الكلفة المادية ليست العائق الذي يمكن أن يعطل الأمر وأظن أن المسألة لا تحتاج إلى الكثير لكنها في المقابل من الممكن أن تهيئ لصناعة ثقافية قادرة على رفد اقتصادات المدن الصغيرة وتوفير فرص حقيقية.

حتى الآن يبدو الأمر هنا تصـــاعديا هناك حركة جيدة لكنها تحتاج مزيدا من الدعم والحماس والترويج لها ووضعها على خارطة الوجه الثقافي الحضاري، كما أن وجود جهاز رقابي قوي قادر على تتبع عمليات الاستيلاء على الآثار ورصد عقوبات رادعة ضد كل من يتطاول عليها بالتخريب والإتلاف سيكون عاملا مهما في حفظ هذا الإرث الوطني والإنسـاني الذي يخص الأجيال السـابقة واللاحقة، إضـافة إلى عامل مهم ورئيسـي هو تتبع الآثار المسـروقة والتي أخرجت خلال حقب زمنية قبل تأسـيس الدولة السـعودية، فهذا حق أصيل تكفله كل التشريعات والقوانين الدولية، ومن هنا تأتي أهمية هذا الملف الذي بدأ يأخذ حيزا وحضـورا في اهتمامات مؤسـسـات الدولة وعضـوياتها المتعددة في الهيئات الدولية والعالمية والتي تضـيف بين فترة وأخرى منجزا ومكسـبا، فالدول والمدن والناس حضارة وثقافة وتراكم تاريخ.

الفعاليات هي المعرض

أشـهر وسـيفتتح معـرض جـدة للكتـاب في دورتـه الأولى. التعويـل عليـه كبـير والأمـل بـه أكـبر في أمـور كثـيرة علـى الأقـل في عكـس هـذا الحـراك الثقـافي والاجتمـاعي الكبـير الـذي نعـيش. صـحيح أنـه جـاء في ظـروف صـعبة في زمـن التعبـيرات المفتوحـة والحـدود الملغـاة للرقابـة، لكـن الآمـال مجانيـة ومتاحـة ولا سـقف يحـدها ولا يوجـد مـا يمنـع أن يكـون. التعويـل الأساسـي في كـل هـذا لـن يكـون علـى مسـألة البيـع، الكتـب موجـودة والـدور كـذلك والتواصـل والتوصـيل يـدويا وإلكترونيـا متـاح، الثقـل الأساسـي سـيكون لمسـتوى المحـاور والنـدوات والضـيوف، بعد ندوة الجابري قبل سنوات تم تحييد فعاليات معرض الرياض.

اضمحلت العناوين وتقلص مستوى ونوعية الضيوف لكن عوض ذلك بمساحة الحرية والأكشن اليومي الذي عاشت عليه الصحافة. في جدة ومعرضها أظن أنه يمكن العمل على جدول فعاليات مميز وضيوف بمستوى مختلف، أعرف أن التمنيات سهلة والنصائح أسـهل لكن فعليا هي فرصـة حقيقية ونادرة لتكون المملكة صـانعة فاعلة ومميزة في سياقات الثقافة العربية الحالية. الظروف السياسية الإقليمية مهيأة والقوة الشرائية حاضرة والشـغف موجود، إذن ما الذي يمنع. معرض جدة في حقيقته لتوسـيع سـوق الكتاب وتوسيع هامش النقاش وإعادة التوهج قليلا للثقافة بعد أن تراجعت في السنوات الأخيرة أمام المتابعة السـياسـية وتطوراتها المتلاحقة. الثقافة والكتاب والنقاش حل وخيار وقبل

هذا مشروع استراتيجي وفكري متى ما منح الفرصة فإن فاعليته وتأثيره وقوته ستنعكس على الجمهور المهيأ أساسا، بعد الرياض تأتي جدة ومن يعرف مستقبلا أين ستكون الخطوة القادمة، لكن مداورة فعالية مهمة مثل معرض الكتاب، بما فيه من المسائل، لها انعكاساتها الإيجابية الكثيرة، لمسناها في الرياض ولمسناها في معرض جدة قبلا في سنوات طويلة، لكن بشرط أساسي ومهم أن تبتعد العناوين الفارغة والمحاور التي لا تغني ولا تضيف ولا تجذب وسبق طرحها، محاور تفرغ المناسبة من محتواها ومعناها وتحيلها لمجرد طقس، فالكتب موجودة ومتوفرة ويمكن الحصول عليها، والناشرون على استعداد للتوسل من أجل إنقاذ صناعتهم المتجهة للإفلاس لكن الجمهور باق وسيظل ويزداد شغفا ورغبة.

الحج والإغناء الإبداعي

إن استذكار حجم الإغناء الأدبي والإبداعي الذي أضفته فريضة الحج على الثقافتين العربية والإسلامية ناهيك عن جانبها الروحي وشرعيتها الدينية، يكشف إلى أي مدى كانت هذه الفريضة حاضرة ومؤثرة في كل الأزمنة والعصور. أستطيع القول وبحماس إن جزءا كبيرا وهائلا من إبداعات العرب قبل الإسلام، جاء الحج بصيغته الأولية قبل بعثة الهدى المحمدية عاملا مهما في بلورتها وإثرائها وتقييمها، خصوصا في المسألة الشعرية إن نقدا أو بحثا عن إشادة، بعد انبثاق فجر الإسلام.

أمر آخر فقد شمل التأثير والتغيير جميع الفنون، إذ لا تزال الخطابة العربية تحتفظ بخطبة حجة الوداع كنموذج خالد على فن الخطابة وعمق تأثيره وارتداده عبر الزمن، وفي أدب الرحلات العربي الإسلامي كان الحج هو الدافع الأول إلى التأليف والمحفز الكبير للمؤلفين الحجاج، فن الجغرافيا، وعلوم البلدانيين الذين عبروا الصحارى والبحار، وسجلوا بدقة كل ما مروا به بهدف الوصول إلى مكة قلب العالم، ومركز الكون.

من مكة وإليها ينتهي كل شيء، لو أخذنا الاستشراق مثلا، كان في شكله الأول المتقدم الثقافي قبل أن يتحول إلى التوظيف الاستعماري، كان يحار في مكنون الحج الروحي، ويقتفي آثار القوافل والرحلات الذاهبة إلى هناك؛ أملا أن يقترب مجرد اقتراب من هذه الرحلة الإيمانية العميقة، وينقلها بدقة وتحديد إلى أوروبا. رفد الحج الثقافة والإبداع بالكثير، وظل على الدوام حالة إثرائية خصوصا في ارتباطه الكبير بالتوبة

والتطهر والعفو، إذ إن هذه الحالة التجردية الزاهدة في الدنيا والراغبة فيما عند الله تجعل الإنسان أكثر شفافية وبساطة، فينقل هذه التجربة الروحانية المؤثرة والعميقة.

فكيف يكون الأمر متى ما كان الإنسان مبدعا وحساسا وفنانا شفيفا؟ من عمق الزمان تمضي هذه الرحلة الإيمانية العظيمة، وتعيد تشكيلنا عاما بعد آخر، ورحلة إثر أخرى في ريشة فنان أو شطر شاعر أو جملة مفكر أو وصف جغرافي من شعوب الله التي تترامى في أرضـــه الواســـعة، مؤملة النفس باللحاق بركب الفائزين حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

بحر في كأس

تتجه الفنون إلى الانصـــهار، التجارب الثورية في الفن باتت تمازج بين كل شـــيء، انفتحت الحواجز بين الأجناس الأدبية، بفضـــل محاولات جســـورة ومتراكمة لمبدعين مختلفين، الأدب انعكاس الحياة، أصبحت الأمور متداخلة أكثر فيما هو يومي وحياتي: السرعة، الإيقاع، الصخب، سيطرة اللحظة والخبرات المتداخلة العابرة للثقافات أوجدت عالما مشـــتركا، لذا كان الأدب انعكاس الحياة، لنكن أكثر تحديدا يبدو توصـــيف ومصطلح كالأدب أقل وأدنى من الإلمام والإحاطة بما هو حاصل ومتسق معه، لو جربنا وصـــفا اصـــطلاحيا بديلا كالكتابة لبدونا كمن يحاول حصـــر البحر في كأس، الكتابة عملية ميكانيكية في الغالب وما يحدث غير ذلك، الحياة شـــيء من هذا وشـــيء من ذاك، يبدو الفن محاولة شـجاعة للتقدم أكثر نحو الدقة، الفن انعكاس للحياة، الفن هو الحياة، لا شـيء يخلد الحياة ويرسـم ملامحها ويلون أزمانها الطويلة كالفن، لا شـيء يخلد ميراث الأمم وسـيرة شـعوبها إلا ما تركته فنا وموسـيقى وغناء وشـعرا، اليوم تبدو عملية الفرز والتصـــنيف أصـــعب، تتقلص التقنيات وتتركز أكثر، من الملاحم إلى الحكواتيين مرورا بالرواية والقصة والقصة القصيرة وربما قصة القصة لاحقا يمضي السرد، من سيرة الملاحم والمســـلات وحتى التكثيف واليومي والهايكو والنص، والنص والمفتوح إلى النثر وربما نثر النثر مستقبلا يتحول الشعر، تصوغ بعض التجارب الجريئة آفاقا جديدة، وكل يوم يفنى جنس أدبي فني ويولد آخر، قدرتنا على اللحاق والرصـــد كنقاد ســـتبدو لهوا عبثيا،

ولكن من قال إن النقاد مهمون في هذه الحالة؟، من قال إن النقد بمجمله مهم؟ من قال إن فنا تاريخيا كالنقد يمكن له الصمود في وجه الإذابة الفنية الجميلة، ودوامة صهر الإبداعات العاملة بجد، وجوده على مسافة رصدية فاصلة لن يمنحه فرصة النجاة، تنفتح الأجناس والفنون والإبداعات على بعضها، وتتنوع الوسائل والأساليب لتغني الحياة وتمنحها ألوانا وأطيافا جديدة، استيعابها يحتاج وعيا مختلفا، وأدوات تذوق مغايرة، ودهشة غير الدهشات السابقة المألوفة.

فكرة وسط الطوفان

تلاشى الحس التحريضي ذو الطبيعة الثورية بشقيه القومي العلماني الممانع والإسلامي الحزبوي الحركي الصاعد مع "الربيع العربي"، أعاد نجومه تموضعهم بذات الشعارات، عاد الفريق الأول للحديث عن دراسة التجربة واستخلاص السلبيات، وكون الخطأ في الممارسات لا الأفكار، وأن صعود الحركات المتطرفة بطابعها العنيف مرحلة أولية ونتائج مباشرة مؤقتة، يليها تبلور الديموقراطية كممارسة، وتجذرها لاحقا كثقافة في المجتمعات العربية، ومن ثم الانتقال إلى مرحلة المجتمعات المتعددة المؤمنة بأفكار الشراكة والنقد.

الغريب أن الفريق عينه يتباكى الآن على ما كان ينتقده سابقا حول أفكار كالمواجهة والوحدة في المصير واستقلالية القرار. أصبحت الدولة القطرية التي كان يراها من عوامل الانتكاس والتخلف والديكتاتورية ماضيا مقابل التشظي والتجزئة والتقسيم وسيادة العنف، سورية والعراق وليبيا والسودان ولبنان مجرد ذكريات في قواميس الجغرافيا والسياسة بسبب أشياء كثيرة وممارسات خاطئة أكثر. كل الذين يكتبون ويتحدثون ويحاولون التأصيل لما هو مقبل يعجزون عن تفسير ما هو قائم الآن، يطلبون تدخل الدول الكبرى في ملفات المنطقة المشتعلة في حين أنهم كانوا قد أنكروا ذات الطلب على الآخرين في ما مضى وهذه تناقضات فاخرة.

أما الفريق الثاني فكمن للظروف وتقبل الهزيمة، ويحاول البحث عن مظلات إقليمية جديدة تعيد تأهيله، بعد يقينه أن الفرصة ضاعت، وأن الأوراق كشفت وأن هناك قوى مؤثرة إقليمية ودولية تتحكم في مفاصل المسائل لا يمكن أن تسمح بسيادة المزاج الفوضوي بشعاراتها الشعبوية التي ساقتها خلال صعودها الصاروخي؛ مجددة تبريرات قديمة حول مؤامرات خارجية وخيانات داخلية أدت إلى انتكاسات وتراجعات فيما تظنه قدر مجتمعات المنطقة والذي ادعت أنها تمثله بكل أدبياتها وأفكارها، حيث كشفت التجربة وبالبرهان فشلها وطفولتها الفكرية والسياسية، وغياب بوصلة حقيقية لإدارة الدول والاستجابة للعصرية، وأن صناعة وإدارة مؤسسات الدولة ليست كتوجيه الكوادر الحزبية والنشاطات الاجتماعية والتنظيمية المحدودة على مناصريها، لكنها في المقابل تحاول استثمار مزاج طائفي متزايد وحاد لدى الناس، ترى في الأمر فرصة للتكسب.

وسط هذا كله تظل فكرة التنمية والبناء والحفاظ على استقرار المجتمعات عبر ترسيخ مؤسسات الدولة وتطوير أداء الهياكل الحكومية مشروعا يتنامى ويحقق مكاسب أدركناها وسط هذا الطوفان الكبير الذي اجتاح المنطقة، وعبث بدولها محيلا إياها مزقا وشظايا سياسية وجغرافية وإنسانية.

أوهام مؤجلة

كنا نحتاج من يكتب قبلا، ثم صـــرنا نبحث عمن يقرأ، اليوم لا أحد يكتب ولا أحد يقرأ وفي الوقت ذاته الكل يكتب والكل يقرأ، الجميع يعبر ويبوح، والجميع أيضا يتابعون ويطلعون، لكنها طاقة هائلة تهدر في العدم وتسفك في الفراغ الكبير، الصراحة والوضوح والمباشرة ووفرة وسائل التعبير وتأثيرها المباشر غيبت الروح الفنية والأسلوبية التي يحتاجها فنان ما لمراوغة رقابة ما، لذلك تجد هذا التراجع الكبير في فنية اللغة وخيالات صاحبها وخياراته، والنتاجات التي تخرج في الغالب بعناوين شديدة المباشرة.

إن شـــعرا أو رواية أو قصـــة أو حتى بوحا، النقد تحول إلى ترف فكري أو "أنتيك" في متحف الثقافة، لســـت هنا في حالة رثائية، لكن هذا على الأقل ما هو حاصـــل، التهمت الصورة الجميع، صار المثقفون حالات بصرية، نجوما في محرقة الميديا والإعلان الكبيرة.. صارت الثقافة والإبداع ومنتجاتها حالة خاضعة لمقاييس عرض وطلب السوق وصناعة تنطبق عليها شروط التنافسية، المسابقات الأدبية هنا وهناك، الجوائز التي تمنح من هيئات لها مشاريعها.. تضاءلت صناعة النشر التي تمضي بحماس إلى مصيرها الذي تأخر، المفكر تحول إلى طائفي بعباءة علمانية، انشغل الجميع بنقاشات السياسة التي لا تنتهي، ركب من يفترض أنهم تنويريون وأصـــحاب مشـــاريع مختلفة في رؤيتها ومقاربتها للمذاهب والأفكار؛ ركبوا الموجة الســـياســـية العابرة للمنطقة ليحصـــدوا منافع التبرير والتوظيف السياسي لهم، غرقت المنطقة في الدم والطائفية، والنقاشات التي كانت سابقا

منشــغلة في ما يوحد مســتقبلا، تحولت حاليا إلى جدليات عما فرق ماضــويا، حفلة العدم وفوضى الحواس وحشد الغرائز.

لكن حتما هذا مؤقت، سـننجز كتابة مختلفة ووعيا جديدا مؤسـسـا على ما هو أعمق إنسـانيا وتعايشـا، سنتجاوز هذا الظرف الجنوني نحو المستقبل الذي ستملؤه أجيال لن تلتفت إلى كل هذا الهراء، سقط ما يستحق السقوط من عربة الوقت ومركبة الحضـارة، وتخفف التاريخ من أحماله وأعبائه نحو ما هو مختلف، وهذا يتطلب ما هو نوعي كتابة وقراءة ووعيا وتناولا.. تغيير نحو التغيير واختلاف يوجب التجاوز وأوهام لذيذة مؤجلة.

الأخلاق
والسياسة والعلم

تراجعت بشكل مخيف الأفكار العامة الضابطة أخلاقيا واجتماعيا وسياسيا والتي يبلورها مفكر ما ويفني حياته كله لنشرها وتطبيقها إنسانيا وفكريا على مجتمعه أو مجتمعات قريبة منه.

منذ أرسطو وعلم الأخلاق والسياسة قبل الميلاد وحتى "العولمة" كانت الأفكار تتحرك بشكل فردي عبر الزمن والمجتمعات حركة تراكمية بطيئة، اليوم شاب كجاك دورسي أو إيفان شبيغل لا يمكن مقارنة تأثيره وعمق أفكاره على البشرية من أرسطو أو أوغسطين ولا ماركس، الزمن تغير صحيح ولكن الوسائل عينها متماثلة مقارنة بكل زمن وإن نسبيا، الملفت أن الدافع الأخلاقي والإحساس العالي بالعدالة والحرية والمساواة والتي أنفق الكثير من الأخلاقيين مفكرين وسواهم حيواتهم من أجلها انقلب إلى دافع مصلحي بحت له مظاهره المتوحشة والدموية.

جاء هؤلاء المتحمسون الثوريون ومن مرآب سيارات أهليهم بهذه الأفكار العابرة وطبقوها ببساطة وبدوافع ذاتية بل أحيانا أنانية وتافهة، زوكربيرغ جاء بفكرة "فيسبوك" فقط ليغازل فتيات جامعته بهذه الحيلة التقنية، كيف لك أن تجعل الناس بمختلف أجناسهم وأفكارهم وخلفياتهم الاجتماعية والدينية والجغرافية والثقافية واللغوية يتحاورون

بذات اللحظة وبذات الحماس ويتحدثون عن كل مشاكلهم وهمومهم وتطلعاتهم ويعبرون عنها بنفس القدر من المســاواة والعدل؟ اليوم تختفي فكرة المشــاريع الفكرية الأخلاقية المنهجية لصالح مشاريع فكرية تقنية حرة مربحة وليس لها عباءة سياسية، صحيح أنها قد تستغل ولكن ليس لها بعد سياسي واضح وصريح، وأيضا لا تحاول أن تضفي طابعا أخلاقيا، إذ إنها ليست ضمن خيارات الأخلاق ولا السياسة لكن هو العلم الذي دخل لاحقا ضمن الاقتصاد والأموال الهائلة والاستثمارات التي تصنع الفرص للناس.

علم ومنفعة وفائدة ومعرفة وحرية في التعبير ومسـاواة صـارمة بشـروط واضـحة وبسـيطة للجميع. هذا ما احتاجت له البشـرية منذ قرون، وما لم تحققه السـياسـة حققته التقنية، وما لم تفرضه السياسة فرضته التقنية وأفكارها الخلاقة المبهرة.

في اختبار الإرهاب مجددا

لو كان الإرهاب يخلق تأثيرا بحسب ما يخطط له مدبروه لتغير العالم منذ زمن طويل. لا أحد يتذكر الإرهاب ولا التطرف إلا كمرحلة عابرة في حياة الناس، البشر، المجتمعات.

كل المجتمعات الإنسانية مرت عليها تجارب مختلفة وبمسببات متنوعة، فيها ما هو ديني واجتماعي وسياسي مع الإرهاب، أوروبا رغم كل أنظمتها وتشريعاتها في الحرية والفردانية وحقوق الإنسان والمساواة لم تتخلص منه إلا قبل سنوات قليلة، موجة قادتها في أحيان أحزاب العنف الثوري بإطاره الماركسي كبايدر ماينهوف وسواها أو ذات الطبيعة القومية الانفصالية كمنظمة إيتا الباسكية في إسبانيا.. الجيش الجمهوري الإيرلندي لم يضع سلاحه حتى منتصف التسعينات. الإرهاب لا وطن ولا شكل ولا منطق له، ورغم هذا يجد دوما ضحايا ومتحمسين. لو كان الإرهاب قادرا على التأثير في السعودية أرضا وشعبا وقيادة ومؤسسات لما استمر مشروع الوطن الذي يكبر بمسؤولياته عاما عن آخر ويتصاعد اقتصاديا وتنمويا وبشريا. صحيح أن هناك أسبابا داخلية وخارجية تساق مع كل موجة إلا أن الحقيقة الأكيدة أن الإرهاب قادر دائما على التلون والتموضع واتخاذ أسبابه التي في الغالب شعبوية يتم خلالها التركيز على عواطف وغرائز. يختبرنا الإرهاب كل مرة ويجدنا أقوى صفا وأمنع وحدة. قبل مسجد عسير جرب في الدمام والأحساء وأماكن أخرى في السعودية والعالم، لكن هذا التوحد الداخلي المجتمعي والمؤسساتي أولا ومن ثم دول ومجتمعات شركاء في التصدي ومحاربة هذا السرطان قادر على محاصرة

الإرهاب والضـغط عليه حتى يستحيل فصلا في ذاكرة المجتمعات والدول. أعرف أن هناك تفاصيل كثيرة ونقاشا أكثر حول نقاط مهمة بشأن البواعث والدوافع والاستهداف التي يستغلها الإرهاب والإرهابيون، لكن دائما كانت هناك –ومنذ فجر التاريخ– مغسلة فكرية وضحايا جاهزون للأفكار المتطرفة الإرهابية.. عاطفية غرائزية في الأساس في كل الديانات والمذاهب والقوميات، فالإرهاب واحد وإن تعددت جهاته وصفاته، والمتطرف واحد وإن تعددت صفاته وجهاته، وبالتالي فمصيره واحد وإن تعددت صفاته وجهاته، هذا على الأقل ما يقوله لنا التاريخ والوقائع.

الإرهاب يهزم المتفرقين، المتصارعين، غير المؤمنين بمشروعات وطنية مشتركة وقواعد للعمل الجماعي. السعوديون اليوم موحدون في الموقف والرؤية، جربهم الإرهاب وتحدياته سابقا ونال من الخيبات ما نال وسيحاول مجددا وله ذات المصير. بديهيات يعلمها السعوديون وطنا وشعبا وقيادة لكل من غرته شياطينه في كل موقف يتجدد وحدث يتكرر.

قصيدة مصر..
شعر الحياة

ظلمت قصيدة مصر وشعر مصر بقسوة، كانت الأسباب متداخلة، فيها ما هو إقصائي وتقصدي وفيها ما هو عجز عن فهم روح الشعر العميقة التي هي روح الحياة، بسيطة وسهلة، محبة وودودة. لعبت الأيديولوجيا القميئة في المسألة، خربت الشعر والناس والحياة والشعراء، اتخذ كل حزب بوقه وبدأ في كيل المدائح المجانية لهذا البوق في منابره.. صحف، إذاعات، مهرجانات، جوائز.. جاءت هزيمة 1967 ومعها وأثناءها نزار قباني ليعم الدمار والخراب الكبير، بدا الصوت عاليا وطنانا، مناحة كبرى ودموع مسفوحة، غضب، والغضب عدو الشعر، بدأت الشتيمة تصعد للمنابر، تسلق الشتامون أعناق الميكرفونات، اشتعل تصفيق الأكف الملتهبة على تعالي الهراء في حفلة الغيبوية.

نقف اليوم على بعد نصف قرن من ذلك التاريخ.. ونحن أقدر فنيا ونقديا وشعريا على فرز المسألة والتعامل معها وتصحيح مفاهيم مغلوطة أسهمت في تشويه فكرة الناس عن الشعر والقصيدة، أحوج لتنقية الذائقة والمرحلة من كل ما علق بها، أليس ظلما كبيرا أن يتوارى شاعر صلاح عبدالصبور لصالح مشروعات شعرية استعراضية وشكلية، هل من المعقول أن يكون الحب تهمة لشاعر كفاروق جويدة في حين تكون الفجاجة ميزة

لمظفر، محمد إبراهيم أبو سنة وفاروق شوشة ألم يكونا أكثر تصالحا وعطاء وفهما وجمالا في الشعر وللشعر من ظاهرة عدائية مهمومة بعقدها المتراكمة وشقلباتها النقدية في سيرك الثقافة العربية كأدونيس، خذوا من تريدون من شعراء مصر في القرن العشرين، قبل وبعد انتصافه وقارنوه بمن سواه. أعلم أن الشعر لا يمكن تصنيفه جغرافيا لكن ما حدث محزن وتقصدي يجب الوقوف عنده. حورب الشعراء المصريون لأنهم مصريون فقط، كان عليهم هكذا وبقرار دفع ثمن تقاطعات السياسة وتحالفاتها، السياسة والأيديولوجيا التي لم يكونوا مؤمنين بها شعريا سواء في التطبيع وما تلاه. تحركت مغسلة فكرية وروحية عدوانية ضدهم. زايدت أنظمة الصمود الافتراضي عبر أبواقها الفكرية والثقافية على كل ما هو مصري فأصبحوا ضحايا.

صدقنا تلك الأوهام وركضنا خلفها بحماس، وحرمنا أنفسنا مما هو أبسط وأجمل وأكثر إنسانية قصيدة وتجربة وفهما للحياة والشعر.

ألغاز الأطفال الجدد

بما يشبه الحيرة أسأل: ما الذي يمكن كتابته للطفل الآن أو في المستقبل القريب؟ كيف لك أن تبهر مثل هذا الجيل المتجاوز في تعاطيه اليومي مع التقنية وسواها؟ بماذا تخاتل وعيا متقدما انفتح منذ اطلاعه الأول على سقف التجارب والحداثة والعصرنة التقنية وما سواها، فكر بني على الحرية والفضاء المفتوح المتناهي، كيف له أن يقتنع بمسألة كالرقابة مثلا أو الوصايات المختلفة؟ كانت الخبرة هي الميزة الفارقة للأجيال الأكبر وعبرها يتم نقل التجارب والقيم وما سواها من البنى الفكرية والأخلاقية المؤسسة.

اليوم أصبح الوضع معكوسا تماما، نعرف أن لكل مرحلة تفاصيلها الدقيقة وعواملها التي تتحكم في تشكيل وعيها وجيلها، لكن كل ما نعرفه سابقا يجب إلغاؤه، نحن أمام وضع جديد كليا، الهرم المعرفي القيمي الأخلاقي أصبح مقلوبا، كبار السن الذين يروون حكاياتهم المملة سيصبحون قريبا شيئا في زاوية متحف التاريخ الكبير، هؤلاء الأطفال الأذكياء جدا والمراوغون، الساخرون من كل شيء قادرون على اختصار ظواهر المجتمع وأهم أحداثه في جمل لامعة وقصيرة وسوقية في الأغلب، متابعتهم حثيثة وحماسية لكل تغير في العالم فني وثقافي ومعرفي، قدراتهم رائعة في تجاوز كل الحواجز اللغوية ودعاوى الخصوصية وسواها، أطفال بهمة شباب وأفكار ناضجين وتجارب كهول، أعيد سؤالي الأول: كيف لك أن تبهرهم كتابة وحكاية؟ كانت الكتابة للأطفال هما تربويا وثقافيا وفكريا فنا صعبا بشروط عالية، اليوم تضاعفت التحديات وتضخمت، كيف ستكتب

لجيل قادر على التعبير عن ذاته وأفكاره وآرائه وينشـــــرها للعالم في ذات اللحظة؟ كيف ستغرس فيه مفاهيم كالحرية وهو يمارسها بتحرر مرعب كل ثانية؟ ما أهم ما سينتج؟

أعرف أن هذا النوع القلق ذا الطبيعة الوصـــائية من الأسـئلة سـبق أن سـألته أجيال ســـابقة، لكن حتما هي لم تواجه مثل هذه الحيرة التي نواجهها الآن ونقف أمامها عاجزين ومذهولين ومعجبين، ننتظر باستسلام ماذا سيفعلون في هذا العالم.

"سحريّة" الفرح

العيد حالة من الفرح الإنساني، ومساحة للبهجة، وشحن القلب بالحياة، وقبل ذلك الأمل. حالة تمثل أهداف الوعي والكتابة وكل الفنون الإنسانية، الأطفال والألوان والابتسامات التي يتبادلها الناس مع المصافحات الحميمة. الانتقال الفجائي من رتابة الأيام إلى ما هو مختلف وجمعي، يتوحد به الناس من أقصى الأرض وأدناها، حالة فريدة ومحفزة تجعلنا أقوياء لبقية السنة أمام صعوباتنا وأمام ذواتنا وخصومنا من بشر ومعنى.

إن الضغط العصبي والنفسي، كذلك عشرات المشاهد في نشرات الأخبار المتعددة التي -وبشكل يومي- تملأ أنفسنا وعيوننا وذاكرتنا بالمأساوي والبشع واللاإنساني، خصوصا خلال السنوات الأخيرة تجعل اقتناص لحظة الفرح واجبا رئيسا يتجاوز غيره من الواجبات، وليس هناك أجمل من لحظة مناسبة كالعيد.

ينسينا الفرح كل شيء.. يعيدنا إلى ذاكرتنا وطفولتنا وأشيائنا.. يعيدنا إلى من فقدنا وفارقنا وكأننا نهرب في لحظات إلى دواخلنا عن كل ما يحيط بنا. إنها سحرية الفرح والطفولة والذكريات التي يحملها العيد في دائرته السنوية.

---

[227] - جريدة الوطن 20-7-2015

كل أمم الأرض من مختلف الأعراق والديانات والخلفيات الثقافية لديها مناسباتها وأعيادها وأفراحها واحتفالاتها كمشترك إنساني غريزي أصيل، وتهتم بالأمر بشكل استثنائي وتعززه كقيمة وتنقله من جيل إلى جيل، وهي بذلك تمارس نقل إرثها وأفكارها عبر الزمن.

أبدو كمن يشرح المشروح ويؤكد المؤكد، لكن لا بأس فالأشياء الجميلة تحتاج إلى إعادة التذكير بها، إذ إن هناك من يحاول تفريغ مناسبة رائعة كالعيد من مضامينها ورسائلها بإشاعة الإحباط، وعادية الحياة ويمارس مهمته بحماس عجيب وبذات الصياغة والأسلوب، بذات الاستشهاديات والتضمينات، يمضي للمهمة القديمة بإصرار يحسد عليه وبالتجهم عينه.

من عيد لآخر وأنتم ومن تحبون بكل خير، تتحقق أمنياتكم وتتجسد أحلامكم، من عيد لآخر تمضون في الحياة وأنتم أجمل وأقوى وأكثر تفاؤلا بذات العزم والطفولة الفرحة والمستقبل الضاج بالسعادة، من عام لآخر ونحن وطنا وقادة وشعبا أكثر توحدا وأمنا، أرضا وسماء وسهلا وجبلا ورملا وبحرا.

على ذات الطريق

تراجع الاندفاع للرواية، الحماس الذي ساد قبل سنوات قليلة وشعار "زمن الرواية " يبدوان الآن في أدنى حالاتهما أفولا، الجوائز والاحتفائيات هنا وهناك تبدو وكأنها تحاول إنقاذ "الصنعة " لا أكثر، المواهب التي تحاول أن تكتب بالكاد تكون مبشرة، قبل ذلك كان زمن "النثر" نصا أو قصيدة والتي صعدت عبر "الشعرية الجديدة " وجذبت ما جذبت في سجالها المثير وجدلها الذي أفضى إلى "زمن الرواية ".

اليوم نحن أمام مرحلة جديدة بوسائلها وتعبيراتها، بأدواتها وأوعيتها اللغوية والفنية مع تحديات التكثيف والاختصار. لا أظن أن الحرية وتجاوز الحواجز الاجتماعية والسياسية والمحظورات الأخرى المتعارف عليها تمثل قضية وهاجسا كما كان سابقا، اليوم التحدي ليس في حرية التعبير والكتابة بل في الأنماط والأشكال.

فرضت التقنية ووسائلها واقعا جديدا ومختلفا، الإيقاع الزمني والتسارع الحدثي يلقيان بثقلهما على الأمر برمته أيضا. النجاح سريع والفشل أسرع، دخلت أنماط ونماذج. التدوين يبدو حالة جماعية ترصد انفعالات يومية بشروط أقل، تراجعت المنابر الكلاسيكية كمؤسسات واتحادات ودور نشر أمام المشاريع الفردية، وأصبح للكاتب مؤسسته واتحاده ودار نشره الذاتية.

في السابق كان الصراع أو النقاش حول الأجناس والأشكال الفنية، جمالياتها واشتراطاتها وملاءمة كل منها لما هو عصري وحداثي، اليوم لا يوجد نقاش حول هذا، مرحلة مربكة بكل ما فيها، سياسيا واجتماعيا وثقافيا، في حين أن الأمر لا يبدو مثيرا لحماسة النقاد الذين فيما يبدو انخرطوا في متاهات السـياسـة وتمايزاتها التي فرضـها الواقع الجديد، راكضين بــ"حماس طفولي" نحو نقاشات حزبية أو مصالح هنا وهناك، لا أحد متحمس لرصـد الحالة أو تدوينها، لكن وفي كل الأحوال تحتاج المسـائل إلى وقت حتى يمكن اسـتيعابها، لكن في كل ما يحدث نبدو أقرب إلى المرحلة الأوروبية في نهايات الحرب العالمية الثانية، يبدو أننا على ذات الطريق، ذات الهموم، ذات الظروف المتشـابهة زمنيا واجتماعيا وسياسيا وربما تتشابه النتائج، الحماس الكبير والحرية المندفعة وعمق الإحباط على ما آلت إليه الأمور في المنطقة كذلك الحجم الهائل للمآسـي والاحتراب الطائفي والمجتمعي قد يشكل ملامح أساسية تدلنا على ما قد يحدث في الكتابة.

مزاج موسمي

في رمضـــان تزدحم الشـــاشـــات بالأعمال من كل نوع، الخليجيون مزاجهم كوميدي بالدرجة الأولى، الكوميديا المنفلتة نجومها أقرب إلى "التبهلل"، سـريعو الحركة، يعتمدون على "الإفيهـات" والأزياء المهترئـة وردود الأفعـال البـاردة، لعبـة قـديمـة تتجـدد لكن المشـاهدين لا يملونها، بلا قصـص بلا تفاصـيل لكنها تبقى، يعيدون مشـاهدتها كلما حانت الفرصة، حالة دائرية مغلقة، لطيفة وغير مكلفة لا يفهمها سواهم.

أما الدراما فستكون مليئة بالقصص العائلية، يندر أن يوجد مسلسل خليجي بلا عائلة وصراع حول المال والصلاحيات والاستحواذات والخدم والأثاث والسيارات واتصالات الهواتف المتنقلة، يحب نجوم الخليج إجراء المكالمات، مشـاهدهم مليئة بها، كما لا يمكن أن تجد مشهد "أكشن" وحيدا، الدراما الخليجية لا تعترف بالـ"أكشن" قلّ أن تشاهد مجرد مشـاجرة ولو في الشـارع، مثالية زائفة، الشـرطة تحضـر في آخر حلقة مع جملة حوادث شـلل وحوادث مرورية وجلطات وبكاء ودموع، يحضـر الموت في الحلقة الأخيرة دوما وبنشـاط عجيب، أسـهل طريقة لإنهاء العمل أن يموت الأبطال، فيما أذكر لا يوجد أحد يرحل أو يسافر أو يغيب، الموت والسجن يتكفلان بحل القضايا، عائلة أو عائلتان في الأغلب محور كل الأحداث، وهذه فكرة بدأت مع مسـلسـل بحريني شـهير عرض قبل عشـرين عاما عنوانه "أولاد بو جاسـم" اجتمع فيه حشـد من نجوم الدراما الخليجية بحرينيون وكويتيون وسـعوديون وأخرجه المصـري الشـهير "مجدي أبو عميرة"،

وكتبه المؤلف المصري أيضا "محمد جلال عبدالقوي" كانت حبكة محترفة وجذابة ألهمت آخرين على تتبع النهج ذاته، بعدها جاءت موجة اســـتمرت حتى يومنا هذا لكنها أقل بمراحل من ذلك العمل المهم والمحبوك.

كما أن هناك جمهورا موسميا للبرامج الدعوية التي تستثمر السير والأحداث من التاريخ الإسلامي وشخصياته الخالدة والوعظيات، أبطالها نجوم يكررون كلامهم ومعلوماتهم، يغيرون "الأستوديوهات" فقط، ورغم ذلك لهم جمهور يفضّل إعادة سماع ما يقولون، مزاج الخليجيين مثلهم.

الرواية في الدراما

نجاح عمل روائي بعد تحويله إلى منتج درامي مسألة في الغالب مصيرها الفشل، حين تكون الرواية شهيرة وجاذبة واستطاعت تحقيق حضور لافت وانتشار جيد. استثناءات نادرة تمكنت من تجاوز هذا المصير.

المفارقة أن الأعمال الدرامية التي نجحت كانت الرواية فيها أقل نجاحا وشهرة من العمل الدرامي، الميزانيات المفتوحة وحشود الممثلين والنجوم والتمويل الكبير وشاشة العرض لا تضمن عادة نتائج جيدة والأمثلة كثيرة.

المصريون ينجزون في الغالب شيئا إنسانيا وعميقا لكن بلا إبهار بصري، السوريون على العكس لغة عالية وجماليات في كل شيء، يشارك الجميع في وضع بصمتهم على العمل لكن النتائج شبه ثابتة، عمل متقن لكن تنقصه الروح والإنسانية. الخليجيون بمختلف فئاتهم يفضلون التعامل والنمط الجاهز. سأكون قاسيا وأقول إنهم يحتقرون الرواية في الدراما، سأكون قاسيا أكثر هم يحتقرون الأدب بالمجمل في الدراما ويفضلون القوالب، صراع عائلي.. مخدرات.. جشع. وهكذا، لذا لا يمكن تذكر تجارب محترمة في هذا الصدد. قرأت "اسم الوردة "كرواية وشاهدتها فيلما وفي النتيجة كان الفيلم أعلى وأجمل وأكثر تأثيرا.

"العطر" مثال آخر، كان الفيلم شـيئا هزليا لا يليق بقيمة الرواية. "ذاكرة الجسـد" أنتج قبل سنوات قليلة كعمل على الشاشة كانت النتيجة مريعة لم يشاهده أحد، ولم يتفاعل معه ربما حتى ممثلوه، بينما عاش عمل متواضـع الفنية كـــ"لن أعيش في جلباب أبي" عقدين من الزمن في وجدان الناس، "شــقة الحرية" عمل شــهير أيضــا لكن لقي مصير"ذاكرة الجسد" في الفشل الدرامي.

صـحيح أن المسـألة تتحكم فيها عوامل مختلفة، لكن أظن أن التجربة والتراكم كفيلان بتحقيق معادلة نجاح وإبهار وتسـويق محترمة. ليس بالضـرورة أن يكون الانتشـار الجماهيري لكتاب كفيلا بنجاحه ولا اسـم مؤلفه، لكن في قدرة المنتج على موالفته مع ما يريده المشـاهد، فالمشـاهد شـيء والقارئ شـيء آخر، مختلفان في المزاج والشـغف، وكذلك في قدرتهما على الصبر والانتظار.

الأيادي الرخوة!

غابت عن الأغنية ملامح كثيرة مهمة، الكلمة أولها وأهمها،تحولت العملية إلى تعليب حقيقي، فمن النادر أن تسمع أغنية تعيد شحنك بالحياة، إيقاع صاخب وإزعاج. في السابق كان هذا يحدث وكان كثيرون يشتكون كما أفعل الآن، لكن كان هناك بعض أشياء تجعلنا نتحمل، تحول الملحنون إلى حالة مصنعية رغم أن نتاجهم سيئ إلا أنهم يعمدون إلى حالة إغراق كاملة، تستغرب هذه القدرة الهائلة على الدفع بعشرات الألحان لكل من يطلب، غزت الأغنية الفردية الأعمال، وأصبح النجوم يلجأون إليها، لا تكلف الكثير وتخلق الحضور المطلوب وهذا يكفي، لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، إذ امتد التشويه إلى أغان جميلة لمطربين آخرين لا يزالون على قيد الحياة.

استمرت الأيدي الرخوة والأصوات الرديئة في التطاول على حقوق الآخرين وبأصواتهم البشعة وأموالهم الأبشع، صاروا واقعا مفروضا يقدمون خدماتهم في إحياء حفلات التخرج الابتدائية وبعد الزفاف، فرّغ هؤلاء جميعا الأغنية من مضامينها بوصفها نفحة بهجة وتعبيرا شعوريا، صاروا يكتبونها ويؤدونها وفي أذهانهم الجلسات الشعبية، تغير واقع الحال، حتى الملحنون المغامرون تراجعوا بشكل هائل. الإخلاص لفكرة الموسيقى المحضة انكفأ، صار الأمر فجا ولا يطاق، "طيران" ولا شيء غير "الطيران"، وإيقاعات ليست إلا الإيقاعات "الجلدية" المزعجة، لم يعد الأمر يتعلق بالحالة الخليجية بل صارت الحالة عربية أشمل، انشغل العرب من ملحنين ومطربين وشعراء وفنانين في السياسة وفرز المواقف والاتهامات، وتركوا شأنهم وكأننا نعاني قصورا ونقصا في أعداد المتسلقين المتلونين والحزبيين، الشعراء لم يعودوا متحمسين لكتابة ما هو أجمل

وأبسط وإنساني في مقابل ما صار حسيا وغرائزيا، الملحنون ذهبوا إلى التكنولوجيا والنقل وتركوا الابتكار العميق لما هو غير موجود أساسا، مهمة الموسيقى الأزلية في بعث الفرح وشحن الناس بالحياة والتعبير عن أحزانهم وحبهم كما مهمة الفنون منذ الإنسان الأول تراجعت لصالح أشياء كثيرة، فيما برامج المسابقات لا تظهر صوتا ولا تدعم موهبة ولا تفاجئنا بجديد، الأغنية مهمة وتتخلى عنا الآن، نفقدها ونتجاهلها فتتراجع لصالح أشياء أخرى أقل جودة وتأثيرا، وأعتقد أننا سندفع ثمن ذلك في مشاعرنا وأحاسيسنا وقدرتنا على تذوق الحياة وتحمل ظروفها.

الفهرس